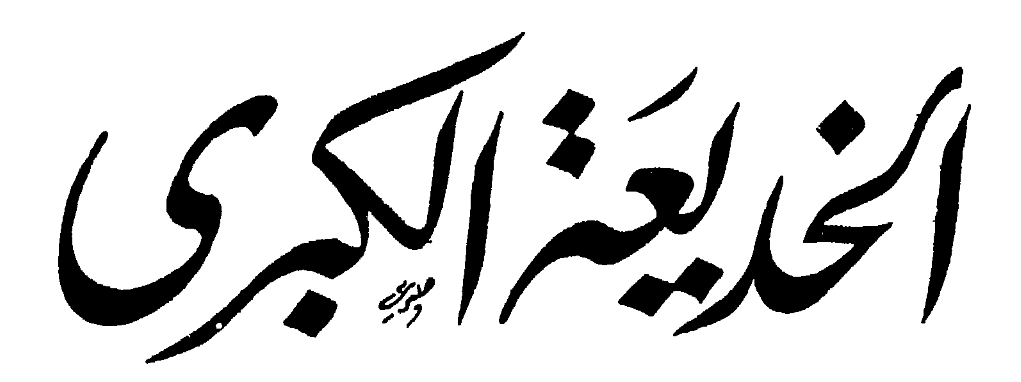
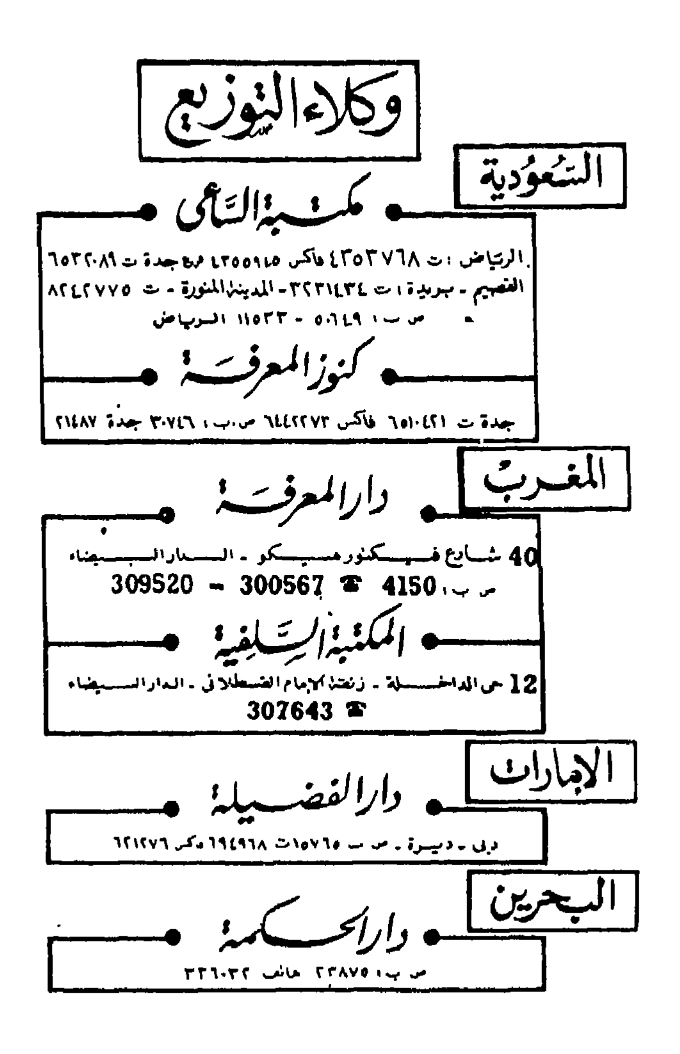


مخططات خبثاء صهيون وخديعة العالم بالأساطير السياسية

أحمد تهامي سلطان

مكتبة ابن سينا
للنشر والتوزيع والتصدير
٧٦ شارع محمد فريد - جامع الفتح - النزهة
مصر الجديدة - القاهرة - ت ٢٤٧٦٨٦٢ فاكس ٢٤٨٠٤٨٢



وكلاء التوزيع

السعودية

مكتبة الساعي

الرياض: ت ٤٣٥٣٧٦٨ فاكس ٤٣٥٥٩٤٥ فرع جدة ت ٦٥٣٢٠٨٩
القصيم - بريدة: ت ٣٢٣١٤٣٤ - المدينة المنورة - ت ٨٢٤٢٧٧٥
ص ب: ٥٠٦٤٩ - ١١٥٣٣ الرياض

كنوز المعرفة

جدة ت ٦٥١٠٤٢١ فاكس ٦٤٤٢٢٧٣ ص.ب: ٣٠٧٤٦ جدة ٢١٤٨٧

المغرب

دار المعرفة

40 شارع فيكتور هيكو - الدار البيضاء
ص ب: 4150 ☎ 300567 - 309520

المكتبة السلفية

12 حي الداخلة - زنقة الإمام القسطلاني - الدار البيضاء
☎ 307643

الإمارات

دار الفضيلة

دبي - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فكس ٦٢١٢٧٦

البحرين

دار الحكمة

ص ب: ٢٣٨٧٥ هاتف ٣٣٦٠٣٢

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعد ..

فهذا هو ثانى كتاب لنا فى سلسلة تهدف إلى توجيه ضربات قوية إلى المخططات الدعائية الصهيونية وذلك بكشف أكاذيبها وافتراءاتها وأساطيرها .

وفى الكتاب الأول ــ الأكذوبة الكبرى ــ ناقشنا « الأسطوانة» الإسرائيلية عن حرق ٦ مليون يهودى فى أفران الغاز . وفى هذا الكتاب نتناول بالمناقشة عدة اسطوانات أخرى تدور عليها أساطير سياسية صهيونية . قد تحمل الأسطوانة الواحدة أسطورة واحدة ولكن الأخرى قد تحمل عدة أساطير مزجت لتصنع كوكتيل أساطير يهودىأما «الأنخاب » التى يتم سكب الأساطير فهى ضمير وعقل المواطن الغربى فى أوربا عامة وفى الولايات المتحدة خاصة « البارمان » هو الدعاية الصهيونية التى تمسك بيدها معولًا من أكاذيب حاولت به أن تبنى حائطا من حقيقة .

وقد يتصور المواطن العربى أن ضمير وعقل المواطن الغربى من الفطنة والذكاء والعلم بحيث يستطيع تحجيم هذه الأساطير وإلقاءها فى مزبلة التاريخ . ولكن المواطن العربى يُصْدَم حينما يعلم أن ضمير المواطن الغربى أصبح « مُصهيناً » ــ أى أسيراً لأبواق الدعاية الصهيونية التى تخدعه بكل الوسائل .

وقد يظن المواطن العربى أن مثل هذه التُرهات وتلك الأساطير ليست إلا نوعاً من الفلكلور الدينى ، أو أحلام اليقظة السياسية . لكن الواقع أن مثل هذه الأساطير قد أقامت دولة اسرائيل من قبل ولاتزال تقيم أودها من خلال

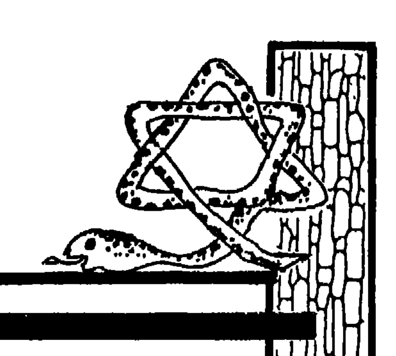
دعم مادى ومعنوى ، واقتصادى وسياسى ، مدنى وعسكرى يقدمه الغرب لدولة تخدعه بحلو الأساطير وبمعسول الدعاية .

ويأتى كتابنا هذا الذى يهدف إلى اختراق حواجز الكذب الصهيونى فى مرحلة بالغة الخطورة بالنسبة لوطننا العربى ، وهى مرحلة التفاوض من أجل إقرار سلام دائم وعادل . وفى وقت تطور فيه الضمير العالمى وقفز قبل وبعد حرب الخليج قفزة لها آثارها الملموسة على العالم بأسره ، شرقه وغربه ، وهو تطور يجب ألا ينساق خلف الدعاية الصهيونية حتى يمكن أن يواصل تقدمه نحو غد أفضل للإنسانية .

أحمد تهامى سلطان

القاهرة ١٩٩١/١١/١٤





الفصل الأول

ماهية الدعاية الصهيونية

« الشيء العجيب فى القضية الفلسطينية ، هو أن العالم قد أعطى أذناً للجانب الذى ارتكب الإساءة ، وأدار أذناً طرشاء للضحية ! »

المؤرخ الشهير
أرنولد توينبى

• الدعاية هى التأثير المتعمد على الأفكار وسلوك الناس .
• تاريخ الدعاية قديم ولكن اللاسلكى أعطاها الانطلاقة الكبرى .
• الدعاية الصهيونية تتكون من دعايات ثلاث : اسرائيلية ــ يهودية ــ أممية .

• أدوات الدعاية الإسرائيلية كثيرة أهمها الإذاعة والتليفزيون والصحف والمكاتب الإعلامية .
• المركز الأكاديمى الإسرائيلى بمصر وكر للجاسوسية وأداة لنشر الدعاية الصهيونية .
• من أهم وسائل الدعاية الإسرائيلية « فريق الحب » المتخصص فى ممارسة الجنس .

• بالوثائق : اليهود خططوا للسيطرة على العالم بالذهب وبالصحافة .
• ليس سراً أن اليهود يسيطرون على معظم دور النشر والصحف والشركات السينمائية .

• « جائزة نوبل » و « مهرجان كان » تحت السيطرة المباشرة للصهيونية .
• الدعاية الأممية لصالح الصهيونية أسسها مارتن لوثر وبناها البروتستانت .

• الشبكات التلفازية المسيحية تساهم فى بث الدعاية الإسرائيلية .
• اسرائيل لا تكتفى بنشر وبيع الأفكار ولكن تبيع هواء القدس معلباً للمسيحيين .

« ماهية الدعاية الصهيونية »

تعاريف الدعاية كثيرة ومنها اللغوى والقانونى والعام ، ولكن يكفى أن نذكر بعضاً قليلاً منها من أقصرها عبارة وأشملها دلالة :

والدعاية كما جاءت فى دائرة المعارف الدولية للعلوم الاجتماعية هى التأثير المتعمد على أفكار وسلوك أناس آخرين ، فيما يتعلق بالقيم والمعتقدات والسلوك عن طرق الرموز والكلمات والإشارات والصور والموسيقى . وتركز على عامل التعمد فى التأثير على الآخرين حتى يمكن تمييزها عن الاتصال أو التبادل المتحرر للأفكار وعن التعليم أيضاً . فرجل الدعاية يعرض وجهة نظر معينة بينما المعلم يعرض كافة وجهات النظر ويترك للآخرين حرية الاختيار فيما يرونه أصدق[١] .

ويتفق تعريف دائرة المعارف البريطانية مع التعريف السابق إذ ترى أنها العرض المتعمد لجانب معين فى إحدى القضايا لتحقيق أهداف مرسل الدعاية ، ولكنها ترى أن الدعاية كلمة واسعة وشاملة ، فهى إن وجهت ضد عدو فى وقت الحرب تصبح حرباً دعائية أو حرباً نفسية[٢] .

وترى دائرة المعارف الروسية أن الدعاية أحد الأسس الهامة للماركسية اللينينية ، فهى تدعو اتباعها للتغلغل داخل الطبقات فى الشعب كعقائديين ورجال دعاية محرضين ومنظمين . غير أنها تفرق بين الدعاية **Propeganda** وبين التحريض **Agitation** . فالدعاية توجه أساساً إلى جمهور صغير نسبياً بأفكار ونظريات تحتاج إلى مزيد من الشرح والتوضيح . بينما التحريض يعرف على أنه

---

(1) International Encyclopedia of the social sciences U. S. Macmillan and press. vol 12 - 1968 - P.P. 579 - 588.

(2) Encyclopedia Britannica G. B. William Bonton Publisher vol 18 - 1971 - P. 580.

نشاط سياسى بهدف التأثير على وعى وسلوك الجماهير العريضة برفع الشعارات والأفكار . وكل من الدعاية والتحريض أداة من أدوات الصراع الطبقى . وتعتمد على وسائل الاتصال كالإذاعة والصحف والمجلات والكتب(١) .

ويرى قاموس العلوم السياسية أن الدعاية أداة للتأثير أو الإيحاء Persuation لنقل رسالة بغرض التأثير على السلوك الإنسانى ، فالدعاية يصاحبها دائما رغبة فى التأثير على السلوك . وتتخذ عدة أشكال قد تكون إعلانا أو تسويقا لسلعة ، وبالمعنى الحربى حرب نفسية(٢) .

ويقول معجم العلوم السياسية الميسر أن الدعاية يُعنى بها القيام بسياسة إعلان لصالح فكرة أو سياسة أو جماعة أو حزب معين . والدعاية لها وسائل فى كسب الشعب عن طريق إغرائه بزيادة الأجور وخفض أسعار الحاجات . ونشاط الإنتاج ونشر السلام والطمأنينة بين الناس . وتكون بواسطة الصحافة والنشرات والدوريات والخطب والإذاعة وهى تتكون حسب حاجات البلاد وصلات الشعب بالعالم الخارجى ومستوى ثقافته(٣) .

ووفقاً لتعريف «يونج» Kimball Young فإن الدعاية هى استخدام الرموز على نحو متعمد منظم ومخطط من خلال الإيحاء أساساً ، وما يتصل به من تكتيكات نفسية بقصد تغيير وضبط الآراء والأفكار والقيم وتغيير الأفعال الظاهرة فى نهاية الأمر عبر خطوط صدرت سلفاً . وقد تكون الدعاية واضحة والقصد منها معلناً أو قد تستخفى بمقاصدها ، وهى تقع دائماً فى نطاق اجتماعى ثقافى لا يمكن بدونه أن تفهم ملامحها النفسية أو الثقافية(٤) .

---

(1) Encyclopedia of Russia and Soviet union U. S. mcgyaw , Hill book company - 1961 P.P. 459 - 406.

(2) Dictionary of Political science U. S. Phylosphical Library 1964 P.P. 430 - 4301.

(٣) معجم العلوم السياسية الميسر ، اعداد د .أحمد سويلم العمرى . الهيئة المصرية العامة للكتاب ـــ القاهرة ١٩٨٥ ص ١٠٠ .

(٤) فتحى الأبيارى فن الدعاية والمخطط الصهيونى ـــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـــ القاهرة ١٩٨٨ ص ٤٠ .

أما هارولد لاسويل Harold Lasswell فيرى أن الدعاية هى الاحتيال عن طريق الرموز ، ويقول فى دائرة العلوم الاجتماعية «أن الدعاية تتخذ شكل وسائل قد تكون خطية أو كلامية أو تصويرية » ، ثم يفسر ذلك فى كتابه « الدعاية والنشاط الدعائى» قائلا « ليست القنابل بل الكلمات والصور والأغانى والاستعراضات والحيل الأخرى المتعددة هى الوسائل النموذجية للدعاية » [1].

ويقول تعريف العالم « ف . ى . لامل » أن الدعاية هى الاحتيال بطريقة أو بأخرى من ناحية :

أصل ومصدر الدعاية .
المصالح التى تنطوى عليها .
الوسائل المستخدمة عن طريق الدعاية .
فحوى ما ينشر عن طريق الدعاية .
النتائج التى تتحكم فى المتأثرين بها بعد تحقيق أغراضها .

أما الباحث هندرسون فإنه يعرف الدعاية « كعملية » تحاول عمداً عن طريق فنون الاقناع أن تضمن للداعية قبل أن يمارسها حرية التجاوب الذى يرجوه ناشرها [2].

ويعرفها « لندى فريزر » بأنها النشاط أو الفن الذى يحمل الآخرين على سلوك معين ما كانوا يتخذونه لولا ذلك النشاط [3].

ويقول الأستاذ نورمان جون باول أن الدعاية هى نشر الآراء ووجهات النظر التى تؤثر على الأفكار أو السلوك أو كليهما معاً [4].

---

(١) المرجع السابق ص ٤١ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق ص ٤٣ .
(٤) د . عبد القادر حاتم : الرأى العام وتأثره بالإعلام والدعاية المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص ١٣٩

والمختصون فى دراسة الدعاية يضعون فوارق كثيرة بين الدعاية وبين الاعلام ، التعليم ، الإعلان ، الدعوة ، الإصلاح وغسيل المخ ويقولون بأنها تقترب من « الحرب النفسية » فالأهداف فى كليهما متشابهة ، إذ تستهدف الحرب النفسية التى تتوجه إلى عقل الإنسان ونفسيته تحقيق السيطرة على الإدارة ، لتدعيم الصديق أو تحطيم الخصم ، والتأثير على الآراء والمواقف فى الاتجاه الذى يخدم سياسة الدولة وأهدافها(١) .

وتقول الموسوعة العسكرية « إن هدف الحرب النفسية هو خلق تصورات معينة لدى العدو أو نفى بعض تصوراته »(٢) .

ويشير د . أحمد نوفل إلى أن الدعاية وسيلة من وسائل الحرب النفسية ، أو أداة من أدواتها(٣) .

وهنا نشير إلى أن الأساطير السياسية هى وسيلة من وسائل كلا الطرفين : الدعاية والحرب النفسية . وترتبط معهما فى أنهم جميعاً يستخدمون الأكاذيب المختلفة شريطة أن تكون الأكاذيب بداخلهم منمقة ومؤطرة بإطار من الحقيقة . ذلك أن الأكاذيب الفجة إذا استخدمت فى الدعاية أو الحرب النفسية أو الأساطير السياسية تضر أكثر مما تفيد ، ولا ينجم عنها إلا التدهور والانحلال . وتسمى الدعاية معها دعاية جوفاء ، وتعرف الحرب النفسية معها بأنها حرب فاشلة ، ويطلق على الأسطورة السياسية التى تستخدم الكذب المحض اسم « الخرافة » ، وهى فن آخر من فنون « المثيولوجيا » يصعب استخدامه فى السياسة .

وتاريخ الدعاية كتاريخ الحرب النفسية قديم قدم الجنس البشرى نفسه ، إلا أنهما ظلا محدودى التأثير حتى تم اختراع المطبعة فاتخذت شكلًا عصرياً تم تحديثه وبنجاح باختراع اللاسلكى لتتجاوز الدعاية نطاق الدولة الواحدة والقارة .

(١) نزار عمار : الاستخبارات الإسرائيلية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت ١٩٧٦ ص ١١١

(٢)الموسوعة العسكرية، إعداد المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ص ٧٦٧ .

(٣) د . أحمد نوفل : الحرب النفسية ــ الجزء الأول ــ دار الفرقان للنشر والتوزيع عمان ١٩٨٥ ص ٨٠ ــ ٨١ .

الواحدة ، ولتتطور وسائلها تطوراً صارخاً بحيث تمثل فيه الإذاعة والتليفزيون أهم الوسائل على الإطلاق بعد الصحف والمنشورات والكتب والسينما ومراكز الاستعلامات . ولتنقسم إلى أقسام ثلاثة تباعدت الفواصل بينها : الدعاية فى أوساط الأصدقاء . والدعاية فى أوساط الأعداء ، والدعاية فى أوساط **المحايدين** .. هذا ويمكن تقسيم الدعاية إلى ثلاثة أنواع هى :

١ ــ **الدعاية البيضاء** : وهى الدعاية المكشوفة وغير المستورة ، وهى عبارة عن النشاط العلنى من أجل هدف معين ، وذلك فى الصحف والإذاعة ووسائل الاتصال بالجماهير .

٢ ــ **الدعاية السوداء** : وهى الدعاية المستورة ، وتقوم على نشاط المخابرات السرية ، وهى لا تكشف عن مصادرها الحقيقية ولكنها تنمو وتتولد بطرق سرية داخل أرض العدو أو على مقربة منه .

٣ ــ **الدعاية الرمادية** : وهى الدعاية التى تخشى من أن يقف الناس على مصادرها الحقيقية ولكنها تختفى وراء هدف من الأهداف مثل إذاعة « **أوربا الحرة** » وهى موجهة إلى دول شرق أوربا وجنوبها ، وتهدف فى دعايتها إلى إحباط الدعاية الشيوعية(١) .

هذا وتعتبر الدعاية السياسية هى أهم أنواع الدعايات إلى جانب الدعاية الدينية والدعاية الاقتصادية والدعاية الاجتماعية . فى حين تمثل الدعاية الصهيونية واحدة من أشهر الدعايات السياسية المعاصرة .

والصهيونية حركة ودعوة دينية عنصرية استيطانية تطالب بتوطين وتجميع اليهود فى دولة خاصة بهم على أرض فلسطين العربية كحل للمسألة اليهودية ، مستبيحة فى ذلك كل الوسائل ، بدءاً بالهجرة ومروراً بالغزو والعنف .. والكلمة « **صهيونية** » مشتقة من اسم جبل « **صهيون** » الذى يقع جنوب غرب مدينة القدس ، ويعتبر وفقاً لتعاليم الديانة اليهودية مزاراً ومكان حج لليهود ، يزورونه هاتفين « **رنموا للرب الساكن فى صهيون** » . وأول من اشتق كلمة الصهيونية

---

(١) المرجع السابق ــ ص ٥١ .

كان « **ناتان برنباوم** » فى عام ١٨٩٠ ليصف بها تحول تعلق اليهود بجبل صهيون وأرض فلسطين من مجرد تعلق دينى إلى برنامج سياسى استعمارى ، يهدف إلى توطين الشعب اليهودى بفلسطين[1] .

ويهمنا قبل الحديث عن أبعاد الدعاية الصهيونية أن ندرس بشئ من التوسع ، دعايات ثلاث تشكل معاً « حبل » الدعاية الصهيونية ، إذ تتعانق هذه الدعايات الثلاث وتتكاتف فى رباط هدفه إعطاء الصهيونية قوة ومنعة أمام كل التحديات التى تواجهها . والدعايات الثلاث هى :

* الدعاية الإسرائيلية .
* الدعاية اليهودية .
* الدعاية الأممية .

• والمقصود بالدعاية الإسرائيلية : الدعاية التى يقوم بها أفراد إسرائيليون ، يقيمون على أرض فلسطين المحتلة (اسرائيل) أو خارجها ، ويعملون بوحى من المنظمات الدعائية الاسرائيلية .

وبديهى أن الدعاية الإسرائيلية هى امتداد طبيعى للدعايات اليهودية الصهيونية السابقة على إنشاء دولة اسرائيل فى عام ١٩٤٨ ، وإن كنا قد سبقنا بالحديث عنها ، قبل الدعاية اليهودية ، فمرد ذلك أنها تشكل ما يزيد عن ٥٥٪ من قوة الدعاية الصهيونية فى الوقت الحاضر .

ثم إن العقيدة الصهيونية تشكل وبقوة الإطار الفكرى والمرجعى للكيان الإسرائيلى الذى تقوم فيه الدولة على أساس دينى يميز بين كل من هو يهودى ، وغير يهودى .

*** وتكمن أهم أدوات الدعاية الإسرائيلية فى الوقت الحاضر فيما يلى :**

١ ــ الإذاعة الاسرائيلية الموجهة (كل اسرائيل) :

وهى إذاعة حكومية تبث برنامجين باللغة العبرية ، برنامج عام لمستمعيها فى إسرائيل ، وبرنامج آخر موجه للجيش الإسرائيلى ، فضلًا عن الإذاعات التعليمية

---

(١) قاموس العربى : الصهيونية .. العدد رقم ٣١٨ من مجلة العربى ــ مايو ١٩٨٥ ص ٧٠ .

والتربوية . ويذيع البرنامج العبرى العام ١٩ نشرة أخبار فى اليوم بالاضافة إلى برامج سياسية متنوعة فى الصباح ، وعند الظهيرة وفى المساء تشمل مناقشة لأهم الأحداث الجارية يشارك فيها المختصون على غرار برامج الإذاعة البريطانية فى إذاعتها العالمية باللغة الانجليزية .

وبالنظر لأن إذاعة إسرائيل تعد عضواً فى رابطة محطات الإذاعة الأوربية ، فأنها تبث برامج هذه الرابطة ، كما أن إذاعات الرابطة الأوربية تبث برامج إذاعة إسرائيل ، لاسيما فى المناسبات الهامة مثل « عيد الاستقلال الاسرائيلى » !!

ولهيئة الاذاعة الإسرائيلية برامج موجهة بلغات أخرى غير العبرية من أهمها برامج باللغات : الانجليزية — الفرنسية — اليديش — الفارسية — اللادنيو (**العبرية الأسبانية**) — الرومانية — الروسية — الهنغارية — البولونية — البلغارية — البرتغالية — وبلهجة شمال أفريقيا (**المغرب العربى**) .

ولا ريب أن أهم برنامج تبثه إذاعة إسرائيل ، هو برنامجها باللغة العربية حيث تبلغ مدة البث ١٨ ساعة فى اليوم ، ويتولى هذا البرنامج شن الحرب النفسية على الجماهير العربية وعلى سكان المناطق المحتلة .. ويعمل بهذا البرنامج مئات الموظفين ، كثير منهم من يهود البلدان العربية ..

ويذيع البرنامج العربى عدداً كبيراً من البرامج والتعليقات السياسية فيها جهد كبير ويمتاز معظمها بالخبث والذكاء الشديد فى استخدام الحرب النفسية التى تعمل بصفة عامة وفق مخطط إذاعى يعتمد على :

(أ)تبادل البرامج بين إسرائيل والدول الغربية والأفريقية ودول أمريكا اللاتينية وكندا .

(ب) نشرات الأخبار التى تعمد إلى اقناع المستمع بمقدرتها على التغطية السريعة .

(جـ) البرامج الموجهة باللهجات العامية خاصة اللهجتين المصرية والعراقية .

(د) برامج التعليقات والأقوال المسجلة .

(هـ) النداءات الموجهة أثناء الحروب مع العرب بهدف الحط من الروح المعنوية لهم .

٢ ـ تليفزيون إسرائيل القومى :

وقد بدأ التليفزيون القومى الإسرائيلى فى ٢ من مايو ١٩٦٨ بعرض تجريبى يتضمن برنامجاً خاصاً بمناسبة العيد العشرين لقيام اسرائيل ، وقد بدأ الإرسال التليفزيونى القومى التجريبى دون وجود برامج مستديمة ، سواء للبرنامج العبرى أو العربى ، هذا إلى جانب نقص الكفايات . فلما بدأ التليفزيون إرساله الرسمى عمد إلى حل هذه المشاكل بطرق غير مشروعة أهمها الحصول على برامج عربية من البلاد المجاورة بالتقاط الاشارات اللاسلكية عن طريق غير مشروع .

وتدور محاور الدعاية الإسرائيلية فى التليفزيون الإسرائيلى حول المحاور الآتية :

١ ـ تبيان مواقف إسرائيل إزاء العرب والقضايا العربية .

٢ ـ تبرير حركات الجيش الإسرائيلى والإيحاء بقدرته على الضرب والمواجهة .

٣ ـ تبيان واقع الوطن العربى .

٤ ـ تبيان الوضع الداخلى فى إسرائيل .

٥ ـ تبيان مواقف الغرب ، وبخاصة : أمريكا .

٦ ـ تبيان علاقات إسرائيل الدولية .

٧ ـ عرض الواقع الدولى .

والتليفزيون الإسرائيلى لا يهدف إلى إعطاء الصورة الواقعية عن هذه المحاور ، ولكنه يهدف إلى تقديم الصورة المعبرة عن وجهة النظر الإسرائيلية كما يراد بها أن تكون عليه فى ذهن المواطن العربى خاصة ، وفى ذهن الرأى العام العالمى عامة[1] .

وتتواصل اهتمامات اسرائيل للوصول بالبث التليفزيونى إلى كافة أرجاء الوطن العربى ، لدعم الدعاية الإسرائيلية من جهة ، ولتحطيم الشباب العربى بعرض الأفلام الجنسية الفاضحة من جهة أخرى ، وفى هذا المضمار خطت إسرائيل خطوتها الأولى بإطلاق قمر صناعى اسرائيلى للأغراض العسكرية .

---

(١) مروان كنعانى : وسائل الإعلام الصهيونى وأساليبه ، المركز العربى لبحوث المستمعين والمشاهدين . بغداد ١٩٨١ ص ١٨ .

وهى خطوة تقول إسرائيل إنها مقدمة لإطلاق قمر صناعى للأغراض الإعلامية على غرار القمر الصناعى العربى «**عربسات**» الذى أطلق فى عام ١٩٨٥ .

٣ ــ الصحافة الإسرائيلية :

تعتبر إسرائيل من أكثر بلاد العالم ازدحاماً بالصحف التى تصدر بمختلف اللغات برغم قلة عدد السكان نسبياً . وتتنوع الصحف فى إسرائيل تنوعاً كبيراً ، فهناك صحف يومية وأخرى أسبوعية وثالثة شهرية ورابعة فصلية . وهناك صحف عبرية وأخرى إنجليزية وثالثة بيدشية ورابعة فرنسية . والخلاصة أن الصحافة فى إسرائيل متنوعة بتنوع السكان أنفسهم[1] من حيث اللغات والانتماءات الحزبية حيث يبلغ عدد الأحزاب الممثلة فى الكنيست الإسرائيلى عشرة أحزاب لها صحفها التى تنطق بلسانها . ورغم هذا التنوع الشديد فإنها تخضع جميعاً لقانون الصحافة الصادر عام ١٩٦٢ ، وللرقابة المشددة بواسطة الرقيب العسكرى الذى يمارس مهمته بدعوى الاحتياجات الأمنية . **والأهم أنها تعمل مجتمعة بأسلوب « الجوقة »[2] فلكل منها نغمتها الخاصة التى تنطق بها . وفى حالات الطوارىء كلها تتناسى يمينيتها أو يساريتها لتقف وراء الحكومة وجهود الدولة فتنطق فقط عندها بلسان الدولة الواحدة وتؤازر نشاطات الحكومة ، وتصبح جميعها « بوقاً » واحداً للدعاية الرسمية للدولة .**

ومن أشهر الصحف الإسرائيلية انتشاراً وخدمة للدعاية الإسرائيلية نذكر :

صحيفة الجيروزاليم بوست ــ صحيفة ها آرتس ــ صحيفة دافار ــ صحيفة عال همشمار ــ صحيفة معاريف ــ صحيفة يدعوت احرنوت ــ صحيفة كول هاعام ــ صحيفة لامرحاف ــ صحيفة هموديع ــ صحيفة حيروت .

---

(١) على محمد على : فى داخل إسرائيل ، الدار القومية للطباعة والنشر ــ القاهرة ب ت ص ١٣١ .
(٢) مصطفى الدباغ : الحرب النفسية الإسرائيلية ــ منشورات مكتبة المنار ــ الزرقاء ١٩٨٦ ص ٣٠ .

ومن أشهر المجلات العبرية :

مجلد هاعولام هازية ، كوتيرت راشيت ، نيكودا ، بما حينه ، حيل هاأفير ـــ هامشطراة .

ومن الصحف العربية الخاضعة للمؤسسات الإسرائيلية ولا تعبر عن الإرادة العربية المستقلة :

صحيفة اليوم ـــ الاتحاد ـــ المرصاد ـــ الأمر ـــ الوسيط ـــ الجديد **(والأخيرة متحررة إلى حد ما من قيود الدعاية الإسرائيلية)** .

٤ ـــ المكاتب الصحفية والإعلامية :

ومن هذه المكاتب نذكر :

(أ) مكتب المعلومات المركزى (ويشكل مع المكتب الصحفى للحكومة دائرة واحدة ترتبط برئيس الوزراء) وتتبعه وحدتان : وحدة قسم المعلومات ووحدة ما وراء البحار . وتعمل الأخيرة بالتعاون مع وزارة الخارجية ووزارة السياحة والوكالة اليهودية على تقوية الصلات بين الدولة والهيئات اليهودية غير الصهيونية فى الخارج عن طريق تنظيم المؤتمرات والندوات والرحلات وعمل الدراسات وارسال المحاضرين . ويصدر عن المكتب **(الكتاب السنوى للحكومة الإسرائيلية)** الذى يتضمن تقارير عن أعمال الوزارات والكنيست وبنك إسرائيل والوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية العالمية ، والصندوق القومى اليهودى ، والنداء الإسرائيلى المتحد ، وديوان المحاسبة ومؤسسة الإذاعة .

(ب) **المكتب الصحفى للحكومة** : وهو المتحدث باسم الحكومة فى مواجهة الصحافة المحلية والأجنبية . حيث يزود المراسلين بالأنباء مع المادة التوضيحية . ويضم قسماً للأبحاث ومكتبة وأرشيفاً وقسماً للمطبوعات يُصدر المنشورات التالية :

ـــ نشرة أخبار يومية بالعبرية والإنجليزية .

ـــ ملخص أسبوعى بالإنجليزية .

ـــ مختارات إسرائيل بالإنجليزية كل أسبوعين . ويضم أهم البيانات الحكومية وأهم الأحداث .



منشور دعائى اسرائيلى يتم توزيعه عن طريق مركز الاستعلامات الاسرائيلى

مركز الاستعلامات الاسرائيلى
ص.ب ١٣٠١٠ أورشليم القدس كانون الأول ١٩٧٩
نص : يعبل جلعدى
تصميم : صزر
مطبعة : صاص ــ تل أبيب

عنوان مركز الاستعلامات الاسرائيلى كما هو وارد بإحدى النشرات الدعائية

ـــ حقائق عن إسرائيل ويصدر سنوياً حيث يرسل للمراسلين الأجانب وتوزع منه وزارة الخارجية مئات الآلاف من النسخ[1] .

(جـ) مركز الاستعلامات الإسرائيلي : وعنوانه صندوق بريد ١٣٠١٠ ـــ أورشليم القدس . ويقوم المركز بطبع وتوزيع آلاف النشرات الدعائية الاسرائيلية داخل إسرائيل وخارجها مستغلًا فى ذلك المراكز الثقافية الإسرائيلية فى عواصم العالم المختلفة .

(د) مكاتب وكالات الإعلام الإسرائيلية : حيث توجد لدى إسرائيل ثلاث وكالات للأنباء هى :

ـــ وكالة الاسيوشيتد برس الإسرائيلية (**ايتيم**) .

ـــ وكالة الأنباء الإسرائيلية (**انا**) .

ـــ الوكالة اليهودية للبرق .

٥ ـــ الدوائر الدعائية التابعة لوزارة الخارجية الإسرائيلية :

تعتبر وزارة الخارجية الإسرائيلية بكاملها جهازاً إعلامياً متكامل النشاط ، بل هى ركيزة الإعلام الدعائى الإسرائيلى الخارجى ، أى الموجه لدول العالم . كما أنها هى الموجه لمجمل الإعلام الصهيونى فى الخارج الذى تتولاه الجمعيات والهيئات الصهيونية فى المجتمعات التى تتواجد فيها الجاليات أو الطوائف اليهودية . ويتبع وزارة الخارجية الإسرائيلية عشرات القنوات الدبلوماسية كالسفارات والقنصليات والملحقات والمفوضيات . وكلها تقوم بجمع الجباية فى الخارج لصالح اسرائيل ونشر الدعايات والمنشورات الإسرائيلية .

وأهم دوائر وزارة الخارجية الإسرائيلية التى تتولى النشاطات الدعائية المتنوعة هى :

(أ) دائرة الإعلام : ويمكن اعتبارها الجبهة المسئولة عن تخطيط وتنسيق نشاطات دعاية واعلام اسرائيل والصهيونية فى دول العالم الخارجى . ويتم توصيل دعايتها من خلال :

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨ .

ـــ الاتفاق مع الصحف العالمية على إصدار ملاحق خاصة عن إسرائيل أو أعداد خاصة عنها .

ـــ تنظيم سلسلة من المقالات حول المناسبات الاسرائيلية الهامة ونشرها فى أوسع نطاق .

ـــ إعداد وتوزيع عشرات الكراسات والكتيبات والكتب بمختلف اللغات العالمية .

ـــ إصدار نشرتين دوريتين وتوزيعهما على مختلف الصحف الأجنبية ومحطات الاذاعة والتليفزيون .

ـــ تنظيم جولات ١٥٠ معرضاً فى شتى الحواضر والمدن كل عام تركز على الجوانب السياسية لإسرائيل .

ـــ إعداد أفلام دعائية جديدة ومواصلة توزيع وتعميم سلسلة الأفلام الوثائقية والدعائية الإسرائيلية فى مختلف أنحاء العالم .

ـــ إهداء الصور الملونة إلى من يرغبها .

ـــ تنظيم جولات من المحاضرات لنحو ١٠٠ محاضر لأقطار العالم المختلفة .

ـــ دعوة ما يزيد على ٢٠٠ صحفى سنوياً من شتى أنحاء العالم والعشرات من فرق التصوير التليفزيونى والمعلقين الإذاعيين والتليفزيونيين .

ـــ مساعدة المنظمات الطلابية فى خارج إسرائيل فى نفقات طبع المطبوعات والملصقات التى تحمل الدعاية الإسرائيلية .

ـــ تنظيم ندوات وحملات إعلامية للطلاب فى أوربا الغربية وأمريكا الشمالية .

(ب) دائرة التعاون الدولى . وتتولى التنسيق ومتابعة برامج التعاون الفنى مع قرابة ٨٠ دولة فى أفريقيا وآسيا والشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية . وتتولى إرسال الخبراء الإسرائيليين للعمل فى الخارج ، وقبول الراغبين فى الدراسة والتدريب فى إسرائيل ويتم القبول فى المعاهد والجامعات فى إسرائيل ومنها :

ـــ الجامعة العبرية فى القدس .
ـــ المعهد التكنولوجى فى حيفا .
ـــ المعهد الآفرو آسيوى .
ـــ مركز جبل الكرمل الدولى للتدريب فى حيفا لتدريب النساء الوافدات من أقطار العالم الثالث على خدمة تنمية المجتمع .

(جـ) دائرة العلاقات الثقافية والعمالية : ومهمتها هى تعليم العبرية وتأسيس كراسى لها فى الجامعات العالمية ، وتبادل البرامج الإذاعية ، والفرق الفنية والموسيقية وتنظيم المعارض الثقافية والفنية ، ونشر التراث الأدبى والفكرى الإسرائيلى واليهودى وترجمته إلى لغات أخرى . وعقد اتفاقيات التعاون الثقافى والفنى مع بلدان العالم الخارجى . إضافة إلى إصدار المجلة الدعائية «**إريال**» التى تعنى بشئون الفنون والثقافة بأكثر من لغة .

٦ ـــ الدوائر الدعائية التابعة لوزارة التربية والإعلام الإسرائيلية :

يوجد بوزارة التربية فى إسرائيل مركز للإعلام يتولى إعداد وتوجيه جانب أساسى من الإعلام الداخلى أى الموجه لسكان إسرائيل من اليهود إلى جانب النشاطات الدعائية الموجهة للمجتمعات اليهودية فى الخارج ولمجتمعات العالم الخارجى بوجه عام . ويمكن تلخيص نشاط المركز فى النقاط التالية :

ـــ تجنيد المتحدثين والخطباء فى الاجتماعات التى تعقد فى إسرائيل فى المناسبات العامة .
ـــ تنظيم محاضرات للسياح بلغات مختلفة .
تنظيم جولات لزيارة المعالم الهامة داخل إسرائيل والمناطق المحتلة .
ـــ عرض الأفلام التوجيهية والتربوية وغيرها على الإسرائيليين (**دعاية داخلية**) .

ـــ تشكيل لجان إعلامية لخدمة المنظمات الصهيونية فى الخارج وتزويدها بأكبر قدر من المواد الدعائية . لتتولى توزيعها وتعميمها على مختلف فروعها فى البلدان الأخرى .

ـــ توجيه السياح وبث الدعاية الإسرائيلية بينهم والسعى لإقناع اليهود منهم للإقامة فى إسرائيل . وتنظيم أمسيات من نوع أسئلة وأجوبة للشبان السياح الذين يمضون فترات فى الكيبوتزات ، ثم إرسال آلاف من بطاقات التهنئة بالسنة الجديدة وشهادات التقدير من إدارة الكيبوتزات إلى الشبان الذين عاشوا فيها . وتطبيق نفس الأسلوب على السياح الذين يقيمون فى الفنادق أو بيوت الضيافة .

ـــ إرسال المنشورات الدعائية إلى المراكز الطلابية اليهودية فى الخارج لتوزيعها على المراكز الطلابية غير اليهودية .

ـــ استخدام فروع ومكاتب الشركات الإسرائيلية فى الخارج فى الأغراض الدعائية . فهناك اتصال مستمر مع مكاتب شركة العال (**الطيران الإسرائيلى**) وشركة تسيم (**الملاحة الإسرائيلية**) وشركة سوليل بونيه (**مقاولات البناء والإنشاءات**) العالمية النشاط ، وبنك ليئومى وغيرها حيث يتم تزويدها بالمواد الدعائية[1] .

ـــ الإشراف على تنظيم المعارض الصناعية والتجارية بمختلف دول العالم وتزويدها بالمنشورات الدعائية .

٧ ـــ الدوائر الدعائية التابعة لوزارة الدفاع الإسرائيلية .

(أ) **دائرة التعاون والارتباط الخارجى** : وتضم أقساماً هى قسم مساعدة الأقطار الأجنبية وقسم أمريكا اللاتينية . وقسم الأقطار الأفريقية الناطقة بالفرنسية . وقسم اختيار المدربين للعمل فى الخارج وقسم الأبحاث والمنشورات .

(ب) **دائرة العلاقات العامة** : ومهمتها توجيه الإعلام الإسرائيلى الداخلى لاسيما الموجه منه لأفراد الجيش . وتتولى إصدار المنشورات والكتب المتنوعة والمجلات الأسبوعية والشهرية وأهمها مجلة (**بماحانيه**) أى « **الثكنه** » .

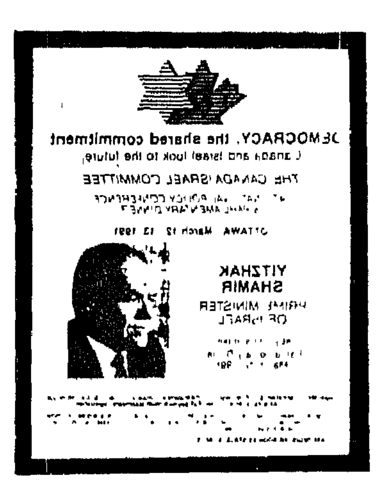
(جـ) **دائرة الاستخبارات العسكرية « أمان »** : وتتبع وزير الدفاع . ومهمتها جمع المعلومات العسكرية والاستراتيجية عن الخصوم تمهيداً لنشر دعايات مضادة لهم .

---

(١) عبدالرحمن أحمد سليمان : إسرائيل بعد الزلزال الهيئة المصرية العامة للكتاب ـــ القاهرة ١٩٧٥ ص ١٠٧ .



منشور دعائى اسرائيلى يدعو لزيارة اسرائيل . وقضاء ستة أسابيع ممتعة فى مخيم بيتار السياحى ، منها أربعة أسابيع زيارة لأنحاء البلاد ولقواعد جوية سرية ولمرتفعات الجولان السورية وأسبوعين فى أحد الكيبوتزات حيث يعمل الزائر بنفسه ويمارس حياة الموشاف الفريدة كل هذا وأكثر مقابل ١٤٩٥ دولاراً فقط .



ملصق حائط دعائى يهودى يدعو لحضور ندوة يحضرها إسحاق شامير رئيس وزراء اسرائيل . عنوان الندوة « كندا وإسرائيل : التطلع إلى المستقبل » .

٨ ـــ دائرة الحرب النفسية التابعة للاستخبارات الإسرائيلية .

وتعمل هذه الدائرة التابعة للموساد بالتعاون مع دائرة الاستخبارات العسكرية ودائرة الإعلام التابعة لوزارة الخارجية ومركز الإعلام التابع لوزارة الإعلام على تشكيل ما يعرف باسم « غرفة العمليات الدعائية » وفيها يتم تجميع المعلومات الواردة من شبكة التجسس والواردة من الأنباء الصحفية والتعليمات الصادرة إلى الغرفة من رئيس الوزراء ومجلس أمن الدولة (فاعادات) والبحوث الصادرة عن مركز البحوث بوزارة الخارجية معاً ليتم سك أو اختراع دعاية سياسية لتخدم مصالح اسرائيل .

٩ ـــ مجالس الصداقة :

عمدت إسرائيل إلى تنظيم جمعيات الصداقة مع البلاد الاجنبية عن طريق إنشاء مجالس لها على أساس جغرافى مثل : المعهد المركزى للعلاقات الثقافية الاسرائيلية فى أمريكا اللاتينية ، ومجلس الصداقة الإسرائيلية الأفريقية ، ومعهد العلاقات الثقافية الإسرائيلية اليونانية ، ومجلس الصداقة الاسرائيلية الأسيوية .

١٠ ـــ وبالإضافة إلى هذه الأجهزة فثمة دوائر أخرى كثيرة تعمل فى مجال الإعلام والدعاية الداخلية منها :

ـــ دائرة العلاقات الخارجية فى الوكالة اليهودية .

ـــ الاتحاد العام للعمال اليهود ـــ الهستدروت .

ـــ مؤسسة السياحة الإسرائيلية الحكومية .

ـــ المنظمات الطلابية الإسرائيلية .

ـــ جمعية المحاربين القدماء الإسرائيلية .

ـــ شركة العال **EL-AL** للطيران .

ـــ نادى الروتارى الإسرائيلى[١] .

١١ ـــ السينما :

السينما هى إحدى الوسائل الدعائية الإسرائيلية . ورغم أنها ليست بالكم الكبير من ناحية حجم الإنتاج ، إلا أن اعتمادها على « **الكيف** » من جهة وعلى محاباة

---

(١) الحرب النفسية الإسرائيلية . مرجع سابق ص ٣٤

« **المهرجانات الدولية** » من جهة أخرى جعلها أداة هامة من أدوات الدعاية .

ومجال السينما فى إسرائيل لا يقتصر على أعمال السينما المنتجة فى إسرائيل وإنما يتعداه إلى عدة ميادين ذات توجهات صهيونية منها :

ـــ **ميدان الإنتاج السينمائى الإسرائيلى** : وتعتبر شركة « **كانون** » الاسرائيلية التى يملكها « **مناحم جولا** » وابن عمه جلوباس هى أكبر أخطبوط سينمائى إسرائيلى .

ـــ **ميدان الإنتاج السينمائى العالمى المشترك** : حيث تشترك شركة كانون مع شركات غربية لإنتاج أعمال سينمائية أو تليفزيونية . مثل شركة ميكانون للتوزيع والانتاج التليفزيونى بأمريكا .

ـــ **ميدان الإنتاج العالمى** : حيث يشارك إسرائيليون بأموالهم فى إنتاج أفلام تدعم الدعاية الاسرائيلية غير المباشرة لحساب شركات إنتاج غير إسرائيلية .

ـــ **ميدان التعاون الخفى** : والذى يتم من وراء الستار مع الشركات العالمية التى يمتلكها يهود .

ـــ **ميدان التعاون الشخصى مع السينمائيين العالميين** : حيث يتم استقدام ممثلين عالميين للقيام بأعمال سينمائية إسرائيلية ـــ كالممثلة « **جين فوندا** » ـــ أو لزيارة إسرائيل واستغلال هذه الزيارة للدعاية الاسرائيلية .

١٢ ـــ أحصنة طروادة :

وتعتبر كل مجالس الصداقة والدوائر الاسرائيلية التى لها فروع فى الخارج مثل شركات الطيران والملاحة ونوادى الروتارى والبعثات الدبلوماسية والقنصليات المشار إليها سابقاً بمثابة أحصنة طروادية تعمل على اختراق الدول التى تتواجد بها ، **وتخدم دولة إسرائيل** فى عدة نواحٍ :

ـــ **الغزو الثقافى الإسرائيلى** .

ـــ **نشر الدعايات الإسرائيلية** .

ـــ **التجسس لصالح إسرائيل** .

وبالإضافة لما هو مذكور سابقاً نضيف القائمة التالية التى تعمل وفق تلك الأهداف :

١ ــ **المراكز الأكاديمية الإسرائيلية**[1] : وتنتشر فى معظم دول العالم خاصة أوربا وأفريقيا والولايات المتحدة .

٢ ــ **المراكز الإعلامية الإسرائيلية** : وهناك أربعة مراكز رئيسية فى نيويورك وباريس وبيونس آيرس وزيورخ .

٣ ــ **جمعيات الصداقة مع إسرائيل** : وتنتشر فى كافة البلاد الأوربية الغربية وأمريكا وبعض البلدان الأسيوية .

٤ ــ **المعاهد الثقافية الإسرائيلية** : وهى كذلك تنتشر فى أوربا الغربية وأمريكا وأمريكا اللاتينية .

٥ ــ **الطلاب الإسرائيليون فى الخارج** : حيث يتم تثقيفهم صهيونياً وذلك لمواجهة نشاط الطلاب العرب التلقائى فى الجامعات الأوربية والأمريكية .

٦ ــ **التنظيمات الصهيونية واليهودية فى الخارج وهى :**

- المنظمة الصهيونية العالمية : وفروعها تسمى بالاتحادات الصهيونية .
- الوكالة اليهودية : ومكاتبها تسمى بالجمعيات والمنظمات مثل :

(أ) منظمة هداسا .
(ب) منظمة النساء اليهوديات .
(جـ) منظمة الشبيبة اليهودية .

---

(١) فيما يخص المركز الأكاديمى الإسرائيلى بمصر (القاهرة ٩٢ ش النيل) تجدر الإشارة إلى أن أول رئيس له (شيمون شامير) طردته مصر بتهمة التجسس ، إلا أن إسرائيل قامت بفرضه على مصر سفيراً ، فأصبح أول سفير جاسوس رسمى . وتولى من بعده « جبرائيل وأربورج » وهو أحد خبراء الموساد وسبق له العمل فى الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية (أمان) ، والآن يرأس المركز « آشير عوفاريا » وهو أكثر خطورة من سابقيه ، ويعمل المركز على توزيع المنشورات والكتيبات الدعائية إضافة إلى مساعدة الباحثين الإسرائيليين فى التجسس على مصر بدعوى البحث العلمى الأكاديمى (فتحى شهاب الدين : حصان طروادة الصهيونى ــ مقال بمجلة المهندسين العدد ٤١٦ أغسطس ص ٤٢ ــ ٤٤) .

(د) الصندوق القومى اليهودى .

(هـ) النداء الإسرائيلى المتحد[1] .

*** وللتعرف بالتفصيل على بعض وسائل الحرب النفسية الإسرائيلية التى يتم بها نشر الدعايات الإسرائيلية ، فلننظر فى تلك الوسائل المستخدمة داخل إسرائيل ، وتلك التى تستخدمها دعائياً فى الخارج :**

● فمن وسائل الدعاية المستخدمة فى داخل إسرائيل والتى يراد منها التأثير على اتجاهات صُناع القرار والرأى العام المحلى فى الدول المختلفة فإن إسرائيل تتبع الوسائل الآتية :

١ ــ **الضيافة** : حيث تقوم باستضافة بعض الأشخاص وبصفتهم الشخصية البحتة كما تستضيف البعض بصفتهم الرسمية ، والشرط الوحيد غير المُعلن هو أن تتوافر بأولئك الضيوف مؤهلات تجعلهم ــ إن لم يكن اليوم فغداً ــ ذوى مكانة ونفوذ فى بلادهم .

٢ ــ **تنظيم المؤتمرات والمهرجانات** : وتحرص على عقدها وحضورها لتؤكد من خلالها مقولاتها الدعائية وطروحاتها النفسية .

٣ ــ **الدورات التدريبية** : وتدعو لمثل هذه الدورات تحت شعار (**الإفادة من التجربة الإسرائيلية الخاصة**) وتحرص على أن يكون المتدربون شُباناً مؤهلين للوصول إلى مناصب فى بلادهم ، وعلى أن تكون التجربة (**مما يبعث الحنين إليها باستمرار**) وكما أن للشباب دوراتهم فى الجيش وغيره من المرافق ، مع تقديم نموذج الشبيبة الطلائعية كما فى (**الناصال والجادناع**) وهو نظام يجمع إلى جانب التدريب العسكرى العمل فى الحقول الزراعية والتنمية الاجتماعية[2] .

٤ ــ **الدعاية عن طريق الاغراء الجنسى** : فمن أجل بعث الحنين باستمرار إلى ضيوف اسرائيل ومن أجل تسريب الدعاية عن طريق الغرائز ، تعمد إسرائيل إلى

---

(١) الحرب النفسية الإسرائيليه مرجع سابق ص ٣٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٥ .



مجلات ومنشورات دعائية يصدرها « حصان طروادة » الاسرائيلى فى مصر : « المركز الاكاديمى الاسرائيلى » .



المظاهرات ، وسيلة دعائية اسرائيلية تستهدف جذب العطف عن طريق التذكير بالهولوكوبست .

استخدام الجنس لإقناع السياسيين الكبار الذين يحضرون إلى إسرائيل ، بصحة قضايا دعائية معينة ، **حيث تشرف وزارة الخارجية على تقديم المتعة الجنسية للضيوف الأجانب ، وهى متعة يشوبها إقناع الداعرات اليهوديات لضيوفهن بالدعايات الإسرائيلية من جهة ، والحصول منهم على معلومات من جهة أخرى . وقد خصصت وزارة الخارجية فريقاً من أجمل النساء يعرف باسم «فريق الحب» مهمته تقديم المتعة الرخيصة للضيوف الأجانب ، وهو فريق محترف ومدرب تدريباً جيداً بحيث يستطيع تجاذب الحوار السياسى فى وسط الفاصل المستمر من القبلات ، وبحيث يمكن له تسريب الدعاية إلى الزائر .**

٥ ــ **تخليد الصداقات** : من خلال تسمية أسماء الشوارع بأسماء شخصيات غير يهودية قدمت خدمات لإسرائيل أو منح الميداليات للذين ساعدوا اسرائيل .

٦ ــ **ترجمة الأعمال الأدبية** : لبعض زعماء ومشاهير العالم .

٧ ــ **استغلال السياحة والسياح كمدخل للمقولات الإعلامية الدعائية وذلك :**

ــ باعتبارها (**الأرض المقدسة**) وخلق الارتباط بأن وجود الأرض المقدسة مرتبط بوجود دولة اسرائيل .

ــ بالتركيز على الدعاية السياحية فى الكيبوتزات (**قرى العمل الجامعى**) .

ــ بتشجيع السياح الشباب والكبار عملًا بمبدأ التركيز على من هم لهم نفوذ أو ينتظر لهم ذلك فى بلادهم .

• ومن وسائل الدعاية الإسرائيلية المستخدمة خارج إسرائيل نذكر :

١ ــ **فريق الحب التابع للموساد** : حيث اهتم جهاز الاستخبارات الإسرائيلى بنشر فريق حب آخر فى مختلف أصقاع أوربا والولايات المتحدة وبالذات فى مدينة نيويورك ، ليقدم خدماته الجنسية الممزوجة بالرغبة فى استمالة المخدوم من مندوبى الدول المختلفة فى الهيئات الدبلوماسية ليستمر فى تأييده لإسرائيل داخل الأنفاق السياسية ودهاليز هيئة الأمم المتحدة وكواليسها .

٢ ـــ **توجيه الدعوات إلى نجوم السينما العالمية أو مشاهير كرة القدم لزيارة الكيان الإسرائيلى** ، مع استغلال كل حرف تنبث به شفاة هذه النجوم لصالح إسرائيل وإبرازه إعلامياً .

٣ ـــ **تصدير الخبراء العسكريين .. إلى الدول التى تحتاج إلى الخبرة العسكرية** وخاصة الدول الأفريقية ودول أمريكا اللاتينية .

٤ ـــ **عرض الإنتاج الثقافى والفنى الإسرائيلى بإرسال فرق فنية** وتنظيم المعارض وفتح المعاهد للثقافة اليهودية .

٥ ـــ **إدعاء الدفاع عن حقوق الإنسان كلما أمكن ذلك** ودون أن يمس ذلك علاقاتها مع الدول الاستعمارية .

٦ ـــ **الاتصالات الإسرائيلية الشخصية** فى الخارج ، وتتم من خلال الزائرين الإسرائيليين بالبلد المعنى ، ولا يتم هذا عن طريق البعثات الدبلوماسية حتى لا يثير الشبهات السياسية .

٧ ـــ **استغلال الكوارث الدولية** : ففى فترات المجاعة والكوارث الطبيعية تفتعل إسرائيل مواقف الحريص على أداء المجاملات الدولية لتجميل صورتها البشعة ، ويتم ذلك عن طريق المؤسسات الحكومية وغير الحكومية وبإرسال المعونات « **العينية** »والمتطوعين لترك الانطباع عن مدى (المشاركة الشعبية الإسرائيلية التلقائية !) .

ولكن لمن يوجه الإعلام الإسرائيلى ؟ ولمن يوجه دعاياته ؟

الإجابة عن مثل هذا السؤال تقتضى أن نعلم أن الإعلام يعانى من حالة « بارانويا دعائية » بمعنى أنه مزدوج الدعاية ويتحدث فى ذات الموضوع بوجهين إن لم يكن أكثر . فهو يوجه دعاياته إلى أكثر من طرف بطريقة مختلفة وفى مسألة الهجرة لدينا أربعة أو خمسة وجوه من الدعايات الإسرائيلية :

الوجه الأول : يظهر للإسرائيليين أنفسهم وهو وجه صديق وبه يتم تصبيرهم على بلواهم !

والوجه الثانى : يظهر لليهود المقيمين خارج إسرائيل وبه يدعوهم إلى الهجرة إلى الجنة الموعودة !

والوجه الثالث : يظهر للأميين (غير اليهود) المقيمين فى أوروبا الغربية وأمريكا يحثهم على الضغط على الاتحاد السوفيتى للسماح لليهود بالهجرة !

والوجه الرابع : يظهر للأميين (غير اليهود) المقيمين فى الاتحاد السوفيتى ودول أوروبا الشرقية ويطالبهم فيه بمزيد من الحريات السياسية لليهود ويحذرهم من مخاطر استمرار تواجدهم فى تلك الدول !

والوجه الخامس : يظهر للأميين (العرب) وهو وجه عدوانى شرس يتم من خلاله بث الدعايات عن حق اليهود فى الهجرة إلى أرض الميعاد ووطنهم التاريخى وعن حقهم فى نقاء جنسهم على أرضهم الموعودة !

وهذا ويركز المخطط الدعائى الإسرائيلى فى الوقت الحاضر فى عدة اتجاهات يراد بها دعم صورة إسرائيل فى الرأى العام العالمى كما رسمتها إسرائيل لنفسها وهذه الاتجاهات هى :

١ ـ إسرائيل حقيقة تاريخية لها حق الوجود فى أرض إسرائيل بما لها من حق تاريخى فى أرضها ولكونها دولة قائمة لها حق البقاء !

٢ ــ شخصية دولية عالمية تفنى فى وجودها القومية النسبية لترتفع إلى مستوى الحقيقة الفكرية معبرة بهذا عن وجود يرفض التقيد بأى زمان أو مكان !

٣ ــ قطعة من العالم الغربى ، منطقها ، حياتها ، ظروف معيشتها ، أبناءها ، أو كما يؤكد الكاتب الفرنسى « **بليزيه** »الصهيونية هم غربيون !

٤ ــ دولة لا غنى عنها بالنسبة للعالم الغربى ، حيث أنها خادم الغرب المطيع ، وضرورة لحفظ الحضارة الغربية من الخطر العربى والوحشية العربية حيث أنها ــ أى إسرائيل ــ الامتداد الطبيعى للحضارة الغربية !

ــ دولة ديمقراطية ذات طبيعة تكنولوجية وسط دول ديكتاتورية وعرب متخلفين لا يبغون سوى إلقائها فى البحر !

ـ دولة محبة للسلام وتتوق إليه . لكن البحر العربى المحيط بها يجعلها مضطرة لحمل السلاح وفى وضع استعداد دائم لدرء العدوان العربى !

وكل تلك مقولات تحمل طابع الأسطورة السياسية ، وسيجد القارىء رداً مفصلاً عنها فى الفصول القادمة .

أما الدعاية اليهودية فهى الربيب الأول للدعاية الإسرائيلية ، غير أن الابن (الدعاية الإسرائيلية) أصبح فى الوقت الحاضر ، هو « **العائل** »للأب (الدعاية اليهودية) وهو الموجه له ، بعد أن كان الأب وطوال عشرات القرون يوجه نفسه بنفسه .

وتاريخ الدعاية اليهودية يعود إلى أيام « عزرا » فى القرن السادس قبل الميلاد . وعزرا هذا هو « النبى اليهودى » !! الذى أعاد كتابة التوراة بعد أن كانت مفقودة ، أو بالمعنى الأدق أعاد تأليف التوراة الحالية من مخيلته فدس فيها الكثير من الأساطير والدعايات الموجهة ضد الشعوب المجاورة له من جهة ، والداعية إلى حقوق يهودية فى أراضى تلك الشعوب من جهة أخرى ، وعلى هذا يعتبر « عزرا » هو مؤسس الدعايات اليهودية الأول ، وهو مزيف اليهود الأول ، فى حين يعتبر مؤلفو الأسفار التى تم تدوينها بعد عهد عزرا تلاميذ له . بينما يعتبر مدونو التلمود هم الرواد الأول للدعاة اليهود حيث ضمنوا تلمودهم الكثير والكثير من الدعايات الموجهة التى تهدف إلى خدمة أغراض اليهود المادية والمعنوية ، والانتقام من أصحاب الديانات الأخرى وذلك بالدس لهم عند الحكام أو بالسعى لتصفيتهم فرادى ، وكما هى عادة اليهود حتى اليوم كانت محاولاتهم عبر التاريخ فى إفناء أعدائهم وخصومهم هى دليلهم الذى تطبقه الآن عصابة « الموساد »باغتيال خصومها .

التلمود كتاب ضخم يضم ألوف الصفحات التى تحدث اليهود فى كل مكان عن الذى يأكلونه ويشربونه ويفعلونه مع القريب ومع الغريب ، وعن التجارة والسرقة والنهب والسلب وعن الزواج والقتل وعن الحرب وعن الأسرى وعن غير هذا كثير . ومن هذا الكثير نختار هذه الباقة الخطرة من النصوص التلمودية التى تخبر عن فحوى آلاف الصفحات التى يضمها هذا

الكتاب الذى اتخذه الدعاة اليهود مرجعا لهم :

• الخارجون على دين اليهود خنازير نجسة ، وقد خلق الله الأجنبى على هيئة إنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم .

• يحق لليهودى أن يغش غير اليهودى . ولا بأس من إدعاء محبة غير اليهودى إذا خاف اليهودى من أذاه !

• السرقة من غير اليهودى تعتبر استرداداً لمال اليهودى ، فأموال غير اليهود مباحة لكل اليهود !

• قتل الشخص الصالح من غير اليهود ، ومحرم على اليهودى أن ينجى أحداً غير اليهود من هلاك أو أن يخرجه من حفرة وقع فيها ، بل عليه أن يسدها بحجر !

• الفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهودى وباقى الشعوب ، إذ تتميز أرواح اليهود عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله ، كما أن الابن جزء من والده ، وأرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقى الأرواح ، لأن الأرواح غير اليهودية هى أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات !

وقد تلى رواد التلمود مفكرون يهود أحسنوا استغلال مواهبهم الشخصية فى الدعاية ضد المسيحية من جهة وضد باقى الأديان من جهة أخرى، الأمر الذى انعكس على أحوال اليهود فى أوروبا المسيحية فتعرضوا للتنكيل والقهر من قِبَل الكنيسة الكاثوليكية . بينما سارت أمورهم فى العالم الاسلامى على خير ما يرام ، وذلك لا بسبب سلوكهم الجيد ــ الذى لم يظهر فى أى مناسبة ــ ولكن بسبب حُسن وسماحة الدين الإسلامى .

وما أن زالت سلطة الكنيسة المسيحية حتى قفزت الدعايات اليهودية مستغلة الاضطهادات التى تعرضوا لها مخترعة أسطورة العداء اليهودية ومتهمة كل من يحاول أن يوجه النقد لهم بأنه معاد لليهودية فى حين حاولت هذه الدعايات التوجه إلى اليهود عازفة لهم على عدة أوتار أخرى منها :

• **تأكيد نزعة الخوف** وعدم الثقة فى الآخرين لدى اليهود وذلك لإجبارهم على البقاء فى أحياء الجيتو لتدعيم الجو الانطوائى من جهة والمحافظة على تماسكهم كأقلية من جهة ثانية .

• **إيقاظ مركب العظمة** بسبب شعورهم بأنهم منتمون إلى الشعب المختار ، الشعب الذى اختار الرب ، لا الذى اختاره الرب ! وهى حالة منفردة فى التاريخ لأنهم لو لم يختاروه لظل هذا الرب حائراً لا يجد من الأتباع من يعبدهْ (!) .

• **إيقاظ العنصرية اليهودية** فى اليهود وأفهامهم أنهم شعب نقى الجنس لم تندس بينه أجناس أخرى من تلك التى تشبه البهائم .

• **إيهام اليهود بأن فلسطين هى أرض الميعاد** التى يجب أن تتوجه لها كل أنظار اليهود تمهيداً للعودة لها ، وبأن لهم حقوقاً تاريخية فى أرضها قلباً وقالباً .

ومع حلول القرن التاسع عشر ، قرن الامبراطوريات الاستعمارية العظمى تبلورت لدى قادة اليهود الوسائل التى سيتم بها تحقيق رغباتهم لتتحول من القصص الأسطورى إلى الواقع التاريخى وهى وسائل استمدوا أساسياتها من تلمودهم . ولعل أهمها :

١ ــ الكذب المتكرر والمعاد برتابة دورية .

٢ ــ الإغراء المادى .

٣ ــ الضغط النفسي والمعنوى .

٤ ــ إعمال الحدس والتخمين والتنسيق بين النتائج للحصول على التوقعات التى سيسلكها أعداؤهم وأصدقاؤهم لتفادى الأضرار من جهة والحصول على المكاسب من جهة أخرى .

٥ ــ شراء الأقلام الإعلامية وذلك بالإغراء المادى باستخدام الذهب تمهيداً للاستيلاء على المؤسسات الصحفية .

٦ ــ التقدم العلمى اليهودى والتقدم السياسى تمهيداً للوصول إلى أرباب السلطة .

٧ ــ استخدام السلاح ضد من يقف فى وجه هذه العنصرية أو يحمى نفسه من خطرها .

٨ ــ التجسس على الأعداء والأصدقاء للوقوف على آخر التطورات

واستغلالها لصالحهم .

وقد تبلورت كل هذه المبادئ أو الوسائل فى كتاب ضخم وضعه لهم أحد خبثائهم ، وهو الكتاب المعروف الآن بـ « **بروتوكولات حكماء صهيون** »[1] وكان الأجدر أن يسمى « **برتوكولات خبثاء صهيون** » لأن ما به يدل على خبث لا تصل إليه حتى الأبالسة .. وإليكم هذه الباقة الأخرى « **الخطرة** » من البروتوكولات التى تستهدف تحقيق السيطرة الكاملة على العالم :

• إن أروع النتائج التى يمكن الحصول عليها فى سبيل حكم العالم تتحقق باستخدام العنف والتهديد والإرهاب . وليس بالمناقشات الأكاديمية . والسياسة لا تتفق بشئ مع الأخلاق . إن الملك الذى يخضع لقواعد الأخلاق ليس بسياسى ماهر . فإن الذى يريد أن يحكم يجب أن يلجأ إلى الحيلة والنفاق .

يجب أن يكون شعارنا : كل وسائل العنف والخديعة .

إن القوة المحصنة هى المنتصرة فى السياسة وبخاصة إذا كانت مقنعة بالألمعية اللازمة لرجال الدولة .. يجب أن يكون العنف هو الأساس . (برتوكول رقم (1)) .

• إن نصرنا يرجع الى أننا كنا دائماً نركز جهودنا فيما يمكن أن يؤثر على العقل البشرى مستغلين مواطن الضعف فى ضحايانا أمام إغراء المال والنساء وجشع الإنسان وأطماعه .. إن الصحافة التى فى أيدى الحكومات القائمة هى القوة العظيمة التى بها نحصل على توجيه الناس . فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجمهور وتعلن شكاوى الشاكين وتولد الضجر أحيانا بين الغوغاء ، إن تحقيق حرية الكلام قد ولد فى الصحافة . غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستخدم هذه القوة بالطريقة الصحيحة فسقطت فى أيدينا . ومن خلال الصحافة أحرزنا نفوذاً ، وبقينا من وراء الستار . وبفضل الصحافة كدسنا الذهب ولو كلفنا ذلك أنهاراً من الدم ، فقد كلفنا التضحية بكثير من جنسنا ، ولكن كل تضحية من

---

(1) الخطر اليهودى برتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة محمد خليفة التونسى . منشورات المركز الإسلامى للطباعة والنشر — القاهرة — ب ت .

جانبنا تعادل آلافاً من الأميين (غير اليهود) . « أمام الله »(البرتوكول الثانى

• لنعد إلى مستقبل النشر ، كل إنسان يرغب فى أن يصير ناشراً أو كاتباً أو طابعاً ، سيكون مضطراً الى الحصول على شهادة ورخصة ستسحبان منه إذا وقعت منه مخالفة .. إن الأدب والصحافة هما أعظم قوتين تعليميتين خطيرتين ، ولهذا السبب ستشترى حكومتنا العدد الأكبر من الدوريات . وبهذه الطريقة نعطل التأثير (السيىء) المضاد لكل صحيفة مستقلة ونظفر بسلطان كبير على العقل الإنسانى ، (البرتوكول رقم ١٢) .

• حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض ، فلن نبيح قيام أى دين غير ديننا ، ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان ، وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هى إثمار ملحدين . فلن يدخل هذا فى موضوعنا . ولكنه سيضرب مثلًا للأجيال القادمة التى ستصغى إلى تعليمنا على دين موسى الذى وكل إلينا بعقيدته الصارمة (بروتوكول رقم ١٤) .

• سنغير الجامعات ونعير إنشاءها حسب خططنا الخاصة . وسيكون رؤساء الجامعات وأساتذتها معدين إعدادا خاصاً ، وسيلته برنامج عمل سرى متقن . سيهذبون ويشكلون بحسبه ، ولن يستطيعوا الانحراف عنه بغير عقاب ، وسيرشحون بعناية بالغة (بروتوكول رقم ١٦) وقد شرع اليهود بقيادة « **زفى هيرش كاليشر** » و« **مودس هيس** » و« **ليوبنسكر** » و« **آشر غينمزبرج** » ثم « **تيودور هيرتزل** » بعد ذلك فى تطبيق هذه المبادىء الخبيثة بكفاءة منقطعة النظير ، فتكونت كثير من الجمعيات والمنظمات التى تولت التخطيط ورسم الطريق أمام اليهود لتحقيق الأهداف التى وضعها « **خبثاء صهيون** » . « **ولم تبق خططهم سرية ، فهناك نص لخطبة ألقاها الحاخام « Rerichorn » فى اجتماع سرى وأعده اليهود على قبر قديسهم سيمون بن يهوذا فى مدينة براج سنة ١٨٦٩ ونشرت الوثيقة مجلة Contemporain فى عددها بتاريخ أول يوليو ١٨٨٠ من قبل السير جون روكليف ، وفى نصها هذه الفقرة التى تدل دلالة دامغة على ارتباط المخططات الصهيونية بالدعاية .**

• **إذا كان الذهب هو القوة الأولى فان الصحافة هى القوة الثانية التى لا تعمل**

من غير الأولى ، فعلينا بواسطة الذهب أن نستولى على الصحافة ونبذل المال لمن نجد نفوسهم مفتوحة لتقبل الرشوة ، وحينما نسيطر على الصحافة نسعى جاهزين إلى تحطيم الحياة العائلية والأخلاق والدين والفضائل(١) .

ولاشك أن الفقرة تدل على مدى « **الوعى الدعائى** »الذى تمتع به اليهود من جهة ومدى استغلالهم للأدوات الدعائية التى خضعت فيما بعد لأهوائهم ، فبعد عشرين عاماً فقط من تاريخ الاجتماع على قبر القديس سيمون ـــ الملعون ـــ ذكرت صحيفة **The Graphie** اللندنية فى عددها بتاريخ ٢ يوليو ١٩٨٩ ما معناه .

إن الصحافة فى القارة [الأوروبية] واقعة إلى حد كبير تحت سيطرة اليهود . وفى نفس الوقت استطاع بعض اليهود عن طريق المال الحصول على مناطق نفوذ وسلطة داخل بعض الحكومات . وعن طريق المال أيضاً كان البارون اليهودى ـــ الأخطبوط ـــ روتشيلد ، وهو واحد من أغنى أغنياء زمانه ، قد مول إنشاء مزرعة جماعية لليهود فى فلسطين بعد عشر سنوات من الاجتماع عند قبر القديس سيمون ، وقد أسس اليهود هذه المزرعة قرب القدس وعرفت فيما بعد باسم « **تباح تكفا** » ، أى عتبة الأمل . وقد ظل هذا البارون . والوسيط بين اليهود والرأسمالية الاستعمارية ، خلال خمسين سنة بعد ذلك يدفع لهذه الهجرة ، فوظف لحركة الاستيطان الاستعمارية والاستثمارية (حتى موته سنة ١٩٣٤) ما مقداره ١٥٠ مليوناً من الفرنكات الذهبية .

وكان اليهود بعد نحو ١٣ سنة من اجتماع قبر القديس سيمون ، قد أسسوا واحدة من أهم جمعيات اليهود ، وهى جمعية « **أحباء صهيون** » أو « **البيلون** » . وكانت هذه الجمعية هى النواة الأولى لتكوين دولة إسرائيل . حيث أرسلت الجمعية عام ١٨٨٢ ، ثلاثة عشر رجلًا وامرأة واحدة نزلوا إلى فلسطين وبالتحديد فى ميناء حيفا حيث أسسوا أول مستعمرة زراعية أجنبية فى فلسطين ، سميت باسم « **ريشيون ليتسيون** » أى الأول فى صهيون . وقد تحول هذا الأول فيما بعد إلى دولة كاملة وتحول الأربعة عشر مهاجراً إلى أربعة ملايين مستعمر .

وتكمن خطورة جمعية أحباء صهيون فى أنها تحولت بالدعاية اليهودية من الدعوة إلى وطن روحى لليهود الى تحقيق وطن فعلى لهم على أرض فلسطين .. وبعد

(١) فن الدعاية والمخطط الصهيونى ، مرجع سابق ص ٩٣ — ٩٤ .

جمعيه احباء صهيون تأتى فى مرتبة « الخطورة » . « اللجنة التنفيذية الصهيونية العالمية » التى أنتشئت بعد عقد أول اجتماع للصهاينة فى مؤتمر « بال » بسويسرا عام ١٨٩٧ .. وقد اشتملت اللجنة التنفيذية الصهيونية العالمية على ٢٣ دائرة ، كل دائرة تشتمل على عدة دوائر فرعية أخرى . ومن الدوائر الرئيسية نذكر .

دائرة المالية ، دائرة الدعاية ، دائرة المهاجرة ، الدائرة الفنية ، الدائرة الزراعية ، دائرة المستعمرات ، دائرة المستعمرات الخاصة والشركات ، دائرة الشباب والتربية ، دائرة الثقافة ، دائرة الإدارة العامة ، دائرة المحفوظات الصهيونية وغيرها ..

وقد أنيط بدائرة الدعاية بث الدعايات واختراع الأساطير وتلفيق الأكاذيب من أجل خدمة أهداف الصهيونية ، فى حين أنيط بدائرة الثقافة بث هذه الأساطير فى نفوس اليهود ، وتنحية أحاسيسهم الوطنية . بينما أنيط بدائرة المستعمرات وإنشاء الشركات العالمية لاستعمار فلسطين ، ومنها الشركة اليهودية الاستعمارية ـــ هكذا كان اسمها فى عصر الاستعمار الذهبى ـــ برأس مال قدره مليونان من الجنيهات . وقد تفرع عن هذه الشركة عديد من الفروع ، منها : « الوكالة اليهودية لشراء الأراضى فى فلسطين » . كما أنشأت فيما بعد عدداً من الصناديق لجمع التبرعات ، منها : الصندوق القومى اليهودى المعروف « بالكيرن كايمت » ، والصندوق اليهودى المتحد المعروف « بالكيرن هايسود » كما أنشأت الهيئة الدينية اليهودية الرئيسية التى أشرفت على شئون اليهود الدينية فى العالم بأجمعه ، **كما كانت لكل هذه الهيئات والصناديق واللجان السابق الحديث عنها ، فروع منتشرة فى كافة أنحاء المعمورة ، ساعدت على تحويل الأفكار والآراء اليهودية الصهيونية ، والأساطير اليهودية من مجرد الفكرة إلى الواقع المأساوى الذى تعيشه فلسطين الآن حيث تحولت العصابة اليهودية إلى دولة اسرائيل ، التى قامت على عدد من الأساطير والأكاذيب الدعائية ، بدءاً من أسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض ومروراً بأسطورة إعدام ستة ملايين يهودى فى أفران الغاز ، وهى الأسطورة التى فندنا أكاذيبها فى كتابنا « الأكذوبة الكبرى » ، ووصولاً إلى الأساطير التى أخترعتها إسرائيل فى حربها مع العرب**

عام ١٩٤٨ وفى حروبها التالية مع العرب ، فبعد إنشاء إسرائيل ظهرت مجموعة كبيرة من الأساطير التى حبكها الإعلام اليهودى والصهيونى بمهارة فائقة ، وأدخل نسيجها فى نسيج أساطير أخرى قديمة ، وأعاد لُحمة أساطير قديمة بوقائع حديثة استغلت كل الأحداث السياسية والتاريخية والحربية بين إسرائيل والعرب فى تشويه صورة العرب من جهة وإظهار إسرائيل بصورة الجزيرة المحاطة ببحر من الأعداء .

ولعل إلقاء نظرة ثاقبة على تاريخ الدعاية اليهودية والإسرائيلية يتضح لنا منها أنه مر بعدة مراحل ، أهمها :

- **مرحلة الدعاية الدينية المغرضة والمرتكزة على تأليف نصوص التوراة** . وهى المرحلة التى بدأها عزرا ، وانتهت بانتهاء تدوين نصوص التوراة فى القرن الأول الميلاد .

- **مرحلة الدعاية التأويلية المغرضة المرتكزة على تفسير نصوص التوراة داخل التلمود** ، وتطويعها لخدمة اليهود وهم فى عصر الشتات حيث انتشر اليهود فى كافة أقطار الأرض ، وعاشوا عصر الجيتو الاختيارى .

- **مرحلة الدعاية اليهودية «الحديثة الأولى» التى بدأها خبثاء أو حكماء صهيون** ، فوضعوا اللبنة الأولى لصرح الدعاية الصهيونية الحديثة .

- **مرحلة الدعاية التطبيقية التى أعقبت مؤتمر «بال»** وفيها تم بنجاح تطبيق سياسة نشر الدعايات بين أوساط اليهود من جهة لدفعهم إلى الهجرة إلى فلسطين ، وبين الأغيار (غير اليهود) عن جهة أخرى لدفعهم لخدمة الوجود اليهودى فى فلسطين ، وقد تمخضت هذه المرحلة عن وعد بلفور المشئوم .

- **مرحلة الدعاية اليهودية ــ الإسرائيلية** ، وهى تلك الدعاية التى شرعت العصابة اليهودية بعد أن تكونت إسرائيل فى نشرها ضد العرب المحيطين بإسرائيل ، وفيها اعتمدت الدعاية اليهودية على الدعاية الإسرائيلية . ويمكن تمييز هذه المرحلة بعدة مراحل من الدعايات :

- الدعايات الإسرائيلية إبان وبعد حرب ١٩٤٨ .

ـــ الدعايات الإسرائيلية إبان وبعد حرب ١٩٦٧ .

ـــ الدعايات الإسرائيلية إبان وبعد حرب ١٩٧٣ .

ـــ الدعايات الإسرائيلية إبان وبعد معاهدة السلام مع مصر عام ١٩٧٨ .

ـــ الدعايات الإسرائيلية إبان وبعد حرب لبنان ١٩٨٢ .

ـــ الدعايات الإسرائيلية إبان وبعد الانتفاضة الفلسطينية فى أواخر ١٩٨٧ .

ـــ الدعايات الإسرائيلية إبان قبل وبعد حرب الخليج ١٩٩١ .

ـــ مرحلة الدعايات الإسرائيلية الحالية والتى فرضها ، الضغط الدولى على إسرائيل لحضور المؤتمر الدولى للسلام وهى مرحلة تعتمد قبل كل شئ على «إنسانية» توطين اليهود السوفيت فى الأراضى المحتلة !! وتهدف إلى :

□ **ضمان استمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين** تبريراً لوجودها من ناحية على اعتبار أنها دولة قائمة ، ولضمان غلبة العنصر اليهودى ـــ الديموجرافى ـــ على الوجود العربى الفلسطينى فى إسرائيل .

□ **تطوير إسرائيل بحيث** تصبح الدولة الكبرى فى المنطقة وذلك بزيادة وتحديث ترسانتها العسكرية وتنمية اقتصادياتها .

□ **توسيع نطاق الدولة الإسرائيلية** لاستيعاب حركة الهجرة المتزايدة إليها ، وتحقيق الحلم الإسرائيلى فى دولة تمتد من النيل إلى الفرات ، وفى هذا الصدد أغلقت الخطوط الخضراء بين إسرائيل ما قبل وما بعد حرب ١٩٤٨ .

□ **فرض الوجود الإسرائيلى على الدول العربية** ، بأسلوب الأمر الواقع ، وبحيازة الردع النووى الذى يهدد المنطقة العربية بأكملها .

□ **الفصل بين عملية توطين اليهود السوفيت فى الأراضى المحتلة باعتباره «مسألة إنسانية» ! وبين إعادة الأراضى الفلسطينية فى الضفة الغربية وغزة إلى العرب باعتبارها «قضية سياسية» !! .**

□ **التضخيم من القدرات العربية لإمتلاك قنابل نووية أو أسلحة غير تقليدية**

كالأسلحة البيولوجية أو الكيماوية ومطالبة العالم بمراقبة هذه القدرات حتى بعد نزع أنياب العراق النووية وتقليم أظافر أسلحتها الكيماوية مع الفصل بين امتلاكها هي كدولة حضارية لهذه الأسلحة وامتلاك العرب الذين لا يؤمن لهم جانب لها !

□ **التركيز على أهمية الاعتبارات الأمنية لإسرائيل** ، واعتبار أن مبدأ «الأرض مقابل السلام» لا يخدم أمن إسرائيل ، ويعتبر أول تطبيق له فى التاريخ !!

أما أهم وسائل وأدوات الدعاية اليهودية فى الوقت الحاضر فهى :

(١) الصحافة :

وليس سراً أن اليهود عامة يسيطرون سيطرة كبيرة على معظم دور الصحف فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا . وتتم هذه السيطرة من خلال عدة طرق :

ــ **سيطرة يهودية قمة** ، بامتلاك الدار الصحفية .

ــ **سيطرة يهودية مباشرة** ، من خلال رئيس التحرير اليهودى للصحيفة .

ــ **سيطرة يهودية صحفية** من خلال محررى ومراسلى الصحيفة الإسرائيليين .

ــ **سيطرة إعلانية يهودية** من خلال شراء المساحات الإعلانية للصحيفة ، لاستغلالها دعائيا من جهة ، ولاجبار دار النشر على مراعاة «خاطر» المعلنين اليهود فيما ينشر بالصحيفة من أخبار وتعليقات ومقالات .

ــ سيطرة جماهيرية يهودية ، من خلال كثافة عدد القراء الذين يشترون الصحيفة ويناقشون مقالاتها ، فيحتجون على ما هو ضد رغباتهم ويستحسنون ما هو لصالحهم . وتجدر الإشارة هنا إلى أن اليهود بحكم طبيعتهم التجارية يتمركزون فى المدن الرئيسية الكبرى كنيويورك ولوس أنجيلوس وبالتالى فهم يشكلون ــ بسبب ارتفاع نسبة التعليم ، وبسبب تعليمات المنظمات الصهيونية لهم ــ الأكثرية من القراء للصحف فى المدن التى ترتفع فيها نسبة أعدادهم .

وفيما يخص النوع الأول من وسائل السيطرة على الصحف ، يوجد نوعان من

وسائل السيطرة اليهودية القمة : النوع الأول يعلم القارىء أنها صحيفة يهودية ، باعتبار أن الصحيفة تعبر صراحة عن رأى لجنة أو منظمة أو رابطة أو هيئة أو جماعة يهودية ، وقد أورد الكتاب السنوى اليهودى الأمريكى لعام ١٩٧٣ قائمة بأسماء ١٦١ صحيفة ومجلة تصدر بالولايات المتحدة كدورية يهودية(١) . والنوع الثانى لا يعلم القارىء أنه يعبر عن رأى اليهود مالكى الصحيفة ، حيث لا يكتب على الصحيفة أى إشارة تدل على ديانة صاحبها أو مؤسسها إلا إذا كان القارىء فطناً بحيث يعلم أن اسم مالكها «يهودى» الطابع أو من سعة الاطلاع بحيث يعلم شخصية المالك ويدرك مذهبه الدينى أو الفكرى .

ويضيق بنا المقام لحصر الصحف التى تخضع للنفوذ اليهودى ، ولكن نشير إلى أسماء بعض هذه الصحف بالولايات المتحدة وبريطانيا ومن أشهرها :

مجموعة صحف الميرور ــ صحيفة الديلى نيوز ــ صحيفة نيوز أوف ذى ورلد ــ صحيفة النيويورك تايمز ــ صحيفة النيويورك بوست ــ صحيفة الواشنطن بوست ــ صحيفة الصن تايم ــ صحيفة الأوبزرفير ــ صحيفة بوربيان ــ صحيفة بزنس ويك .

مجلة النيوزيك ــ مجلة تايم ــ مجلة ويك اند ــ مجلة ايفنج ستاندرز .

وغيرهم .

(٢) وكالات الأنباء :

وهى إحدى الوسائل الهامة التى تستخدمها الصحافة اليهودية ، بل أكثر خطورة حيث تذيع هذه الوكالات أنباءها وتحليلاتها الإخبارية بالقمر الصناعى لمعظم دول العالم . **ومن أهم الوكالات المملوكة لليهود نذكر وكالة «رويتر» للأنباء** . وهى أشهر وكالة للأنباء على مستوى العالم ومؤسسها هو اليهودى جولياس رويتر المولود عام ١٨١٦(٢) . **كما نذكر أيضاً وكالة الأنباء اليهودية : «البرق اليهودية»**

---

(١) مجدى نصيف : الصهيونية فى الولايات المتحدة ــ منشورات العربى للتوزيع والنشر ــ القاهرة ١٩٧٨ ص ٨٩ ــ ٩١ .

(٢) فؤاد بن سيد عبدالرحمن الرفاعى : النفوذ اليهودى فى الاجهزة الأعلامية ــ والمؤسسات الدولية ــ سلسلة فضائح إسلامية مطبعة الفيصل الكويت ١٩٨٦ــ ص ٢٣ .

ومقرها نيويورك .

(٣) التليفزيون :

ومن المعروف أن اليهود يسيطرون سيطرة مباشرة على أشهر ثلاث شبكات تليفزيونية بالولايات المتحدة وهى :

شبكة **A.B.C** ورئيسها اليهودى ليونارد جولدنسون (يهودى) .

شبكة **C.B.S** ومالكها وليام بيلى (يهودى) .

شبكة **N.B.C** ومالكها إلفرد سلفرمان (يهودى) .

وفى بريطانيا يسيطر اللورد «لوغريد» على إنتاج شركة **(A.T.V)** للإنتاج التليفزيونى . وهى واحدة من أهم شركات الإنتاج التليفزيونى . إضافة إلى ذلك فان الامبراطور الصحفى اليهودى ــ روبرت ميردوخ يمتلك نحو عشرين محطة تليفزيونية بالولايات المتحدة الأمريكية ، ومؤسسة تجارة البث التليفزيونى بالقمر الصناعى فى بريطانيا فضلًا عن امتلاكه عشرات الصحف(*) .

(٤) دور النشر :

وتوجد معظم دور النشر الكبرى فى الولايات المتحدة فى مدينة نيويورك ويمتلك اليهود معظمها بل الأغلبية الساحقة منها . وقد أصبح معروفاً فى العالم الغربى أن كل من يكتب كتاباً مناوئاً لإسرائيل أو الصهيونية يجد صعوبة فى نشره .

ومن أشهر دور النشر الخاضعة لليهود بالولايات المتحدة دار نشر **Herker & Row** ، وسيمون أند شوستر ، وريدرد ديجست .

---

* لم نعول كثيراً على أسماء الصحف والشبكات التليفزيونية التى يمتلكها روبرت ميردوخ الذى تسيطر شركته على ١٥٠ جريدة و٥٠ مجلة و٢٠ محطة تليفزيونية . وعدة دور نشر الكتب وشركة أفلام ، بسبب تردد أنباء عن أنه غير يهودى ، وأن السبب فى وصفه باليهودى هو اسمه « ميردوخ » ذو الصبغة اليهودية . فى حين أشارت صحيفة المساء إلى يهوديته صراحة (عدد ١٨ ابريل ١٩٨٧) فقال : البلدوزر اليهودى يغزو أمريكا . وأشارت مجلة آفاق عربية العراقية (العدد ٦ لسنة ١٥ ــ يونيو ١٩٩٠) إلى صهيونيته فقط « مقال امبراطور الصحافة الصهيونى روبرت ميردوخ » (ص ١٤٨) .

(٥) السينما :

وهى وسيلة ركز اليهود عليها كثيراً ومنذ مدة طويلة ، حيث يسيطر اليهود سيطرة شبه تامة على شركات الانتاج السينمائى :

فشركة فوكس كان يمتلكها ويليام فوكس ، وقد اشتراها منه ميردوخ .

وشركة جولدين يمتلكها اليهودى صاموئيل جولدوين .

وشركة مترو يمتلكها اليهودى لويس ماير

وشركة إخوان وارنر يمتلكها اليهودى هارنس وارنر وإخوته .

وشركة برامونت يمتلكها اليهودى هود كنسون .

وتشير الاحصائيات إلى أن أكثر من ٩٠٪ من مجموع العاملين فى الحقل السينمائى الامريكى إنتاجاً وإخراجاً وتمثيلاً وتصويراً ومونتاجاً هم من اليهود(١) .

ولا تقتصر السيطرة على صناعة السينما فقط ولكن تمتد لتسيطر على وسائل نشر هذه الصناعة ، فنجد فى بريطانيا أن اللورد اليهودى «لفونت» يمتلك ٢٨٠ داراً للسينما ويقوم بنفسه بمشاهدة أى فيلم قبل عرضه ، وقد منع عرض فيلم عن « هتلر » من تمثيل إليك غينيس المؤيد للصهيونية بحجة أن الفيلم لم يكن عنيفاً ضد هتلر بالشكل الذى يرضيه !(٢) .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٦ .

تقول مجلة الاكسبريس عدد رقم ٨٦٨ ص ٧٥ ، أنه يوجد بهوليود قرابة ٨٠٪ من النجوم والمنتجين من أصل يهودى . ولعل أبلغ ما قيل فى وصف السيطرة الصهيونية على صناعة السينما الأمريكية ما ورد فى مقال نشرته صحيفة « الأخبار المسيحية الحرة » عام ١٩٣٨ قالت فيه :

إن صناعة السينما فى أمريكا هى يهودية بأكملها ، ويتحكم اليهود فيها دون أن ينازعهم فى ذلك أحد . ويطردون منها كل من لا ينتمى إليهم أو لا يصانعهم . وجميع العاملين فيها أما من اليهود أو من صنائعهم . لقد أصبحت هوليود بسببهم هى سدوم العصر الحديث ، حيث تنتحر الفضيلة وتنتشر الرّذيلة ، وتسترخص الأعراض وتنهب الأموال دون رادع أو وازع . وهم يرغمون كل من يعمل لديهم على تعميم نشر مخططهم الإجرامى تحت شعارات خادعة كاذبة .. أوقفوا الصناعة المجرمة لأنها أصبحت أعظم سلاح يملكه اليهود لنشر دعاياتهم المضللة الفاسدة » .

(٢) المرجع السابق ص ٤١ .

٦ ــ المسرح :

حيث يسيطر اليهود على سر أقدم المسارح الإنجليزية الشهيرة ومنها المسرح الملكى الذى يملكه اللورد اليهودى «لوجريد» والذى يمتلك شركة مسارح أخرى اسمها شركة «بيزمانزا اندناتان يمتد» كما يمتلك مسرح «دورى لين» ومسرح لندن بوليديوم ، ومسرح فيكتوريا بالاس ، ومسرح أبوللو ، ومسرح ذى ليريك ، ومسرح ذى جلوب ، ومسرح «ذى لندن كوليزيوم» ومسرح ذى لندن هيبوروم[1] .

وقد عمد اليهود إلى السيطرة على المسارح لمنع عرض أى مسرحية تسيء إليهم ــ كمسرحية المندوب التى تكشف عن تواطيء الحركة الصهيونية مع النازية لقتل الآلاف من يهود المجر ، بل ولعرض وبث الدعايات السافرة لليهود ضد العرب والمسلمين .

٧ ــ لجان التحكيم والنقد :

حيث عمد اليهود إلى السيطرة على أشهر لجان الجوائز الأدبية والسينمائية وعلى أدوات النقد الأدبى بغرض منح الجوائز لليهود أو للمسيحيين المؤيدين لليهود . **وفى هذا نذكر سيطرة اليهود والصهيونية على جائزة نوبل للأدب والسلام** حيث منحت الأخيرة لأعظم إرهابى فى التاريخ «مناحم بيجين» رئيس وزراء اسرائيل السابق ــ وحيث منحت الأولى لعشرات الأدباء اليهود وآخرهم عن عام ١٩٩١ الروائية لجنوب افريقية «نادين جوردير» وهى يهودية من أسرة يهودية .

أما بخصوص النقد ، فحيثما تصدر الكتب يوجد النقاد . والنقاد اليهود فى أمريكا ــ كما يقول «روجر كان» يتزايدون ويناسلون بمنتهى الحرية إلى الدرجة التى جعلت أحد الكتاب الأمريكيين يقول متهكماً :

«إن المؤلفين والروائيين اليهود يحققون الثروات الطائلة بسبب مديح النقاد اليهود»[2] .

(١) المرجع السابق ص ٥٨ .
(٢) أنيس منصور الحائط والدموع .. منشورات دار الشروق القاهرة ١٩٧٧ ــ ص ١٩٧ .

قائمة بأسماء الفنانين والفنانات اليهود فى السينما العالمية

١ - بوب هوب
٢ - بول نيومان
٣ - كيرك دوجلاس
٤ - لورانس أوليفيه
٥ - روجر مور
٦ - روبرت دينيرد
٧ - ستيف ماكوين
٨ - روبرت ميتشوم
٩ - روبرت ردفور
١٠ - فيكتور ماثيور
١١ - اليزابيث تايلور
١٢ - جين فوندا
١٣ - رومى شنيدر
١٤ - بروك شيلدز
١٥ - شيلى دوفال
١٦ - جيرا لدين شابلن
١٧ - مارى كيلر
١٨ - كارى فيشر
١٩ - جوان وود وارد
٢٠ - دييى رينوللدز
٢١ - فالنتينو

أما بخصوص مهرجان كان السينمائى فتجدر الإشارة إلى أن رئيس لجنة التحكيم السينمائى لعام ١٩٩١ كان اليهودى «رومان بولانسكى» الذى منح دون وجه حق فيلم المخرجين اليهوديين : جويل وايثان كوهين ، المعنون «باركون فنيك» أكبر ثلاث جوائز بالمهرجان ، وهو شئ لم يحدث لا فى تاريخ مهرجان كان (٤٤ سنة) ، ولا فى تاريخ أى مهرجان سينمائى عالمى على الإطلاق ، بالاضافة إلى أن الفيلم متوسط القيمة الفنية ولا يرقى إلى مستوى الجوائز بشكل عام[١] .

٨ ــ المنظمات الصهيونية :

حيث تمارس هذه المنظمات الصهيونية أساليب الدعاية للكيان الصهيونى وتخضع خضوعاً شبه مباشر للسيطرة الإسرائيلية فى القدس ، رغم كونها منتشرة فى أكثر من دولة . ومن أشهر هذه المنظمات الصهيونية :

(أ) المجلس الصهيونى الأمريكى . ويتألف من ست لجان هى :

١ ــ **لجنة الصحافة** : ومهمتها الرقابة على جميع وسائل الكلمة المنشورة فى العالم والتنبيه على ما يعادى أو يخالف وجهة النظر الصهيونية وهو يتدخل فى إعداد المواد الخاصة بالكتب المدرسية .

٢ ــ لجنة التليفزيون .

٣ ــ لجنة الإذاعة .

٤ ــ لجنة الشئون الدينية .

٥ ــ لجنة الشئون الاجتماعية .

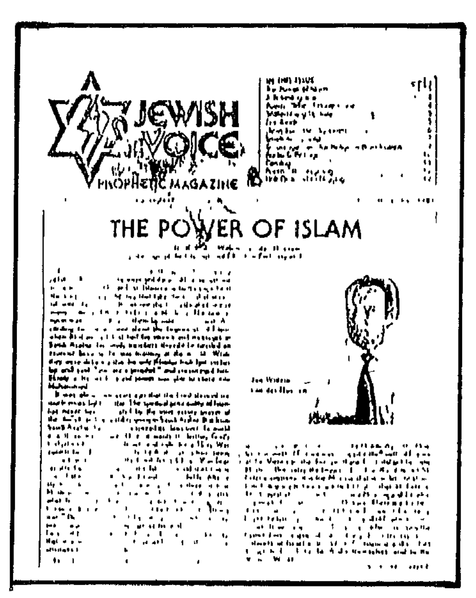
٦ ــ لجنة العلاقات العامة .

(ب) مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية . ومهمته تنسيق نشاطات المنظمات اليهودية الأمريكية الرئيسية فى مجال الشئون الأمريكية ــ الإسرائيلية وأيضاً فى المسائل التى تؤثر على اليهود فى البلاد الأخرى .

(جـ) **المؤتمر اليهودى العالمى** : وتقوم أقسام مختلفة داخل «**المؤتمر اليهودى العالمى**» بتنسيق الأعمال بالنيابة عن الجماعات اليهودية ، وتتولى شئون العلاقات

---

(١) أخبار اليوم عدد ٢٥ مايو ١٩٩١



غلاف مجلة دعائية تصدر بالولايات المتحدة وتتناول بالتهجم الاسلام وتحذر المسيحيين من تنامى القوة الاسلامية .



إعلان نشرته النيويورك تايمز لحماية « الصداقة الأمريكية ــ الإسرائيلية » . يشغل الاعلان ربع صفحة من الجريدة ، ويحاول أن يظهر اليهود كمحبين للسلام ، الاعلان تحت عنوان .. فى أى وقت ، وفى أى مكان سوف تجرى إسرائيل مفاوضات مباشرة مع أى من جيرانها .

مع الهيئات الدينية لغير اليهود ، وتمثل اليهود أمام المنظمات الدولية .

(د) **منظمة البناى بريث** : وهى منظمة دولية لها فروع فى ٤٠ دولة وتعتبر نوعاً جديداً من التحالفات اليهودية لكى تتخطى الانقسام فى الحياة اليهودية . وشعارها « **المعاملة الطيبة والحب الأخوى والتوافق بين اليهود** » . وتعتبر البناى بريث أقوى المنظمات الصهيونية فى الولايات المتحدة ، وهى تعمل من واشنطن ولها فروع فى ٤٥ ولاية أمريكية ، وأخذت على عاتقها « **محاربة معاداة السامية** » .

(هـ) **الاتحاد الصهيونى الأمريكى** : وهو الأكثر كفاءة فى مجال الدعاية ، ويعمل من أجل تسيير برنامج صهيونى مخطط لتقدير أكبر للثقافة اليهودية داخل المجتمع اليهودى الأمريكى وكذلك من أجل المركزية الروحية لإسرائيل كوطن قومى لليهود . وهو يتألف من ١١ منظمة صهيونية على المستوى الأمريكى و ١٠ حركات صهيونية للشباب .

(و) **اتحاد صحافة اليهود الأمريكيين** : ويعمل من أجل تقدم الصحافة اليهودية والوصول بالصحفيين من أعضائها إلى مستوى أفضل والحفاظ على الصحافة « **حرة لهم** » يعبرون فيها عما يريدون كتابته !

٩ ــ اللجان الإعلامية :

وتنتشر بالولايات المتحدة أعداد كبيرة من اللجان الإعلامية التابعة لوزارة الخارجية الإسرائيلية تقوم بنشر الدعاية الإسرائيلية من جهة والدعاية اليهودية التابعة لها من جهة أخرى ، وتعمل هذه اللجان ، بمساعدة واتفاق مع اليهود الأمريكيين المختصين بالدعاية اليهودية فى اللجان والمنظمات الصهبونية المختلفة بالولايات المتحدة .. كما تختص هذه اللجان بتنظيم مقابلات المسئولين الإسرائيليين مع الصحفيين الأمريكيين ، والإعداد للمؤتمرات الصحفية التى يدلى بها مسئولون إسرائيليون إلى الصحافة ووكالات الأنباء العالمية .

وعن دور اللجان الإعلامية نشير إلى مقابلة صحفية أجرتها صحيفة

الصنداى تايمز مع الصحفية الأمريكية اليهودية « **سارة ايهرمان** » روت فيها بافتخار كيف أن لجنتها الإعلامية تمكنت خلال ثمانى وأربعين ساعة فقط من تغيير الرأى العام الأمريكى الغاضب جداً على إسرائيل ، بسبب قصفها للمفاعل النووى العراقى ، وجعلته يتقبل وجهة النظر اليهودية . بل وأقنعته أن ضرب المفاعل النووى العراقى كان عملًا رائعاً وشجاعاً من أجل السلام فى جميع أنحاء العالم .

١٠ ــ جماعات الضغط الإعلامى والدبلوماسى :

والطريق الشهيرة فى الولايات المتحدة لجذب أنظار المسئولين الأمريكيين إلى الدعاية اليهودية هى الضغط اللين من قبل جماعات ضغط يهودية عبارة عن مجموعات من الشخصيات النافذة التى ينجحون فى استمالتها إلى جانبهم ، ومن أجل هذا يسعون إلى التغلغل فى أوساط السياسيين وفى أوساط رجال الأعمال وفى هيئات المهنيين والاختصاصيين ، كالمحامين والأطباء والمهندسين والاقتصاديين ، واتحادات الكتاب والصحفيين والفنانين بحيث يستميلون أكبر عدد منهم ، وأهم شخصياتهم ليستخدموهم « **مطية** » يمارسون الضغط بواسطتهم على أى مسئول فى الدول يعادى سياستهم ، ويستغلونهم فى إقناع غيرهم بالدعايات اليهودية .

ومن أشهر جماعات الضغط المشهورة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، جماعة الضغط المعروفة باسم « **ايباك** » وهى لجنة علاقات عامة أمريكية إسرائيلية لها تأثير كبير على أعضاء الكونجرس ومجلس الشيوخ الأمريكيين . وتمارس هذه اللجنة عملها بأسلوب العمل من وراء الستار « **لوبى** » **Lobbing** ، فمظهرياً يبدو نشاط اللوبى بمثابة العملية التى تقدم فيها المعلومات المختلفة ، والبيانات الإحصائية ، والتقارير إلى أعضاء الهيئات التشريعية والحكومية ، لكن جوهر الموضوع أن هذه البيانات تشتمل على أوكار اللوبى التى تحاول التأثير على الهيئات التشريعية أو التنفيذية لكى تصدر قرارات تتطابق مع المصالح الصهيونية .

١١ ــ صندوق الإحسان السياسى :

وقد أدرك اليهود أن أفضل طريق لجعل المسئولين الأمريكيين يخضعون لمضمون الدعاية اليهودية ، هى إغراء هؤلاء المسئولين ، لا عن طريق فريق الحب

فقط ولكن عن طريق تقديم الدعم المالى لهم خاصة من كان منهم على عتبة الانتخابات الأمريكية ، إذ يسارع اليهود إلى تقديم الدعم المالى لهم تمويل حملتهم الانتخابية ويتم إغداقه بعشرات الآلاف من الدولارات يتم استقدامها من صندوق مالى أعده اليهود لهذا الغرض وأسموه « **صندوق الإحسان السياسى** » . ويتم تمويل هذا الصندوق من خلال لجنة العمل السياسى الموالى لاسرائيل وتسمى اختصاراً (**باك**) — وهى غير إيباك المشار إليها سابقاً — ومن « **النداء اليهودى المتحد** » وهىأكبر جهاز يهودى لجمع التبرعات والاكتتابات لصالح اسرائيل واليهود فى كل أنحاء العالم .

وفى الآونة الأخيرة نشرت كبرى الصحف الأوربية قائمة بأسماء المسئولين الأمريكيين الذين حصلوا على أموال من اليهود فأصبحوا « **رجال اسرائيل** » بدلًا من « **رجال أمريكا** » . والمسئولون هنا هم نواب فى الكونجرس الأمريكى وشيوخ فى مجلس الشيوخ ثبت أنهم تقاضوا من اليهود مرتين لدعم حملاتهم الانتخابية ، مرة من الممولين الموالين لإسرائيل . ومرة من (**باك**) ، وبلغت المبالغ أرقاماً خيالية رغم أن القانون الأمريكى لا يسمح لأى مرشح أن يتقاضى أكثر من ألف دولار من أى شخص .

وفى التقرير أن السناتور كارل ليفن قد حصل على ٥٦٣٠٧٣ دولارا أى تعدى نصف مليون دولار . وهو أكبر مبلغ تقاضاه عضو بمجلس الشيوخ ، أما أقل مبلغ (١٢٧١٠٠ دولار) فقد تقاضاه السناتور ماكس باوكوس . وبالنسبة لنواب الكونجرس فإن أكبر مبلغ تقاضاه نائب من رجال اسرائيل وهو ٨٩٧٧٩ دولارا تقاضاه النائب ميل ليفين ، منها ٧١٦٠٠ دولار مباشرة من أشخاص موالين لاسرائيل و ١٨١٧٩ دولارا من لجنة العمل السياسى لاسرائيل[1] .

١٢ — الدعاية عن طريق التعليم :

وقد حرص اليهود أشد الحرص على السيطرة على وسائل نقل المعرفة ومنها

---

(١) أخبار اليوم عدد ٥ اكتوبر ١٩٩١ . ويقول « لارى ماكنسون » المشرف على الدراسة التى أجراها مركز دراسات يسمى بمركز الدراسات المستجيبة ، أى التى تستجيب ، وهو مركز لا ينتمى لحزب سياسى وليست له اتجاهات معروفة ، أن الأرقام المنشورة — أى الدولارات — هى مجرد الجزء العائم فوق السطح وظاهر للعيان ، أما باقى جبل الجليد فهو لايزال مغموراً تحت الماء أى قليل ظاهر وكثير باطن .

الأستاذية الجامعية كوسيلة مباشرة لبث الدعايات . ووفق أصدق الدراسات فإن اليهود يحتلون أكثر من ١٠ ٪ من عدد أعضاء هيئات التدريس بالجامعات الأمريكية وهى نسبة كبيرة ولا شك قياساً إلى نسبة اليهود فى الولايات المتحدة والتى تبلغ ٣ ٪ من نسبة السكان ، وأقل من ذلك[1] .

١٣ ــ الدعاية عن طريق استطلاع الرأى :

وقد عمد اليهود بخبث واضح إلى السيطرة على المراكز استطلاع الرأى لما لها من مقدرة فائقة على حمل الجماهير على تبنى وجهة نظر مستطلعو الرأى ، الخادعين ، وسوقهم عن غير إرادة إلى الدخول فى حظيرة المعتقد الذى يبغيه مستطلعو الرأى . والواقع أن استطلاع الرأى أداة تخدم أهدافاً سياسية .. فذكر منها على سبيل المثال دوره فى إنجاح مرشح ما أعلنت استطلاعات الرأى حصوله على نسبة عالية من التأييد الجماهيرى . وكذلك الحال مع الدعايات التى يتم قياس الرأى عنها فإذا ما حصلت ــ بالتزوير ــ على قناعة قطاع كبير ، فإن معظم القطاع الباقى ــ وقد يكون هو الكبير حقاً ــ سيكون مقتنعاً إلى حد ما بتبنى وجهة نظر القطاع الكبير الوارد رأيه فى استطلاع الرأى .

١٤ ــ الدعاية عن طريق الألعاب :

وهذه حقاً هى أخطر أنواع الدعاية اليهودية حيث تكمن خطورتها فى أنها تستغل عقول الأطفال فى إقناعهم بالدعايات اليهودية عن طريق ألعاب يحبونها ، ويحبون معها الدعاية ذاتها . ومن هذه الألعاب نشير إلى « **لعبة إعادة بناء الهيكل الثانى** » التى نشرها مروجو الدعايات اليهودية فى الولايات المتحدة ، وهى لعبة أكثر شبهاً بلعبة « **الميكانو** » ويتم فيها تجميع القطع حسب المخطط المرسوم لبناء هيكل من المكعبات . وخطورة هذا الهيكل أنه يدعم أفكار الشباب عن الهيكل

---

(١) إبراهيم إبراهيم : من يحكم الولايات المتحدة ، مقال بمجلة العربى الكويتية العدد ٢٩٨ ــ سبتمبر ١٩٨٣ ص ١٩ ويقول الكاتب أن اليهود قد اتجهوا بكل مالديهم من قوة نحو التعليم ، فنجد فى منتصف الستينات ٨٠ ٪ من الطلبة اليهود قد تخرجوا من الجامعات مقابل ٤٠٪ من مجموع الشعب الأمريكى . وكذلك الحال مع أساتذة الجامعات . فإن عدد الأساتذة اليهود يزيد على ١٠ ٪ من مجموع العاملين فى حقل التعليم العالى .. وفى الجامعات المشهورة كهارفارد فإنهم يؤلفون حوالى ٣٣٪ من هيئة التعليم .

الاول ويقدم لهم المبررات للتعمق فى تاريخ اليهود ، إضافة إلى غرس حب بناء الهيكل الثانى فى نفوسهم ، أو زيارة بقايا الهيكل الأول حيث تدعى إسرائيل أن حائط المبكى (**جدار البراق**) هو جزء من الهيكل الذى تهدم .. ومن الألعاب الأخرى التى تعتمد على المادة الذهنية نذكر لعبة « **انشغالات تافهة** » التى سيرد الحديث عنها تفصيلًا ضمن صفحات الكتاب .

١٥ ــ الدعاية عن طريق شبكة الاتصالات :

وهى ذلك الجانب من الدعاية الذى يعتمد على البريد والبرق والهاتف والفاكس . وفيها يتم إرسال رسائل بريدية متعددة ، بأسماء مزيفة إلى الشخص ــ أو الصحيفة ــ المراد إقناعها بالدعاية اليهودية . أو يتم إرسال مئات الآلاف من البرقيات حيث يشارك الفرد الواحد فى إرسال أكثر من برقية للجهة المراد إقناعها . أو يشارك فى الاتصال تليفونياً بها .ومن أحدث طرق الدعاية اليهودية يتم استخدام أجهزة الفاكس لإرسال الدعاية اليهودية ، وتنتشر أجهزة الفاكسميلى فى معظم بيوت ومكاتب الشخصيات المهمة بالولايات المتحدة ، وهى مفتوحة طوال اليوم ، وفجأة يجد صاحب الجهاز منشوراً أو أكثر يحمل الدعاية المطلوب إقناعه بها . ومع أن العادة أن كل رسالة تجىء على الفاكس يكون السطر الأول منها رقم التليفون واسم المدينة أو التاريخ ، إلا أنه من السهل حذف هذه المعلومات حتى يتمكن صاحب الدعاية من إخفاء نفسه وإرسال نفس الدعاية لأكثر من شخص دون معرفة مصدر الدعاية . أو إعادة تكرار إرسال نفس الدعاية على غرار أسلوب : « **اكذب اكذب حتى يضطر الناس لتصديقك** » .

١٦ ــ المحافل الماسونية : وهى قلاع يهودية داخل الدول التى تنتشر بها . وتنشر فيها الفساد والدعاية اليهودية ، والماسونية جمعية يهودية دينية منتشرة على مستوى العالم وبدأت نشاطها منذ القرن السابع عشر ، وأهم أهدافها : الانقلابات السياسية لإحلال سلطة مكان سلطة بحيث تكون الجديدة تابعة لها . وخادمة لأهدافها . ولها شعارات براقة ، لكنها زائفة ، فهى تتخفى خلف كلمات « **الإخاء ــ الحرية ــ المساواة** »[1] !

(١) محمد ابراهيم عبدالله : بين البهائية والماسونية ــ سلسلة البحوث الإسلامية ــ القاهرة ١٩٨٦ ص ٢٨ .

١٧ ـــ وسائل أخرى :

ونذكر منها : الاتصال الشخصى ـــ المؤتمرات ـــ الإعلانات ـــ الكتيبات ـــ المنشورات ـــ الأفيشات ـــ الندوات ـــ السياحة والرحلات ـــ تبادل الخبرات ـــ اختلاق الفضائح والابتزاز .

□ **وبخصوص الدعاية الأممية فتجدر الإشارة إلى أن المقصود بها هو الدعاية غير اليهودية التى تؤيد أو تسير على نهج الدعاية اليهودية وتعرف بالدعاية الصهيونية غير اليهودية** . وجذور الصهيونية غير اليهودية ، وهى الصهيونية المسيحية ، قديم ، ويرتد إلى عصر الإصلاح الدينى المسيحى ، وتقول ريجينا الشريف فى كتابها المهم « **الصهيونية غير اليهودية ، جذورها فى التاريخ الغربى** »[(١)] .

لقد بدأت الصهيونية غير اليهودية تتخذ شكلًا متميزاً فى أوائل القرن السادس عشر حين تضافرت حركة النهضة الأوروبية وحركة الاصلاح الدينى على إرساء أساس التاريخ الأوربى الحديث ، وقد أثار الاهتمام بالأدب التوراتى وتفسيره اهتماماً عاماً باليهود ، وعودتهم إلى فلسطين ، وعلى ذلك لم يعد تحرير اليهود ـــ إعطاء حقوق المواطنين ـــ بل الدور الذى كتب على اليهود أن يقوموا به بشأن القضايا الجديدة كتحقيق لنبوءات التوراة واليوم الآخر ، وعودة المسيح المنتظر .. وعلى هذا فإن حركة الإصلاح الدينى البروتستانتى ، بإتاحتها الفرصة للنهضة اليهودية القومية وعودتهم الجماعية إلى فلسطين ، هى التى ابتدأت سجلًا جديداً للصهيونية غير اليهودية كعنصر مهم فى اللاهوت البروتستانتى والايمان بالأخرويات (**كالموت والخلود ونهاية العالم واليوم الآخر**) .. وتضيف إلى ذلك قولها : كانت المبادىء البروتستانتية التى وضعتها حركة الإصلاح الدينى فى القرن السادس عشر مغايرة تماماً للمبادىء الكاثوليكية السابقة ، وتوصف هذه الحركة بأنها بعث (**عبرى**) أو (**يهودى**) تولدت عنه وجهة نظر جديدة عن الماضى والحاضر اليهودى وعن مستقبله بشكل خاص .

---

(١) ترجمة أحمد عبدالله عبدالعزيز ، سلسلة عالم المعرفة الكويت ١٩٨٥ ص ٢٥ ـــ ٢٦ .

كان اهتمام حركة الاصلاح البروتستاتني منصباً على العالم القادم ، وكانت تنظر إلى الحياة بمنظار الأبدية ، كما ساد الاعتقاد بالمسيح المنتظر والعهد الألفى السعيد اللذين هما من مقومات المبادىء اليهودية[1] .

وهكذا بدأ « **مارتن لوثر** » زعيم الاصلاح الدينى سلسلة من زعماء المسيحية الصهيونية ، ترددت خلالها أسماء « **هنرى فنش** » باعتباره أول انجليزى يدعو إلى الاستيطان اليهودى فى فلسطين من خلال كتابه « **الاحياء العظيم للعالم** » أو « **دعوة اليهود** » . وإسحق دى لابيرير باعتباره أول فرنسى يدعو إلى إحياء إسرائيل وتوطين الشعب اليهودى فى الأرض المقدسة وذلك فى كتابه « **دعوة اليهود** » . وكذلك بول فلجنهادر الذى أكد فى كتابه « **أخبار سعيدة لإسرائيل** » أن عودة المسيح المنتظر ووصول المسيح اليهودى حدث واحد ، و « **وليام هشلر** » القس البروتستانتى الذى دخل إلى قاعة المؤتمر الأول للحركة الصهيونية « **اليهودية** » المنعقد فى بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ وهو يهتف بحياة الزعيم الصهيونى المؤسس للصهيونية السياسية قائلًا « **يحيا الملك** » وخطب فى المؤتمرين مطالباً بأن « **استفيقوا يا أبناء اسرائيل ، فالرب يدعوكم للعودة إلى وطنكم القديم فى فلسطين** » .

ومنذ أيام هشلر ، والصهيونية المسيحية تتزايد لأسباب دينية وسياسية واستعمارية وعنصرية ، وتنتقل من دولة إلى دولة ومن قارة إلى قارة حتى استقرت الآن ــ كقوة سياسية مؤيدة لاسرائيل ــ فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث يصل عدد المسيحيين البروتستانت المؤيدين للصهيونية لأكثر من ٧٠ مليون نسمة[2] . بدءوا يشكلون المنظمات المؤيدة لاسرائيل ، ويعقدون المؤتمرات لدعمها .

وتعتبر منظمة « السفارة المسيحية الدولية » هى أكثر التنظيمات والقوى الصهيونية والمسيحية المعاصرة انتشاراً ونفوذاً فى الساحة الدولية . وقد ولدت هذه المنظمة فى نهاية سبتمبر ١٩٨٠ حينما اجتمع أكثر من ألف رجل دينى

---

(١) المرجع السابق ص ٢٩ ــ ٣٠ .

(٢) يوسف الحسن : مؤتمر دول المسيحيين الصهاينة ايضا . مقال بمجلة العربى الكويتية ــ العدد ٣٢٦ ــ يناير ١٩٨٦ ص ٢٠ .

مسيحى جاءوا من أكثر من ٢٣ دولة فى مؤتمر بمدينة القدس المحتلة ، تعبيراً عن الدور المركزى لهذه المدينة المقدسة فى فكر وحركة الصهيونية المسيحية المعاصرة .

وقد جاء تأسيسها إثر رفض المجتمع الدولى لقرار الحكومة الإسرائيلية اعتبار القدس عاصمة موحدة أبدية « لإسرائيل » . وكرد فعل على قيام عدد من دول العالم بنقل سفاراتها من القدس إلى تل أبيب . وقد افتتحت « السفارة » مقراً رئيسياً لها فى ولاية كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة وافتتحت لها فروعاً فى عدد كبير من المدن الأمريكية الرئيسية . كما أعلنت عن افتتاح قنصليات لها فى ٣٧ دولة فى أوربا وآسيا وأفريقيا . وكندا واستراليا . **وقد جددت هذه المنظمة ــ السفارة أهدافها فى منشور أصدرته لهذا الغرض فى عام ١٩٨٠ على الشكل التالى :**

١ ــ الاهتمام البالغ بالشعب اليهودى ودولة « **إسرائيل** » .

٢ ــ تذكير وتشجيع المسيحيين والكنائس للصلاة من أجل القدس وأرض « **اسرائيل** » وتحريضهم لممارسة التأثير فى بلادهم لصالح اسرائيل .

٣ ــ إنشاء مشروعات اقتصادية واجتماعية فى إسرائيل .

وقد اختصر زعيم هذه السفارة أهداف منظمته بقوله : إننا صهاينة أكثر من الإسرائيليين أنفسهم[1] .

وتعقد منظمة « **السفارة المسيحية الدولية** » مؤتمرات واحتفالات ومسيرات لها سنوياً فى اسرائيل . وفى احتفالات ١٩٨٣ شارك أكثر من ثلاثة آلاف مسيحى صهيونى ، وفى احتفالات ١٩٨٤ حشدت السفارة سبعة آلاف من رجال الدين المسيحى جاءوا من أكثر من ٥٠ دولة تجمعوا فى القدس ونظموا الاحتفالات وسيروا المظاهرات تأييداً « **لاسرائيل** » ودعماً لها . وتقول الواشنطن بوست[2] « **لقد حضر هذه الاحتفالات رئيس وزراء إسرائيل وقادتها ، وكان عنوانها : القدس كعاصمة أبدية لاسرائيل** .

وفى عام ١٩٨٥ عقدت المنظمة مؤتمراً لها فى مدينة بازل بسويسرا ، فى نفس المكان الذى انعقد فيه أول مؤتمر للحركة الصهيونية السياسية ، وحضر

---

(١) المرجع السابق ص ٢١ .

(٢) عدد ١٣ من اكتوبر ١٩٨٤ .

المؤتمر الأخير الذى سمى « بازل الجديد » (٢٧ ــ ٢٩ أغسطس) أكثر من ٦٠٠ من القيادات الصهيونية المسيحية قدموا من ٣٧ دولة إضافة إلى أكثر من هذا العدد من المراقبين . وقد تركزت قرارات المؤتمر على عدد من القضايا الرئيسية تشكل بلا شك المحور الرئيسى للإعلام والدعاية الصهيونية غير اليهودية تجاه اليهود وإسرائيل ، ومن أبرز هذه القضايا :

١ ــ الضغط باتجاه مزيد من الاعتراف الدولى بإسرائيل كدولة لليهود ودعم تجميعهم من شتى أنحاء العالم ، وخصوصاً من الاتحاد السوفيتى ، لاستيطان الضفة الغربية وغزة ، وتكملة المشروع الصهيونى الممتد من الفرات إلى النيل تحقيقاً للنبوءات التوراتية .

٢ ــ مطالبة جميع الدول والمؤسسات الحكومية الخاصة فتح أبوابها كاملة للمشاركة الإسرائيلية ، وعلى الدول الصديقة الانسحاب من هذه التجمعات إذا ما طردت منها « اسرائيل »

٣ ــ مطالبة جميع الأمم بالأعتراف بالقدس عاصمة موحدة وأبدية « **لإسرائيل** » وبالتالى نقل سفاراتها إليها .

٤ ــ إدانة كل أشكال اللاسامية ضد اليهود .

٥ ــ مطالبة الدول الصديقة بالامتناع عن تسليح العرب بما فيهم مصر .

٦ ــ تشجيع أطروحة توطين الفلسطينيين . **يسميهم المؤتمر (اللاجئون من إسرائيل)** فى الوطن العربى .

٧ ــ دعم ومساندة الاقتصاد الإسرائيلى وإنشاء « **صندوق استثمار مسيحى دولى** » لهذه الغاية مقره فى أمستردام وبرأسمال مبدئى قدره مليون دولار يخصص لصناعات التقنية والسياحة فى إسرائيل .

٨ ــ مطالبة العالم بعدم الانصياع لأنظمة المقاطعة العربية لإسرائيل .

٩ ــ تعبئة الكنائس لنصرة اسرائيل وإنشاء تنظيمات بجذور شعبية لهذه الغاية ، ومطالبة مجلس الكنائس العالمى بالاعتراف بالرابط التوراتى بين الشعب اليهودى وأرضه الموعودة ودولته اسرائيل .

١٠ ــ الصلاة انتظاراً للمجيء التانى للمسيح ومملكته القادمة فى القدس[١] .

ورغم أن التيار المسيحى المؤيد للصهيونية ، يشكل هرطقة دينية تسىء إلى المسيحية الصحيحة إلا أن مثل هذه المحاور تنتشر فى الدعاية الصهيونية غير اليهودية التى ينغمس فيها معظم المسيحيين البروتستانت بالولايات المتحدة ، ويرددون إضافة إلى ما سبق كل المحاور الدعائية التى تعمل عليها الدعاية اليهودية التى تعمل هى الأخرى كبوق للدعاية الاسرائيلية .

أما أهم وسائل وأدوات الإعلام الصهيونى غير اليهودى فنذكر منها :

١ ــ **الدعاية عن طريق الصحف** : ومن أشهر هذه الصحف نذكر صحيفة الديلى ميل ــ الديلى نيوز والمجلة المنزلية الشهيرة **Good house keeping** ، ومجلة ماريتى السينمائية ، ومجلة « **المراجعة** » التى تصدرها منظمة « **السفارة** » .

٢ ــ **التليفزيون** : فقد أنشأت المسيحية الصهيونية عدداً من المحطات التليفزيونية يبلغ عددها ٢٠٠ محطة من أصل ألف محطة بالولايات المتحدة ، إضافة إلى ٤٦٨ شبكة تليفزيونية تبث لمشتركيها برامج يشاهدها نحو ٦٠ مليون أمريكى . ومن بين تلك البرامج الأكثرها جاذبية تلك التى يقدمها « **بات روبرتسون** » الذى اشترى فى عام ١٩٦١ محطة تليفزيونية فى جنوب فرجينيا للتبشير بالإنجيل ، والادعاء بأن العالم على وشك النهاية من خلال حرب نووية يصفها بأنها حرب مقدسة يأتى بعدها المسيح ! ولهذا جاءت معظم برامجه باسم « **ماذا بعد الحرب المقدسة** » .

وخلال سنوات قليلة تحولت محطة الإرسال التليفزيونى فى فرجينيا التى اسمها « **شبكة البث المسيحية** » إلى شركة كبيرة تبلغ ميزانيتها السنوية ٢٠٠ مليون دولار . وهذه الشبكة تملك أكثر من مائة محطة داخل الولايات المتحدة وفى الخارج ، مثل تليفزيون الشرق الأوسط الذى يبث من الشريط الحدودى الذى تحتله إسرائيل فى جنوب لبنان[٢] .

---

(١) مؤتمر دولى للمسيحيين الصهاينة ايضاً . مرجع سابق ص ٢٣ .

(٢) عن المنظمات البروتوستانية الصهيونية ، يمكن العودة إلى مقال « الله والمال » مجلة النيوزويك عدد ٦ ابريل ١٩٨٧ ص ٣٠ ــ ٣٤ ومن بينها منظمة بات روبورتسون C.B.N .

٣ ــ **أندية الروتارى** : وقد أسس أندية الروتارى فى شيكاغو بأمريكا اليهود : « **سلفستر شيلر** » و « **جوستاف لوهر** » و « **ميريام شورى** » . واليوم هناك أكثر من ١٦٧٠٠ نادى روتارى تنتشر فى ١٥١ دولة ، تضم ٩٠٠٠٠ ألف عضو روتارى فى أكثر من ١٥١ دولة يشكل المسيحيون الصهاينة أكثر من ٩٠ ٪ من الأعضاء يخضعون للسيطرة اليهودية التى تقود هذه الأندية . وتتستر نوادى الروتارى وراء الأخلاق المثالية ــ والقيم الإنسانية ــ العالمية ومحبة السلام ، لكن الهدف الأساسى لها هو خدمة الصهيونية العالمية وتسريب الدعاية الصهيونية .

٤ ــ **الدعاية عن طريق أسماء المدن** : ففى الولايات المتحدة توجد ١٥ مدينة صغيرة تحمل اسم « **صهيون** » و ٤ مدن تحمل اسم أورشليم ، وحوالى ٢٧ مدينة وقرية وضاحية تحمل اسم « **سالم** » وهو اسم يتردد كثيراً فى التوراة اليهودية . وفى ولاية ألباما مدينة تحمل اسم أريحا ، فى أريزونا مدينة تحمل اسم عَدنْ وفى ايداهو مدينة « **السامرة** » وفى أوهايو مدينة سدوم وفى كونتيكيت مدينة تحمل اسم كنعان الجديدة وكلها أسماء وردت فى التوراة وتحمل دعاية لليهودية .

٥ ــ **وسائل أخرى** : منها إرسال الرسائل البريدية إلى صانعى القرار فى عدد من دول العالم ــ انتاج الأفلام الصهيونية على غرار أفلام « **سيسيل دى ميل** » المؤيدة لليهود ــ والدعاية عن طريق المنشورات والملصقات ، وما إلى ذلك من أدوات ووسائل الدعاية .

هذا وتعتمد الدعاية الصهيونية إجمالاً ، من إسرائيلية ويهودية وأممية على عدة أساليب يتم من خلالها نقل الدعاية . ومن هذه الأساليب نذكر :

١ ــ **أسلوب الاستضعاف والاستعطاف** ، بغية التأثير فى نفوس الشعوب والحكومات : وهو واحد من أهم الأساليب التى تعتمد عليها اسرائيل فى مُواجهتها للعرب حيث يساعدها هذا الأسلوب على إظهار حالة الخوف من الاعتداء وإبراز نداء الضحية قبل أن يعتدى عليه ، مما يجلب لها العون والمساعدة وتبرر لها القيام برد فعل وقائى .

٢ ــ **أسلوب النداء العاطفى** : حيث يعتبر أكثر فعالية من الأسلوب الموضوعى

المباشر ، وذلك لما له من تأثيرات مباشرة تخلق احتجاجات عاطفية تساعد على جذب عطف واهتمام المنادى عليه .

٣ ــ **أسلوب النداء الدينى** : وهو واحد من أكثر أساليب الصهيونية استدراراً للمؤازرة والتأييد لما للدين من تقديس فى النفوس . وقد ساهم هذا الأسلوب فى إبراز التأييد لإسرائيل اعتماداً على رؤية مزعومة ترى أن « **اسرائيل** » هى امتداد لليهودية ، وتحقيق لنبوءات الكتاب المقدس عن العودة المزعومة وتمهيد لعودة المسيح !

٤ ــ **أسلوب التكرار فى المصادر المتعددة** : حيث تعتمد الصهيونية على « **لوك** » أكاذيبها فى أكثر من أداة إعلامية كالإذاعة والصحافة الإسرائيلية ثم الإذاعات والصحف والتليفزيونات العالمية .

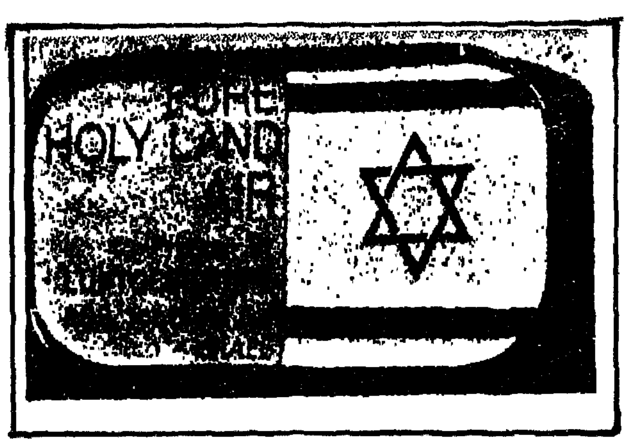
٥ ــ **أسلوب الرقابة** : وذلك بالضبط الانتقائى للمعلومات التى يترتب عليها طرح وتغيير وجهة نظر معينة ، وما عزل الضفة الغربية وغزة واعتبارهما منطقتين عسكريتين محظور دخولهما ، إلا عملية من عمليات الرقابة على الأنباء والأخبار التى يرسلها صحافيو العالم . بل وإغلاق لمصادر الأنباء عنهم .

٦ ــ **أسلوب التحريف** : حيث تعمل الصهيونية على تحريف الأخبار وتزييف الأنباء وبتر الحقائق واختلاق الأكاذيب .

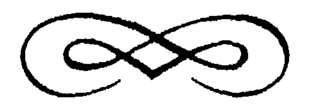
وبكل هذه الأساليب تعمل الصهيونية على « خديعة العالم » اعتماداً على :

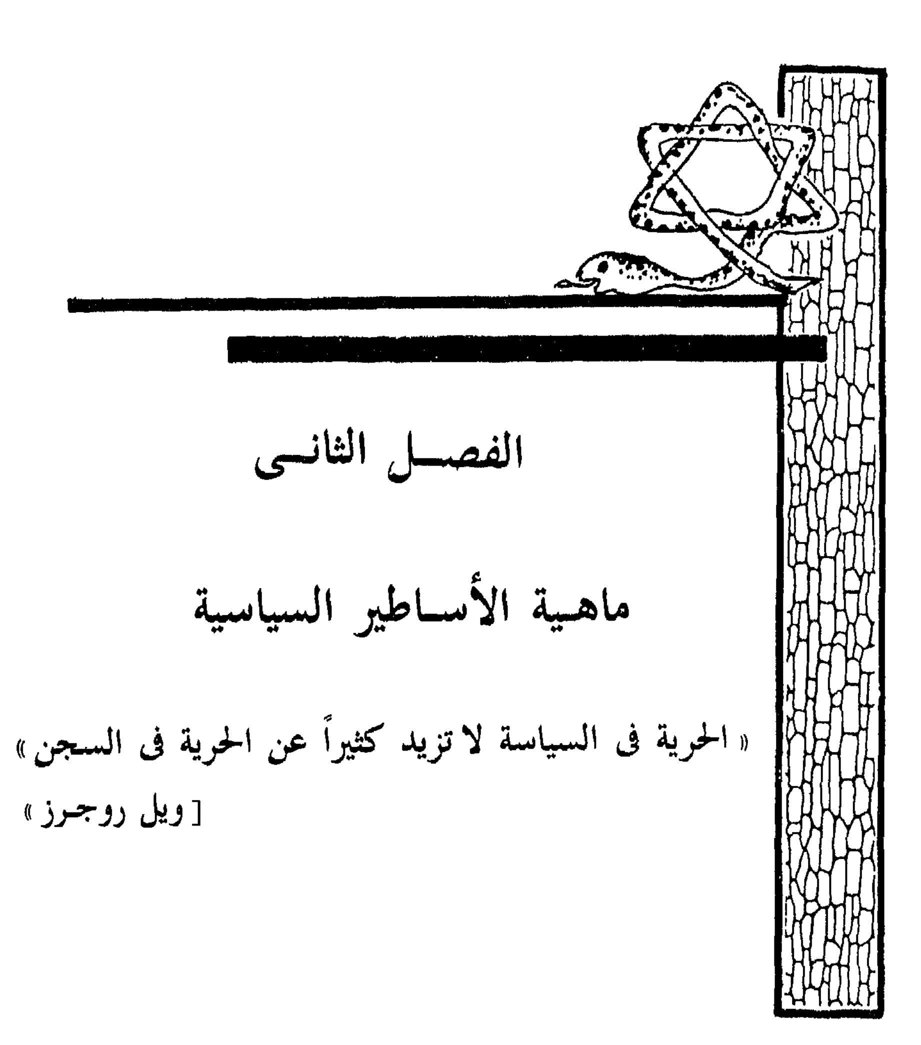
الدعايات الرخيصة التى يتم حشوها داخل أساطير سياسية تحتوى أنواع من :

التلاعب بالكلمات .
والاتجار بالشعارات .
والترديد المتكرر للإسطوانات المشروخة .
والترهات المموجة .
والتضليل الفكرى .
والدجل السياسى .



لم تكتف الدعاية الصهيونية ببث ونشر وبيع الأفكار لصالح اليهود ولكن عمدت إلى بيع هواء القدس معلباً فى علب على اعتبار أنه هواء مقدس . فى الصورة علبة فارغة (!) كتب عليها « هواء نقى من الأرض المقدسة » وقد بيعت العلبة فعلاً وبأسعار غالية فى الأسواق المسيحية !





الفصل الثاني

ماهية الأساطير السياسية

« الحرية فى السياسة لا تزيد كثيراً عن الحرية فى السجن »

[ويل روجرز »

ـ الأساطير هى الأكاذيب المنمقة .
ـ التلفيقات الواعية للفرد تندرج تحت باب الأساطير .
ـ بعد أن كانت الأسطورة مهيمنة على العقل . هيمن العقل عليها .
ـ الأساطير السياسية تنطوى على توظيف سيىء وتضليل سياسى .
ـ السياسة دائماً تحتاج إلى الأسطورة .
ـ النظم الطاغية تستخدم الأسطورة بديلًا عن القمع والإكراه السياسى .
ـ الحرية فى السياسة تتصف بالابتذال والإسفاف لكثرة استعمالاتها .
ـ أساطير إسرائيل تنبع من غرفة عمليات دعائية تستخدم أسلوب التنظير
ـ الحروب الإسرائيلية العربية أبدعت أساطير وقتلت أخرى .
ـ أكاذيب اسرائيل لا تنقطع لأنها تعتبر نفسها فى حالة حرب دائمة .
ـ معرفة أساطير إسرائيل يقود لمعرفة كيف نحاربها .

● ما هى الأساطير السياسية

تعرف الأسطورة فى اللغة العربية بأنها « **اشتقاق** » من الفعل « **سطر** » أى ألف الأساطير التى هى أحاديث لا أصل لها ، أو الأحاديث العجيبة والخارقة للطبيعى والمعتاد عند البشر . ويقول العلامة ابن منظور « **الأساطير** » : أباطيل . والأساطير أحاديث لا نظام لها ، واحدتها أسطار وأَسطارة وأسطير وأسطور وأسطورة .

وللأساطير تعاريف كثيرة ، يكاد يكون إجماع كثير من الباحثين فيها ، أنها لا تخرج عن أن تكون قصة خيالية قوامها الخوارق والأعاجيب التى لم تقع فى التاريخ الفعلى ولا يقبلها العقل . حتى أننا عندما نريد أن ننفى وجود شئ نقول أنه « **أسطورى** » . وهى بهذا قصة تفسر مؤثرات الناس حول العالم وما وراء الطبيعة والآلهة والأبطال والسمات الثقافية والمعتقدات الدينية فى إطار ممزوج بالخرافة .

وإن لم تكن الأسطورة هى الخرافة نفسها ، كما يشير إلى ذلك المعجم الوسيط ، فإنها الخرافة والحكاية التى لا أصل لها بعد إضافة تنميقات إليها . ولما كانت الخرافة مرادفة للكذب فإن الأسطورة ، وهذه نقطة مهمة ، هى الكذب « المنمق » .

ولنشأة الأسطورة فى عقلية البشر أكثر من سبب يعود به « **اندرو لانج** » إلى « **نتيجة التأمل فى ظواهر الكون** » وعلاقة هذه الظواهر بحياة الإنسان على الأرض ، أو بتعبير آخر أن الأسطورة إخراج لدوافع داخلية فى شكل موضوعى ، والغرض من ذلك هو حماية الإنسان من دوافع الخوف والقلق .

ويرجعه « **ماكس مولر** » إلى فكرة « **المرض اللغوى** » الذى كان الإنسان البدائى يتحدث من خلاله — لا من خلال اللغة — ولهذا فقد بدت له أشعة الشمس أصابع الآلهة ، والسحب الممتلئة بالماء أبقاراً ممتلئة ضروعاً وهكذا[1] .

---

(١) ارنست كاسيرر : الدولة والأسطورة ترجمة د . أحمد حمدى محمود ، مراجعة د . أحمد خاكى الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٥ ص ٣٧ .

ويرى « **جيمس فريزر** » أنها مرتبطة بمرحلة السحر (**الأداء التمثيلي لطقوس معينة يقوم بها الإنسان البدائي بقصد درء الشر عن نفسه وعن جماعته**) .

أما « **ليفي شتراوس** » فيرى أنها تفكير في عقل الإنسان ينطلق من الحالة الوسيطة بين الشعور واللاشعور ، والمعروفة بحالة « **خارج الشعور non concious** والتي يعتبر المشي هو خير مثال لها ، فهي حالة شعورية غير كاملة ، بمعنى أننا لا نكون على وعي تام بحركة السير وكيفية القيام بها ، كما أنه ليس عملاً لا شعورياً **Unconcious** .. ويرى « **أرنست كاسيرر** » أنها ظهرت كنتيجة « **لوحدة الشكل البنائي للروح الإنساني** »[1] .

وفيما يخص الروح والنفس البشرية فإن « **كارل يونج** » يرى أن الأسطورة ظهرت كتعبير عن صراعات اللاوعي البشري ، ويشير « **يونج** » إلى أن المضمون القصصي للأساطير تختفي وراءه كل ما تنطوي عليه أصول الفكر الإنساني السابق للتعقل .

وهناك بحاثة آخرون يرون أن السبب في ظهور الأسطورة هو تحول العقل البشري في بدائيته السحيقة ، فالأقدمون كانوا يقصون الأساطير عوضاً عن القيام بالتحليل والاستنتاج[2] . والإنسان القديم لم يكن يفكر في جواب معين ، بل كان الجواب ينكشف له فيلتثم الرمز بالرموز إليه[3] ..

على أن الأساطير كثيراً ما تخلق في المحيطات البدائية من قبل رجال الدين الذين يختلقونها لمصلحة الكبراء والزعماء في هذه المجتمعات . وهكذا فالأسطورة التي يمكن أن تنشأ عن النوازع والمشاغل الداخلية عند الإنسان فتتشكل صور إخراج هذه الدوافع كما يتشكل الحلم ، يمكن أن تنشأ أيضاً عن وعي كامل يراد به « دفع حقيقة بعينها » . ويبدو هذا واضحاً من معظم الأساطير الصهيونية التي نحن بصدد دراستها ، حيث صاغت اليهودية

(١) د . نبيلة ابراهيم : الاسطورة . سلسلة الموسوعة الصغيرة ــ العدد رقم ٥٤ ــ بغداد ١٩٧٩ ــ ص ٨ .

(٢) هنري فرانكفورت : ما قبل الفلسفة ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا، مراجعة محمود الأمين . منشورات دار مكتبة الحياة ــ بغداد ــ ب . ت ــ ص ١٧ .

(٣) المرجع السابق ص ١٩ .

والصهيونية بناءها عن وعى كامل بأنها أسطورة ولكن دبلجت فصولها بحيث انطبق صوتها الغوغائى على بعض الصور الحقيقية فاكتسب صوتها الكاذب صدقاً صعب على البعض اكتشافه ..

ولكن هل من السليم تسمية التلفيقات الواعية للفرد أسطورة ؟

عن هذا السؤال يجيب « شتراوس » فى كتابه « حياة يسوع المسيح » بقوله : بالتأكيد « فطالما أن هذه التلفيقات قد صدقها الناس وأصبحت جزءاً من تاريخ قوم أو طائفة دينية . بنفس الوقت ، هذا يُظهر أن مؤلف هذه التلفيقات لم يشكلها حسب خيالاته الذاتية فقط . ولكن باشتراك وثيق مع وعى الأغلبية من فوق »[1] .. ويضيف بأن كل « فرية » أو « كذبة » لا أساس لها تاريخياً ، ومهما كان مصدرها ، تعتبرها طائفة دينية كجزء مؤسس فى تاريخها المقدس ، وكتعبير مطلق عن مشاعرها وأفكارها الأساسية هى أسطورة .

ويقودنا الحديث عن الأساطير الواعية وغير الواعية إلى الحديث عن أنواع الأساطير . وهنا تجدر الإشارة إلى أن تقسيم الأسطورة إلى أنواع أمر ليس من السهولة بمكان ، حيث تتنوع الأساطير إلى أنواع وأشكال كثيرة . وبالنظر لكثرتها وتجنباً للمزالق فسنعرض لمفاهيم وأنواع الأسطورة بإيجاز بسيط .

فأهم أنواع الأسطورة هى :

١ ــ **الأسطورة الكونية (الطبيعية)** : وهى التى تحاول تحديد مفهوم الإنسان بالنسبة للكون . وهى وليدة الإحساس بعاطفة شعورية بين الإنسان والشىء قادت به إلى تشخيص عناصر الكون ، وتحويلها إلى كائنات حية . وبمقتضاها كانت عناصر الهواء والنار والماء هى محط العبادة الدينية ، وكانت الآلهة الرئيسية مشخصات من قوى الطبيعة[2] .

---

(١) موريس وايلز : أسطورة تجسد الإله فى السيد المسيح ــ تعريب د . نبيل صبحى ــ دار القلم ــ بيروت ١٩٨٥ ص ٢٢٧ .

(٢) بلمنش : عصر الأساطير ترجمة رشدى السيسى ومراجعة د . صقر خفاجة . دار النهضة العربية ــ القاهرة ١٩٦٦ ص ٤١٢ .

٢ ــ **الأسطورة التعليلية** : وهى صنف من الأساطير الكونية ، وليدة التأمل الموضوعى فى ظاهرة تبدو غريبة وتحتاج إلى تعليل . وظهرت بعد أن ظهرت فكرة وجود كائنات روحية خفية فى مقابل ما هو موجود فى الظاهر .
٣ ــ **الأسطورة الرمزية** : وهى مرحلة متقدمة من تاريخ الإنسانية لم يكن فيها الإنسان قد التزم بتعاليم الأديان السماوية بعد ، فاستخدمت للرمز على شئ معين . وفيها نرى حسنات الإنسان تُخلع بسخاء على الآلهة . كما نرى الإنسان قادراً على مواجهة تحديات السماء .
٤ ــ **الأسطورة الطقوسية (الدينية)** : وهى حكايات مأخوذة أساساً من مصادر دينية . وقد ظهرت مرتبطة بعمليات العبادة مهما يكن شكلها أو طريقتها . وعنيت بإثبات الجانب الكلامى من الطقوس قبل أن تصبح حكاية لهذه الطقوس .

٥ ــ **الأسطورة الحياتية (أسطورة الأزمات)** : وهى الأساطير المتعلقة بالأحداث الحاسمة فى حياة الإنسان ، وتعنى بالدرجة الأولى بالولادة والبلوغ والزواج والموت وبالتعميد والتسمية والتكهن وترافق كل هذه العمليات الشعائر التى تشكل انتقال الفرد من حالة إلى أخرى .
٦ ــ **الأساطير التاريخية (التاريخسطورة)** : وقد ظهرت هذه الأساطير التاريخية بعد أن أدرك الإنسان قيمة نفسه وبرهن على ذلك بأنه القادر على صنع عالمه والانتقال به من المرحلة الطبيعية إلى المرحلة التاريخية .
٧ ــ **أساطير الأشخاص غير العاديين** : حيث يركز قسم كبير من الأساطير على الأفراد غير العاديين : الأبطال الشقاة . الآلهة والمخلصين (**Saviors**) . وثمة نظرية تفسيرية تذهب إلى أن جميع الأشخاص الذين ورد ذكرهم فى الأساطير كانوا يوماً ما كائنات بشرية حقيقية وأن الأساطير والروايات الخرافية المنسوبة إليهم ، ليست سوى زيادات وزخارف أقحمت فى عهود متأخرة[١] .

٨ ــ **الأساطير اللغوية** : وقد ظهرت نتيجة المزج بين الحقيقة والمجاز . باعتبار أن الأسطورة مجازات فهمت حرفياً[٢] . وهكذا فالأسطورة مظهر من مظاهر اللغة .

---

(١) المرجع السابق ص ٤١٠ .
(٢) ارنست كاسيرر . مرجع سابق ص ٣٣ .

ولكنه المظهر السلبى ، حيث تمثل الجانب السيىء أكثر من تمثيلها لجانب الخير . إن نقطة الضعف فى اللغة هى اشتراك أشياء مختلفة فى نفس الاسم ، وهو ما أدى إلى الجناس ، الذى أدى بدوره إلى انبعاث شخصيات مختلفة من هذا الاسم .

٩ ــ **الأساطير « الواعية » ــ أوهكذا يجب أن نسميها قياساً إلى تلك الأساطير السابقة حيث نبعت جميعاً دون وعى** .. وقد ظهرت هذه الأساطير فى المرحلة التى أدرك فيها الانسان أنه مميز عن الكائنات الأخرى من ناحية وأنه قادر على صنع حياته وتنظيمها على نحو ما صنع الكون ونظمه من ناحية أخرى . ومن هنا راح يصنع الأسطورة بمنطق الأسطورة ذاتها . وبعد أن كانت الأسطورة هى المهيمنة على العقل ، أصبح العقل هو المهيمن على الأسطورة ، يكيفها بعد أن كانت هى التى تكيفه[1] .

وتنقسم الأسطورة الواعية إلى قسمين :

الأول إيجابى ، وفيه أصبحت الأسطورة متعة تشبع عاطفة أو ترقق إحساساً أو تحيى وجداناً أو توقظ ضميراً ، كما أصبحت مصدراً من مصادر الإلهام والوحى فى الفنون التشكيلية والأدبية ، فى الرواية والقصة القصيرة والشعر والمسرح .

والثانى سلبى ، **وفيه أصبحت الأسطورة أداة للحصول على مزاعم سياسية محددة أو وسيلة لإثبات أصالة « وهم » محدد . أنها « خدعة واعية » ترتبت على الحاجات التى تريد الطبيعة العقلية لأشخاص ما فرضها على غيرهم ، إذا تطلبت الحاجة لتحويل الأفكار القديمة إلى أسلحة سياسية قوية وفعالة ، ابتكار فن تقنى جديد ، هو فن الأسطورة الواعية السلبية التى تعرف بالأسطورة السياسية ، والتى تساعد على زيادة سرعة ردود الفعل ، وتحقيق قدر أكبر من الفعالية .**

وإذا كانت الأساطير القديمة قد وصفت دائماً بأنها نتيجة لفعل لا شعورى ، وبأنها نتيجة لانطلاق الخيال ، إلا أننا فى الأساطير السياسية الحديثة ، نرى الأسطورة تتبع مخططاً ، فهى لا تظهر عشوائياً ، إنها ليست ثمرة شيطانية من صنع خيال خصب . إنها أشياء مصنوعة قد صنعها صناع مهرة ماكرون إلى أبعد حد ،

---

(١) د . ثروت عكاشة : الأغريق بين الأسطورة والإبداع ــ دار المعارف القاهرة ١٩٧٨ ص ٣٤٦ .

فلقد كتب على القرن العشرين أن ينهض بفن أسطورى جديد ، هو فن الأسطورة السياسية ، ومنذ ذلك العهد ، أصبح من الميسور صنع الأساطير على نفس الوجه الذى يتبع عند صنع أى سلاح حديث آخر كالرشاشات والطائرات .

ولكن لماذ يُعتبر هذا النوع من الأساطير سلبياً ؟

الإجابة تكمن فى أنه :

ــ **يوظف الحقيقة توظيفاً سيئاً** ، بمعنى أنها تصبح فيه وسيلة لغاية أخرى ، فالأساطير السياسية غالباً ما تبدأ من مقدمة صحيحة ، ثم تستنتج منها نتيجة باطلة . وهذا الأسلوب كثيراً ما ينطلى على كثيرين ، لأنهم حين يجدون المقدمة صحيحة ، والشواهد تؤيدها بالفعل ، يتصورون أن النتيجة مرتبة عليها حقاً ، ولابد أن تكون بدورها صحيحة .

ــ **إنه يعتمد على التضليل السياسى** ، وخطورة التضليل السياسى تتمثل فى أنه يؤثر تأثيراً كبيراً على طريقة تفكير الإنسان ، لأنه أولًا يحول بين الناس ، وبين فهم أنفسهم ومجتمعهم وعالمهم ، بطريقة علمية(١) .. والأهم من ذلك أنه يعودهم الاستسلام للمغالطات ويسلبهم القدرة على مقاومتها . ومن ثم فإنه ينتزع من عقل الانسان أهم ملكة يحتاج إليها لكى يفكر تفكيراً علمياً ، ونعنى بها ملكة النقد والتساؤل .

ــ **إن الأسطورة بصفة عامة بلا منطق** ، فمنطقها هو منطق « **اللازمان** » ومنطق « **اللامكان** »(٢) ، وبتعبير أدق فإن منطق الأسطورة هو منطق اللامنطق الذى تبدو فيه الأسطورة وسطاً بين الحلم واليقظة ، أو لعلها تبدو وكأنها ضرب ممتع من أحلام اليقظة ، ولذلك فهى أدعى إلى التصديق بها والاستسلام لها ، ومستغلو الأساطير السياسية يعزفون كثيراً على هذا الوتر ، فلا يبحثون بداخل الأساطير عن منطق . وفى هذا الصدد كان بن جوريون مؤسس دولة اسرائيل يقول :

« **إن الأغبياء هم وحدهم الذين يفتشون على المنطق فى التاريخ** » .

---

(١) د . فؤاد زكريا : التفكير العلمى . منشورات عالم المعرفة ــ الكويت ١٩٨٨ ــ ص ٣ ــ ص١١٦ .

(٢) د . احمد كمال ذكى : الأساطير ــ سلسلة المكتبة الثقافية رقم ١٧٠ ــ القاهرة ١٩٦٧ ص ٤٠ .

فما بالنا نعبر عن المنطق بالأسطورة السياسية !

— **إن الأسطورة السياسية التى تختلق بين الناس يمكن أن تكون الشرارة التى تؤدى إلى الانفجار** . ويظهر أثر ذلك أكثر إذا مست المسألة حالة خوف أو ضجر كامنة داخل أوضاع على وشك الانفجار . فمثلًا فى حالة الفلاحين الذين يعيشون فى حالة تمزق وخراب من الضرائب والديون التى بالربا . عندما تتردد بينهم أسطورة تشير إلى العودة إلى سيطرة الغاصبين ، فإن ذلك سوف يدفعهم إلى القيام بمذبحة يقضون فيها على أصحاب الديون المرابين(١) .

ولكن كيف تعود الأسطورة للقرن العشرين الذى حلت فيه النظم العقلانية محل التنظيمات الأسطورية للمجتمع ؟ ولماذا تحتاج السياسة دائماً للأسطورة ؟

الواقع أن تحقيق النظم العقلانية فى الفترات التى يسود فيها الهدوء والسلام ، أو فى العهود الأكثر ثباتاً وطمأنينة ، أمر يسهل — نسبياً — تفسيره . ففى هذه الفترات يمكن لأية نظم عقلية أن تشعر بالأمان ضد أى اعتداء عليها . على أن الاستقرار والتوازن لا يمكن أن يتحققا فى صورة كاملة فى السياسة على الإطلاق . ونحن نعرف أن القرن العشرين هو قرن السياسة بكل ما فى الكلمة من معنى . إننا نعيش فى السياسة دائماً فوق أرض بركانية ، وعلينا أن نستعد لمواجهة أية هزة ، وأى انفجار ، ولا يمكن لأى قوة عقلانية فى الأوقات الحرجة أن تطمئن إلى قدرتها على الحيلولة دون عودة الأسطورة القديمة ، إذ تعود الأسطورة مرة أخرى فى مثل هذه الظروف لأنها لم تقمع ولم تروض بصفة نهائية ، فهى موجودة دائماً فى الظلام وتتهيأ للانقضاء فى اللحظة المناسبة . وتجىء هذه اللحظة المناسبة بمجرد تعرض القوى التى تربط المجتمعات الانسانية للوهن لسبب أو لآخر ، وعندما تعجز عن محاربة شيطان الأسطورة(٢) . غير أن عودة هذا الشيطان تتم هذه المرة وهو مقيد الحركة ، أسيراً لصاحب القوة العقلية صانع السياسة أو المتحكم فيها .

---

(١) فيليب ماسون : فكرة صائبة عن الأجناس والعنصرية — ترجمة د . شوق طموم . دار الكاتب العربى للطباعة والنشر — القاهرة ١٩٦٧ — ص ١٠٦

(٢) ارنست كاسيرر الدولة الاسطورة مرجع سابق — ص ٣٦٩ — ٣٧٠.

لقد عاد ساسة اليوم من جديد إلى حقل الأسطورة لينهلوا منه عن قناعة ، عارفين كل المعرفة أن تحريك الجموع الكبيرة اعتماداً على قوة الخيال بكثير من تحريكها بواسطة القوى المادية الصرفة . ولقد استفادوا من هذه المعرفة أعظم فائدة ، وأصبح الساسة نوعاً من العرافين فى المسائل العامة . وأصبح التنبؤ عنصراً أساسياً فى فن الحكم الجديد ، وأصبحت الوعود تلقى بغير حساب بغض النظر عن استحالتها ، أو عدم إمكانها ، فهناك وعود يوتوبية (طوباوية) متعددة تكرر النظم السياسية المختلفة الوعد بها بغير انقطاع .

ويكاد لا يوجد حاكم واحد لا يركن فى السياسة إلى استخدام الأسطورة ، بما فى ذلك حكامنا العرب ، حيث اعتمدوا على خديعة العالم العربى بثلاث أساطير رئيسية[1] : الثورة بغير ديمقراطية ، والاشتراكية بغير مشاركة شعبية ، وإمكان تحقيق الوحدة العربية باستخدام القوة ، بيد أن الآثار السيئة المترتبة على مثل هذه الأساطير التى تصفها النخبة السياسية السلطوية تتحملها الفئات السياسية الخاضعة لها وحدها دون غيرها من الشعوب والفئات الأخرى للدول المجاورة أو غير المجاورة ، وهذا على العكس تماماً من التأثيرات السيئة التى تترتب على « اختراع » النظم السلطوية فى الدولة الصهيونية لأساطيرها ، وتهدف الصهيونية من ورائها إلى إخفاء الشرعية على العدوانيات المتتالية وضم أراضي الغير من جانبها ، فالضحايا المباشرون لهذه الأساطير هم عموم العرب ــ أى غير الخاضعين للسلطوية السياسية فى إسرائيل ، أما الضحايا الأخرون فهم اليهود فى داخل إسرائيل وخارجها ، وتتمثل خسائرهم فى أكثر من جهة ، فهم أولًا ضحايا لأساليب التزييف الفكرى التى ترتكبها الصهيونية السياسية ، ثم أنهم يعيشون بسبب هذه الأساطير فى أزمة هوية ، يعيشون الاغتراب عن الأوطان التى تؤويهم ، يعيشون فى وعى زائف ، صنعته الأساطير السياسية التى تخلب اللب وتجعل علاقات اليهود بالمجتمعات التى تربو بين ربوعها علاقة عابرة . فيحيا اليهود فى دائرة أسطورة فلسطين التى غادرها آباؤه « الأسطوريين » منذ ألفى عام فتضيع داخله الحدود الفاصلة بين الوطن والانتماء ،

---

(١) السيد ياسين : سقوط الأساطير السياسية . مقال بمجلة العربى الكويتية العدد ٣٩٥ ــ اكتوبر ١٩٩١ ص ٣٧ ــ ٤١ .

فيسعى بدلًا من أن يعيش على الأرض التى ولد فيها لاكتساب المواطن فى أرض ليست له . حتى هؤلاء الذين اكتسبوا هذه المواطنة ، يعيشون فى أزمة أخلاقية كبيرة سببها أنهم يعلمون فى قرارة أنفسهم أن الأرض التى يزرعونها ، والبيت الذى يسكنون فيه، ليست أرضهم ولا بيتهم ، ومع ذلك أفلحت الأسطورة الصهيونية فى إقناعهم بالاستيلاء عليها ، رغم أن هذا ، لا ضد مبادئ القانون الدولى فقط ولكن ضد أبسط مبادئ الأخلاق .

ومن العجيب أننا لو درسنا الأساطير السياسية الحديثة ، وعرفنا طرق استعمالاتها ، سنرى أمراً مثيراً للدهشة . فهى لم تكتف بإعادة تقويم القيم الأخلاقية ، ولكن قامت بتحوير الكلام الإنسانى . فإذا ما كان للكلمة فى تاريخ الحضارة الانسانية مهمتان بعيدتا الاختلاف ، يمكن تسمية المهمة الأولى منها بالمهمة الدلالية للكلمة التى بغيرها لن يتحقق أى كلام إنسانى ، فى حين تسمى المهمة الأخرى باسم المهمة السحرية لها ، حيث لا تصف فيها الكلمة الأشياء ولا العلاقات بين الأشياء . بل تحاول إحداث أثر وتغيير اتجاه الطبيعة اعتماداً على فن سحرى محكم . والمهمة الأخيرة هى المهمة التى ترتكز **إليها الأساطير السياسية ، فأصبح للمفهوم السحرى للكلمة الصدارة على المفهوم الدلالى لها** . وأصبحت الكلمات القديمة تستخدم للدلالة على معان جديدة ، كما حدث تغيير كبير فى معناها . ويرجع هذا التغيير إلى أن هذه الكلمات ، بعد أن كانت تستخدم فى أغراض دلالية ووضعية ومنطقية قد أصبح لها الآن دور سحرى . قصد به إحداث آثار معينة لتحريك انفعالات معينة . إن فحوى كلماتنا العادية هى المعانى . أما هذه الكلمات التى أعيد صياغتها ، فمشحونة بمشاعر وأهواء عنيفة[1] . **والأسطورة السياسية الصهيونية ــ مثلها فى ذلك مثل كل الأساطير السياسية الحديثة ــ ليست غافلة عن هذا الأثر السحرى للكلمة . خذ فى ذلك مثلًا بكلمة « الهولوكوست » وهى فى أصلها اللغوى ــ العبرى ــ تعنى « المحرقة » و« الأضحية » . ومنشؤها أن اليهود كانوا يقدمون قرباناً أو أضحية دينية على شكل ضحية بشرية تحرق تماماً بالنار ، وهذا التقليد اليهودى تحول مع الزمن إلى الرمزية ، فأصبحت الضحية عبارة عن « عجل » أو « تيس » ، ثم اكتسب**

---

(١) ارنست كاسيرر الدولة الاسطورة مرجع سابق ص ٣٣٨ .

كلمة « الهولوكوست » معنى : الحرق التام والنهائى كتضحية وفداء وتكفير . « أما فى الأسطورة السياسية المزعومة فهى تشير إلى « الإبادة والرعب الذى عاشه اليهود تحت حكم النازية فى أوربا » . وقد خرجت عشرات الأفلام السينمائية والمسلسلات التليفزيونية والإذاعية ، ومئات وآلاف الكتب والمجلات حول « الهولوكوست » . ولا تمر ساعة فى السينما الغربية ، وفى التلفزة وأجهزة الإعلام دون العزف على الأسطورة الهولوكوست . مما جعل للاستعمال الحديث للهولوكوست معانى ورموزاً هامة : اليهود « كبش الفداء » الأبديين فى « محرقة » العنصرية ومعاداة السامية .

ونعود إلى الأساطير السياسية بصفة عامة لنشير إلى أن دور الأسطورة السياسية أصبح من الأهمية بمكان فى عصرنا الحاضر بالنسبة لأغلب النظم السياسية الطاغية فى مجتمعاتنا الحديثة ، فهى البديل — وهذه نقطة هامة إلى حد ما بالنسبة للأسطورة السياسية الصهيونية — عن الوسائل القمعية والتقليدية التى كانت مستخدمة من قبل . فلقد سبق منذ الأزل اللجوء إلى وسائل القمع والإكراه فى الحياة السياسية ، وأن كانت هذه الوسائل لم ترم فى أغلب الأحيان إلى غير تحقيق غايات مادية ، وقنعت حتى أغلب نظم الطغيان المرعبة بفرض قوانين معينة من الناحية العملية . ولم تكن مسائل شعور الناس وأحكامهم ، وأفكارهم من المسائل التى اهتمت بها هذه النظم على الإطلاق . حقاً لقد بذلت محاولات عنيفة خلال المشاحنات الكبيرة للسيطرة على أفعال الناس وضمائرهم ، ولكن هذه المحاولات تعرضت للإخفاق . والأثر الوحيد الذى أحدثته هو تقوية الشعور بالحرية الدينية . وتتجه الأساطير السياسية الحديثة الآن أتجاهاً مخالفاً للغاية . فهى لا تبدأ بالمطالبة « بتحريم » أفعال معينة ، أنها تهدف إلى تغيير الناس حتى تستطيع تنظيم أفعالهم والتحكم فيها .

إن أثر الأساطير السياسية الحديثة لشبيهة بالحية التى تحاول شل فريستها قبل آن تفترسها ، والناس يقعون فى أسرها بغير أن يظهروا أية مقاومة جادة لها . فهم يتعرضون للهزيمة والخضوع قبل أن يدركوا بالفعل ما حدث .. وما كانت وسائل الاستبداد السياسية المعتادة لتكفى لأحداث هذا الأثر . فلقد استطاع الناس — حتى تحت أقصى الضغوط السياسية ـــان يحيوا وفق مشيئتهم . وظل هناك على الدوام

جانب من الحرية الشخصية تقف فى وجه هذا الضغط . واستطاعت المُثل الأخلاقية الكلاسيكية فى العصور القديمة أن تحافظ على هذه القوة ، وأن تدعمها وسط فوضى الفساد السياسى فى العالم القديم . فلقد عاش « ستيكا » فى عهد « نيرون » وعمل فى بلاطه ، وان كان هذا لم يحل دون قيامه بالمجاهرة فى أبحاثه ورسائله الأخلاقية بخلاصات لأسمى الأفكار الرواقية ، أو بأفكار خاصة باستقلال الإرادة وتحرر الرجل الحكيم .

لقد حطمت الأساطير السياسية كل هذه الأفكار والمُثل وحالت دون إحداثها أى أثر فعال . وأصبح فى وسعها ألا تخشى أية معارضة فى هذا الجانب . وهى فى هذا تتكأ على عصا الحرية الأخلاقية والسياسية . **ونحن ندرك أن الحرية السياسية من الشعارات التى أصبحت تتصف بالابتزاز والإسفاف من كثرة استعمالاتها . فلقد أكدت لنا كل المعسكرات السياسية أنها الممثلة الحقيقية للحرية** ، وأنها الوحيدة القادرة على حمايتها — وأن كل هذه المعسكرات قد اتجهت إلى تعريف هذه الكلمة تعريفاً يتوافق مع مقصدها — وسخّرتها لمصالحها الخاصة . والحرية الأخلاقية أبسط من ذلك ، فهى خالية من أى إبهام من النوع الذى يبدو مُحتماً فى الميتافيزيقيا والسياسة على السواء . إن ما يجعل الناس يتصرفون ككائنات حرة ليس تمتعهم بالحرية التى لا تتقيد بأى قيد ، وأن ما يجعل العقل يتصف بالحرية ليس خلوه من الدافع ، بل طابع هذه الدوافع ، ويعد الإنسان حراً بالمعنى الأخلاقى إذا اعتمدت دوافعه على حكمه الخاص بما يعنيه الواجب الأخلاقى وعلى إيمانه بهذا المعنى . وفى أوقات الأزمات الاجتماعية العنيفة عندما يبدو انهيار الحياة العامة وشيكاً ، ففى هذه الأوقات يتجه الفرد إلى عدم الوثوق فى قدراته ، ونظراً لأن الحرية ليست ملكة موروثة عند الإنسان ، فإذا ما أراد التمتع بها عليه أن يخلقها — ولو ترك الإنسان لاتباع غرائزه الطبيعية ، فإنه لن يكافح من أجل الحرية ، بل لعله يختار حينئذ التبعية ، **فلا يخفى أن الاعتماد على الآخرين فى التفكير والحكم والتقييم والتعميم أهون من الاعتماد على النفس**[1] . وهذا يفسر لماذا كثيراً ما ينظر إلى الحرية فى حياة الأفراد والحياة السياسية على أنها عبء أكثر منها امتيازاً ، ويحاول الإنسان فى الظروف البالغة الشدة أن يخفف من هذا

العبء .. هنا تجد الدولة الشمولية ، والأساطير السياسية الفرصة سانحة . فالمعسكرات السياسية قادرة على أقل تقدير على الوعد بالاهتداء إلى مخرج من هذا المأزق . لأنها وإن كانت تقمع الشعور بالحرية ذاته وتحطمه ، إلا أنها فى الوقت نفسه تحرر الناس من كل شعور بالمسئولية الشخصية .

لقد كانت الدعاية الصهيونية على علم بهذه القاعدة السياسية ــ قمع حرية المواطنين بدعوى تخليصهم من أعباء السياسة ــ حين راحت تبنى من اهواء أساطيرها السياسية ، فاتجهت بالثقل الأكبر من أساطيرها إلى الدولة المعروفة فى دستورها بأنها « بلد حر » وراحت تستغل فيه مدى إحساسه بالحرية أو الحاجة إليها ، وراحت تقمع فيه ــ عن « وعى كامل منها » وعلى غير إرادة منه ــ حريته فى أن يرفض أساطير أثبت علم التفسير منذ قرون ، وبخاصة فى السنين الأخيرة عدم صحتها وفندها تفنيداً. وجعلت اليهود الأمريكيين، مثلهم مثل يهود إسرائيل ، يرضون بقبول مالا يمكن قبوله عقلًا عن « دولة إسرائيل» التى هى الوريث الشرعى والامتداد الطبيعى « لإسرائيل التوراتية » **وجعلت كثيراً من المسيحيين يعتقدون بصحة بعض الأقوال الكاثوليكية عن الشروط اللازمة لعودة المسيح ، ومنها عودة « دولة إسرائيل» ! .. وبصحة أقوال « مدارس الأحد » البروتستانتية حول العودة إلى جبل صهيون .**

ولكن من أين ينبع الأساطير السياسية الصهيونية ؟

تنبع معظم الأساطير الصهيونية من مخيلة بعض الصهيونيين الذين أنيط اليهم مهمة قيادة غرفة العمليات الدعائية الإسرائيلية حيث توجد بإسرائيل **غرفة عمليات دعائية** ــ سبق الحديث عنها ــ تعمل على متابعة الأنباء والتطورات أولًا بأول . وإظهار رد فعل ونشر دعاية عنه فى الوقت المناسب حيث يعتبر عامل التوقيت من أهم تكتيكات الدعاية الصهيونية التى يجب أن تتفق وسيكلوجية الجماهير واستعدادهم لتقبل هذه الدعاية فى هذا الوقت بالذات .

وتعمل هذه الغرفة الدعائية وفق أسلوب دعائى علمى يسمى بالتنظير العلمى أى أنها تضع النظرية أولًا بواسطة خبراء متخصصين فى الدعاية والإعلام وبمشاركة علماء فى مجالات العلوم والاقتصاد والسياسة . **ثم ينحون على النظرية**

بالعمل والتنفيذ وصراخ الابواق وفق استراتيجية متكاملة لكل أسطورة :

نظرية ، تخطيط إستراتيجي ـــ أعمال مرحلية ـــ نظريات فرعية متممة ـــ نتائج ـــ ثم نظريات أخرى تلائم النتائج والمكتسبات ، وهكذا دواليك .

وطبيعى أن تلجأ غرفة العمليات الدعائية تلك إلى دعم أساطير السياسة بأساليب تتنافى مع مقومات التفكير السليم ـــ لأنها أولًا وأخيراً أساطير ـــ وتستخدم كل أنواع المغالطات من أجل تبرير هذه الأساطير، ثم وهذا هو الأهم تركز طويلًا على صراخ الأبواق الدعائية الصهيونية لهذه الأسطورة، الأمر الذى يجبر معظم العقول على أن تستسلم بسهولة لهذه الدعاية الملحة المتكررة . **ولكن العقول الواعية نفسها قد تظل تقاوم تأثير الدعاية وترفض هذه الأساطير ، وتحتفظ بقدرتها على التفكير السليم إلى حين ، ثم قد لا تجد أمامها مفراً من الاستسلام فى آخر الأمر « لأن الدعاية العلمية » الحديثة بصفة عامة تعمل بحرص ودأب على إشاعة العقلية التى تستلم لها . وعلى هدم روح النقد ونشر روح الانقياد »**[1] .

وطبيعى أيضاً أن يكون لكل مرحلة أساطيرها ، كما أن بعض هذه الأساطير سابق لنشأة الصهيونية السياسية ، ويرتد إلى نصوص العهد القديم من الكتاب المقدس حيث يلاحظ فى جميع الأسفار الإسرائيلية ميل ظاهر إلى إستخراج نظرية من إنتظام الحوادث . وخاصة وأن هذه الأسفار لم تكتب لحفظ الذكرى للوقائع الممتعة فقط . بل كان غايتها إثبات شيء . وهذه الأسفار جميعاً إذا وضعت بصيغة الجزم بدأ حسن النية فيها هزيلًا ـــ مثل أسطورة « أرض الميعاد » و« شعب عمر المختار » ، فإن لكل مرحلة صهيونية أساطيرها بدءاً من أسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض ، وأسطورة الأرض (فلسطين) اليباب ، ومروراً بأساطير « السيف والمحراث » و« إعدام ستة ملايين يهودى فى أفران الغاز » و« الحق التاريخى » **بل أن لكل حرب خاضتها إسرائيل مع العرب أساطيرها التى نبعت من موقفين رئيسيين ، الأول ، محاولة تدمير وإحباط عزائم العرب وتحطيم إرادتهم ووصفهم بما هو ليس فيهم . وفى هذا تحل الأسطورة محل الشائعة التى**

(١) التفكير العلمى . مرجع سابق ص ١١٢ .

هى بالأساس « كذب مدمر » والثانى كبديل عن العجز أو الخوف ، والعكس صحيح أيضاً ، فالانتصارات الإسرائيلية السهلة والتى تدعم الأمن وتظهر القدرة الإسرائيلية مصدراً خصباً للأساطير :

ففى حرب ١٩٤٨ سادت عدة أساطير أشهرها أسطورة داود وجوليات .

وفى حرب ١٩٦٧ سادت عدة أساطير أشهرها أسطورة الجيش الذى لايقهر .

وفى كل الحروب يتم دعم الأساطير السياسية الإسرائيلية بالأكاذيب . ويكون هدف الكذب فى منشأ الأسطورة هو تقويتها . بينما يكون هدفه ـــ والأسطورة فى طريقها إلى زوال ـــ هو محاولة تأجيل موتها ، وهو بهذا أكثر شبهاً بقبلة الحياة التى يتم بها إعادة الميت إلى الحياة ، لكن الميت ـــ ولأنه قد انتهى يموت بعدها بقليل . وخير مثال على هذه الأكاذيب التى استخدمتها الدعاية الصهيونية . هو الفبركة الصحفية التى قامت بها صحيفة « النيوزويك » لصور أرادت أن تثبت بها روعة **الانتصارات الإسرائيلية** ، فقد نشرت فى عددها الصادر يوم ٢٢ من أكتوبر ١٩٧٣ صوراً لطائرات تلقى بقذائفها على أرض صحراوية وكتبت تحتها « طائرات سكاى **هوك** الإسرائيلية تقصف قواعد مصرية فى السويس » وسجلت أن الصورة من **تصوير** كيستون **Photo Kegstonc** . والطريف أن الصورة نفسها . وبكل جزئياتها **منشورة** فى كتاب اسمه « **قصة الطيران الإسرائيلى** » صدر فى لندن عام ١٩٧٠ . **وهو** كتاب دعائى عن دور الطيران الإسرائيلى فى حرب يونيو ١٩٦٧ . وكان المكتوب تحت نفس الصورة فى الكتاب « طائرات ميستر تلقى قنابل نابالم أثناء عرض أقيم بمناسبة يوم السلاح الجوى الإسرائيلى فى ١٩ يوليو ١٩٦٩ . والأكثر طرافة أن الصورة مسجلة فى الكتاب أيضاً على أنها من تصوير كيستون »(١) !

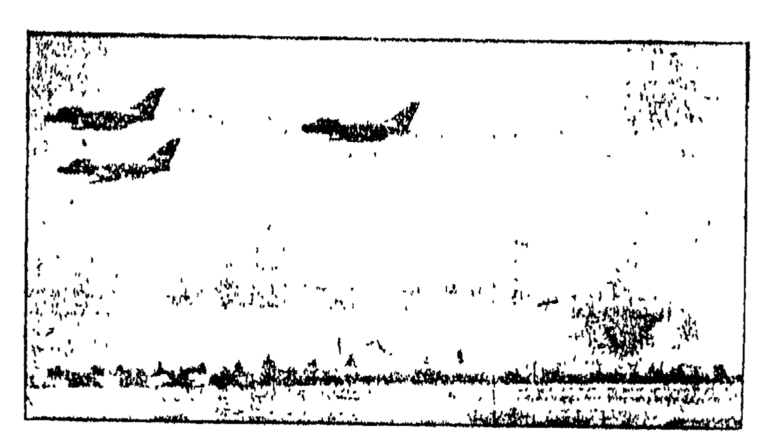
وهكذا فإن أكاذيب إسرائيل لا تنتهى ، لا فى دعايتها الإسرائيلية ولا فى دعاية أذنابها الصهيونية ، ومع أنه من المباح أن تستخدم كل الدول الأكاذيب أثناء الحرب حيث كان تشرشل مثلًا يرى أنه فى الحرب « تكون الحقيقة غالية علينا ،

---

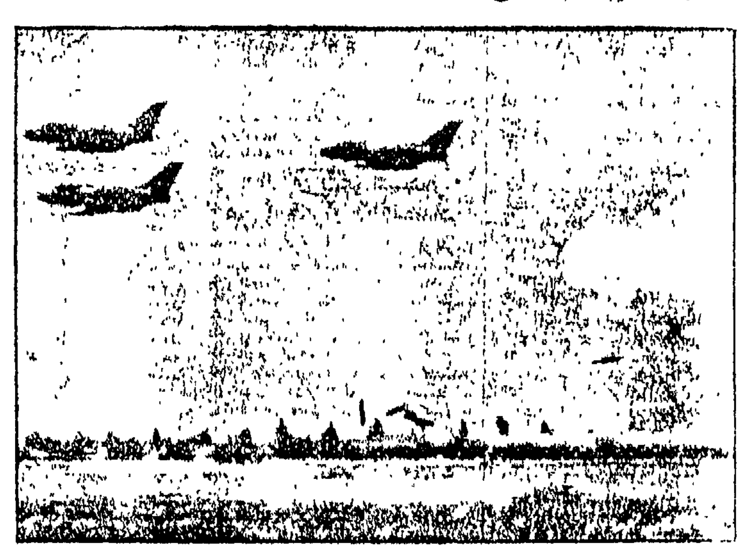
(٢) موسى صبرى . مقال بجريدة الأخبار عدد ١٥ نوفمبر ١٩٧٣ .

لدرجة أننا يجب أن نحرسها بجيش من الأكاذيب » فكانت الأكاذيب التى نسبت إلى تشرشل أثناء الحرب العالمية الثانية فى كل الجبهات ٣٥٠٠ أكذوبة . إلا إن إسرائيل تمارس أكاذيبها ليل نهار فى حرب وفى سلم ، وقد تكون المعضلة أن إسرائيل ترى أن كل لياليها وأيامها حروب ، فحروبها مع العرب لا تنقطع ، وليس مهما أن تكون الحروب على جبهات القتال ، فالمدفع والطائرة والصاروخ يصبحون فى وقت السلام أكاذيب فجة تتحول بمهارة وخبث يهوديين إلى أساطير على غرار أسطورة التبرئة من سفك دم المسيح ، أو أسطورة نقاء الجنس اليهودى ، أو أسطورة العداء للسامية أو أسطورة العربى القبيح ، أو أسطورة الرغبة الإسرائيلية فى السلام أو غيرها من أساطير ظلت الدعاية الصهيونية لها تطبق مبدأ جوبلز — وزير الدعاية النازى — القائل : « أكذب ثم كرر الكذبة حتى يضطر الناس إلى تصديقك » حتى صدّق الناس ، أو على الأقل غالبية الغربيين مضمون هذه الأساطير ، وهذه هى الطامة الكبرى بالنسبة لنا نحن العرب ، وبالنسبة لأى باحث فى الأساطير السياسية الصهيونية أو أى مؤرخ لهذه الأساطير . فمشكلة أى باحث انثروبولوجى أو أى مؤرخ للأساطير العادية أنه قد يجد حقيقة قد تحولت إلى أسطورة فيظل يتتبع جذور الأسطورة وما قد ترمز إليه حتى يصل إلى الحقيقة أو يقترب منها . أما هنا فالعكس، فالأسطورة السياسية الصهيونية قد تحولت إلى حقيقة فى أذهان الناس ، إذ أنه لا يكاد يوجد فى أساطير العالم السياسية أساطير أخذت طابع الحقيقة مثلما حدث فى أساطير إسرائيل السياسية . ولكن هل يمكن دحض هذه الأساطير التى تحولت إلى حقائق عن طريق الفلسفة أو المنطق ؟

إن القضاء على الأساطير السياسية أمر يفوق قدرة الفلسفة أو المنطق وحدهما . فالأسطورة بمعنى ما معصومة ومنيعة أمام البراهين العقلية . ولا يمكن دحضها تماماً بوساطة القياسات المنطقية وحدها . إذ لابد من الاستعانة بالمنطق والفلسفة والتاريخ والعلوم وبكل الوسائل لدحضها . لكن الفلسفة تستطيع أن تؤدى لنا خدمة هامة أخرى . أنها تستطيع تعريفنا بأعدائنا ، لا معرفة ظاهرية إذ نعلم جميعاً أن إسرائيل والصهيونية هما عدونا اللدود الأول . ولكن معرفة عميقة نستطيع من خلالها أن نحاربه ، فأول المبادىء الأولية فى الاستراتيجية الصحيحة أن تعرف عدوك .

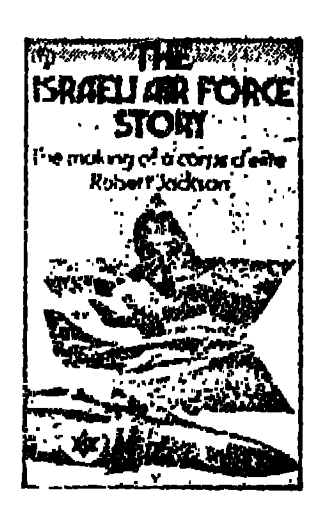


صورة العرض الاسرائيلي الجوى فى الكتاب ، ووصفت بأنها طائرات مبستير تلقى قنابل نابالم فى عرض أقيم يوم سلاح الجو الاسرائيلي فى ١٩ يوليو ١٩٦٩ .



نفس الصورة نشرتها مجلة النيوزويك فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، وكتب تحتها أنها طائرات سكاى هوك إسرائيلية تقصف قواعد مصرية فى السويس !! الفارق الوحيد أنهم حذفوا جزءاً قليلاً من عرض الصورة .

أحد الأدلة على أكاذيب الدعاية الصهيونية خلال حرب ١٩٧٣ .



الكتاب الذى صدر فى لندن فى عام ١٩٧٠ بعنوان « قصة الطيران الاسرائيلى » بقلم روبرت جاكسون ، ونشرت فيه صورة العرض الجوى الاسرائيلى فى ١٩ يوليو ١٩٦٩ .

ولا يعنى ذلك معرفة أوجه نقصه وضعفه فقط ، وإنما يعنى أيضاً معرفة أسباب قوته التى تكمن فى مجموعة الأساطير السياسية التى يوجهها عبر أبواقه الدعائية إلى أبنائه .. وإلينا .. وإلى غيرنا .

وإذا كنا جميعاً قد جنحنا فيما مضى إلى الاستخفاف بهذه القوة ، فعندما سمعنا بأساطيره السياسية اعتقدنا أنها حمقاء وقاصرة ووهمية ومثيرة للسخرية إلى أبعد حد ، بحيث لا يتصور تسلطها علينا وعلى غيرنا ، ومن ثم فليس هناك ما يدعو إلى النظر إليها نظرة جادة . إلا أننا اليوم وقد اتضح لنا أن هذا كان خطأ بالغاً . علينا ألا نقترف نفس الخطأ مرة أخرى . أن علينا أن ندرس فى عناية أصل الأساطير السياسية الصهيونية ، وتكوينها وأساليبها ، وطرق تفنيدها . علينا أن نرى عدونا الصهيونى وجهاً لوجه حتى نعرف كيف نحاربه .



الفصــل الثالــث

أســطورة العــداء للســامية

« أن صيحة اللاسامية القبيحة ، هى العصا التى يستخدمها الصهاينة لحمل غير اليهود على قبول وجهة النظر الصهيونية بشأن الأحداث العالمية أو لحملهم على التزام الصمت »

الصحفى الأمريكى هارولد . ر . بايتى

ـــ الساميون هم العرب وليسوا يهود اليوم ، والموجود اليوم عداء لليهودية .

ـــ العداء لليهودية الموجود اليوم مفتعل من قبل اليهود أنفسهم .

ـــ أفلحت الصهيونية فى هذا القرن فى إنشاء منظمات تحارب العداء للسامية .

ـــ إسرائيل تراقب كل ما يكتب فى العالم عنها وعن اليهود وعن الصهيونية .

ـــ يكفى أن نكتب فى أمريكا عبارة ضد اليهود فى دورة مياه حتى يقيم اليهود الدنيا .

ـــ اليهود يؤولون أى هجوم على يهودى أو إسرائيلى أو الصهيونية إلى هجوم على السامية .

ـــ التعاطف مع الفلسطينيين معناه العداء للسامية !

ـــ « بوش » لم يسلم من الاتهام بالعداء للسامية !

ـــ فى فرنسا يبتر سيف اللاسامية كل كلمة عن أكذوبة أفران الغاز .

ـــ فى فرنسا قانون يعاقب على مجرد الاقتباس من بروتوكولات خبثاء صهيون .

ـــ فى معاداة اليهود لا يمكن اعتبار العداء جريمة دون أن نسأل عن أسباب العداء .

ـــ إسرائيل تبتكر حوادث نبش القبور لتتهم الفلسطينيين بالعداء للسامية .

ـــ لا توجد دولة فى العالم تخشى « خطر » السلام إلا إسرائيل !

● أسطورة العداء للسامية

قبل عدة سنوات كتب العالم البريطانى الأستاذ « أرثر كويستلر » يقول « إن أجداد يهود اليوم لم يقدموا من الأردن أو فلسطين ، بل من الفولجا ، وأنهم لم يجيئوا من كنعان ، بل من القوقاز ، وأنهم من حيث الأرومة أقرب رحماً لقبائل الهون والايغور والمجر منهم لذرية ابراهيم وإسحق ويعقوب . وأنه إذا تحقق هذا فإن القول بالعداء للسامية يصبح خلواً من المعنى » .. إن رحلتنا فى هذا الفصل تنبع فى دراسة العداء للسامية من الإجابة عن الأسئلة الآتية :ـــ .

ـــ ما المقصود بالتسمية « السامية » ؟ ومن أول من استخدم الكلمة ؟

ـــ هل يهود اليوم ساميون ؟ هل تنطبق عليهم مقولة العداء للسامية ؟

ـــ فإذا لم تنطبق ، فهل هو عداء لليهودية ؟

ـــ فإذا كان عداء لها ، فمن هم موجدوه ، وما هى دوافع وجوده ؟

بداية فإن « السامية » هى اسم علم على مجموعة القبائل والشعوب التى سكنت فى جزيرة العرب (المملكة العربية السعودية الآن) ثم انطلقت منها شمالاً لتستقر فى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين قبل الألف الثالث قبل الميلاد .. وأول من استخدم كلمة السامية للإشارة إلى هذه الشعوب (كتسمية وكمصطلح وكعلم) هو « أوجست لوديك شلوتسر » عام ١٩٨١ حيث كتب يقول :

« من البحر المتوسط إلى نهر الفرات ، ومن وادى الرافدين إلى الجزيرة العربية سادت ـــ كما هو معروف جيداً ـــ لغة واحدة ، وعلى هذا فالسومريون والبابليون والعبرانيون والعرب كانوا شعباً واحداً . ولقد تكلم لغة واحدة . تكلم بها الفينيقيون ، هذه اللغة أسميها « السامية » .

والحقيقة أن تسمية السامية التى استمدها شلوتسر من اسم سام بن نوح الوارد فى التوراة لا تدل على حقيقة منبت هذه الشعوب ، وتلك اللغة ، ألا وهى الجزيرة

العربية . ومنبع الخطأ فى استخدام اسم سام أنه لا يستند إلى واقع تاريخى أو إلى أسس علمية عنصرية (جنسية) صحيحة أو وجهة نظر لغوية سليمة ، إنما هو محاولة من شلوتسر إلى رد أسماء الشعوب القديمة إلى رواية توراتية ثبت فساد فحواها .

إن شلوتسر لم يطلق على هذه اللغة وتلك الشعوب اسمها الحقيقى نسبة إلى موطنها الحقيقى : أقوام عربية ولغات عربية ، أو حتى أقوام جزيرية أو لغات جزيرية (نسبة إلى الجزيرة العربية) ولكنه أخطأ وأطلق كلمة السامية . وعلى هذا فالمقصود بالعداء للسامية أو اللاسامية أو ضد السامية هو العداء للأقوام الجزيرية التى سكنت جزيرة العرب أو هاجرت منها ومن بينهم نسل ابراهيم الخليل . وهذه الأقوام عربية المنبت ويمثل العرب أبناء الشرق الأوسط نسلًا مرتبطاً بها بأوثق الصلات .

بيد أن الصهيونية ، اعتماداً على خطأ شلوتسر — ولأسباب سياسية محضة — أفلحت منذ مطلع هذا القرن فى تحريف المعنى ، وتضليل الباحثين ورجل الشارع حول المقصود بالعداء للسامية ، وذلك بقصر هذا العداء على **اليهود دون غيرهم من الشعوب العربية !** فأصبح العداء للسامية عَلَمًا على العداء لليهودية أو لإسرائيل ، وبذلك جعلوا من العداء للسامية « بهذا المعنى فقط » أسطورة يدعم أسطوريتها خمس حقائق . **ومعلوم أنه إذا وقفت حقيقة ضد فكرة ما أصبحت هذه الفكرة أكذوبة ، فإذا تم تنميق هذه الأكذوبة أصبحت أسطورة . والحقائق الخمس هى :**

١ — إن يهود اليوم — أو بالأصح : صهيونيو اليوم — ليسوا امتداداً ليهود الأمس ، وأن الصلة بينهم وبين العبرانيين الأوائل الذين خرجوا من أرض الكلدانيين مقطوعة .

٢ — إن العداء للسامية باعتباره عداء لليهودية أو لليهود أو لإسرائيل عداء مفتعلًا وأن مثل هذا العداء المفتعل هو الذى أنجب إسرائيل وهو الذى يمدها بشتلات بشرية جديدة وبمياه مادية تروى هذه المشكلات .

٣ — إن العداء لليهودية ولإسرائيل فى الولايات المتحدة وأوروبا فى طريقه

مسيحى جاءوا من أكثر من ٢٣ دولة فى مؤتمر بمدينة القدس المحتلة ، تعبيرا عن الدور المركزى لهذه المدينة المقدسة فى فكر وحركة الصهيونية المسيحية المعاصرة .

وقد جاء تأسيسها إثر رفض المجتمع الدولى لقرار الحكومة الإسرائيلية اعتبار القدس عاصمة موحدة أبدية « **لإسرائيل** » . وكرد فعل على قيام عدد من دول العالم بنقل سفاراتها من القدس إلى تل أبيب . وقد افتتحت « **السفارة** » مقراً رئيسياً لها فى ولاية كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة وافتتحت لها فروعاً فى عدد كبير من المدن الأمريكية الرئيسية . كما أعلنت عن افتتاح قنصليات لها فى ٣٧ دولة فى أوربا وآسيا وأفريقيا . وكندا واستراليا . **وقد جددت هذه المنظمة ـــ السفارة أهدافها فى منشور أصدرته لهذا الغرض فى عام ١٩٨٠ على الشكل التالى :**

١ ـــ الاهتمام البالغ بالشعب اليهودى ودولة « **إسرائيل** » .

٢ ـــ تذكير وتشجيع المسيحيين والكنائس للصلاة من أجل القدس وأرض « **اسرائيل** » وتحريضهم لممارسة التأثير فى بلادهم لصالح اسرائيل .

٣ ـــ إنشاء مشروعات اقتصادية واجتماعية فى إسرائيل .

وقد اختصر زعيم هذه السفارة أهداف منظمته بقوله : إننا صهاينة أكثر من الإسرائيليين أنفسهم[1] .

وتعقد منظمة « **السفارة المسيحية الدولية** » مؤتمرات واحتفالات وصسيرات لها سنوياً فى اسرائيل . وفى احتفالات ١٩٨٣ شارك أكثر من ثلاثة آلاف مسيحى صهيونى ، وفى احتفالات ١٩٨٤ حشدت السفارة سبعة آلاف من رجال الدين المسيحى جاءوا من أكثر من ٥٠ دولة تجمعوا فى القدس ونظموا الاحتفالات وسيروا المظاهرات تأييداً « **لاسرائيل** » ودعماً لها . وتقول الواشنطن بوست[2] « **لقد حضر هذه الاحتفالات رئيس وزراء إسرائيل وقادتها ، وكان عنوانها : القدس كعاصمة أبدية لاسرائيل .**

وفى عام ١٩٨٥ عقدت المنظمة مؤتمراً لها فى مدينة بازل بسويسرا ، فى نفس المكان الذى انعقد فيه أول مؤتمر للحركة الصهيونية السياسية ، وحضر

---

(١) المرجع السابق ص ٢١ .

(٢) عدد ١٣ من اكتوبر ١٩٨٤ .

السياسية وذلك لإقناع اليهود بالفرار من أوطانهم والهجرة إلى فلسطين ، ثم لدفعهم إلى عدم الاندماج وسط المجتمعات التى يعيشون بين ربوعها ، وهذا هو أكبر خطر تخشاه الصهيونية وليس معنى الاندماج Assimilation هو أن يختفى اليهود كيهود ، ولكن معناه أن يبقى اليهودى يهوديا ، كما أن المسلم سيظل مسلماً والمسيحى مسيحياً ، ومرد خطر الصهيونية من مثل هذا الاندماج هو اختفاء إحساس اليهود ، لنقل فى أمريكا مثلاً ، بأنهم نوع مختلف وأنهم شعب مختار قائم بذاته ، وتفصله هوة عميقة عن الأمريكى العادى .. وبالتالى سوف يصبح ولاء اليهودى السياسى والقومى لأمريكا فقط ، **وسوف يقل ولاؤه للصهيونية ولدولة إسرائيل وسوف تنتهى من ذهنه نهائياً فكرة « العودة إلى أرض الميعاد » وهى** أهم الأفكار التى تقوم عليها الصهيونية ، والتى عبر عنها أحد زعماء المنظمة الصهيونية الأمريكية (فى مؤتمرها المنعقد فى واشنطن بتاريخ ١٩٦٢/٦/٢٨) بقوله : « إن الخطر الذى يواجهه يهود أمريكا ليس الشعور المعادى للصهيونية ، بل هو خطر الاندماج بالشعب الأمريكى » .

ولما كان الاندماج لا يأتى إلا فى ظروف التعايش السلمى وتبادل المصالح بين مختلف طوائف الوطن الواحد ، لذا **فقد عمدت الصهيونية منذ البداية إلى محاربة هذا التعايش السلمى والتخطيط لتدمير كل ما من شأنه أن يترك اليهود يعيشون بسلام مع مواطنيهم حيثما كانوا ، حتى ولو كان ذلك بإستخدام القوة ضدهم** ، فالمهم ليس الوسيلة ، ولكن الغاية ، والغاية هى إنشاء دولة إسرائيل ، وتدعيم هذه الدولة بعد إنشائها بمدد جديد من المهاجرين الذين يتم « ركلهم فى أوطانهم لدفعهم إلى الهجرة إلى إسرائيل ، ومن هذا المنطلق يجب أن نفهم لماذا تحالف هرتزل مع « فون بلهيف » وزير نيقولا الثانى الذى كان من ألد أعداء السامية ولماذا تمت مذبحة « كيشينيف » ضد اليهود الروس بعد مرور أربعة شهور فقط على زيارة هرتزل لروسيا ولقائه والوزير الروسى .. لقد كان هرتزل الذى كتب يقول :

كان اللاساميون محقين ، ولا يحق لنا أن نشعر بالغيرة إزاءهم ، فنحن أيضاً سنكون سعداء » لقد كان هرتزل وراء هذه المذبحة اللاسامية التى ذُبح فيها بعض

اليهود ككبش فداء عن يهود آخرين[1] .

ومن هذا المنطلق أيضاً يجب أن نفهم لماذا ضحى قادة الصهيونية فى عهد النازى بجزء من القطيع اليهودى فى ألمانيا وأوروبا لدفع باقى القطيع للهجرة إلى فلسطين ، ولماذا وقفت بعض المنظمات الصهيونية ضد فتح الأبواب الأمريكية أمام هؤلاء المهاجرين أو الفارين من جحيم الحرب العالمية الثانية .

ومن هذا المنطلق أيضاً يجب أن نفهم لماذا تم إغراق السفينة « إليتانيا » وعلى متنها ٩٠٠ مهاجر يهودى ، قرب شواطىء حيفا عام ١٩٤٦ على يد عصابة « الأرجون الأرهابية الصهيونية » ، ثم إلصاق هذه التهمة بالعرب ، لقد تم إغراق هذه السفينة ــ والترويج لهذا الحادث إعلامياً ــ حتى يسمح رد الفعل الانسانى ، بمزيد من الهجرة الشرعية إلى إسرائيل .

ومن هذا المنطلق أيضاً يجب أن نفهم كيف ساعدت اللاسامية فى إنجاب الصهيونية لدولة إسرائيل العنصرية . وكيف تم تدبير عداء لاسامى ضد اليهود المنتشرين فى بعض دول العالم ــ ومنها العراق ــ وذلك لحثهم على الرحيل إلى إسرائيل ، وإجبارهم على الهجرة إليها .

وحيث أننا أشرنا إلى بعض المنطلقات السابقة فى كتابنا « الأكذوبة الكبرى » ــ الفصل السابع ــ فإن اهتمامنا سينصب الآن على المنطلق الخاص بهم « لماذا تم تدبير عداء لاسامى ضد يهود العراق » ، غير أننا نبدأ بالإشارة إلى بعض أقوال الصهيونية[2] ، قبل وبعد العداء اللاسامى ، **والتى تؤكد على أن مثل هذا العداء كان مفتعلًا من قبل الصهيونية نفسها :**

---

(١) المعروف أن اليهود القدماء كانوا يتطهرون من خطاياهم بصورة رمزية حيث يلقونها على كبش ثم يطلقونه فيما بعد فى الصحراء . ولاتزال تستخدم إلى الآن تعبير كبش الفداء لبيان الشخص البرىء الذى نعلق عليه أخطاءنا . وفى السنوات الأخيرة استطاعت الصهيونية أن تحافظ على تلك العادة بطريقة مناسبة وفى شكل ضحية للتكفير ، حيث يقدم الصهيونى أخوته فى اليهودية أو أخوته فى الدم أو أخوته فى الشقاء أو رفاقه ككبش فداء عنه وعن أمثاله من الصهيونية .

(٢) الصهيونية فى الستينات ، مرجع سابق ص ١٩٠ ــ ١٩١ .

• « إنه لا يخجلنى أن أعترف بأنه لو كان لدى من القدرة ما لدى من الرغبة ، لجهزت عُصبة مختارة من الشباب اليهودى الملتهب المتحمس الذكى المؤمن بخلاص اليهود والواهب حياته لخدمة مبادئه ، وأطلقتها فى البلاد التى يندمج فيها اليهود بحكم اطمئنانهم النفسى الآثم ، لتنشر بينهم طاعون الشعارات اللاسامية نحو : « أيها اليهود الدمويون .. اذهبوا إلى فلسطين » وأكاد أجزم بأن نتائج هذه العمليات فيما يتصل بالهجرة إلى إسرائيل ستكون أعظم ، عشرة آلاف مرة من نتائج تلك البعوث التى تبشر منذ عشرات السنين لتلقى آذاناً صماء » .

من كلمة للمحرراليهودى « شارون » محرر صحيفة دافار الإسرائيلية منشورة بصحيفة كمبر التى تصدر فى نيويورك بلغة « اليديش » بتاريخ ١٩٥٢/٧/١١ .

• **« لقد أعتقدنا دوماً بأن من واجب الصهيونية الحد من اللاسامية فى العالم . ولكننا نشهد عكس ذلك . ألا نجد أنفسنا ، أنتم وأنا بين المسئولين المتهمين »** .

من كلمة للدكتور يهودا ليون ماجنس بالجامعة العبرية بالقدس فى أكتوبر ١٩٤٧ .

• **« إن هبوط تيار اللاسامية قد يحمل معه خطراً جديداً على الكيان اليهودى . إن اللاسامية بمعناها الكلاسيكى كانت مفيدة من الناحيتين السياسية والمادية للطوائف اليهودية »** .

من أقوال ناحوم جولدمان بصحيفة النيويورك تايمز بتاريخ ١٩٥٨/٧/٢٤ .

• **« إن مثل هذا الإضطهاد ــ ضد اليهود ــ قد يكون بركة . من الممكن أن شيئاً من اللاسامية ضرورى لتعزيز الكيان اليهودى »** .

من أقوال الصهيونى لبويفغر فى صحيفة ناشنال جويش بوست اندينيون بتاريخ ١٩٥٩/١/٦ .

• **« إن كيان إسرائيل ليس ضرورة سياسية فحسب ، بل هو قيمة مثالية نهائية ، إنهم ــ الصهيونيين ــ مستعدون للتضحية بيهود المنفى وبكافة المصالح اليهودية مادام ذلك يعود على إسرائيل بالنفع »** .

الصهيونى وليم زوكرمان ، من مقال بالجويش نيوز بتاريخ ١٩٦١/٩/٤ .

والكلمة الأخيرة تعكس تماماً ما حدث بالعراق الذى كانت تعيش به أكبر جالية يهودية بالعالم العربى ، وتعيش فى حالة اندماج شديد اعتبر اليهود أنفسهم فيه عراقيين فكان بينهم وزير فى الحكومة العراقية وكانت أمورهم فى العراق تسير من حسن إلى أحسن ، فكانوا يمارسون أنشطتهم الدينية والسياسية والاجتماعية بحرية شديدة ، ولهذا عندما قامت إسرائيل على أنقاض فلسطين ، قامت المظاهرات فى بغداد تندد بالكيان الصهيونى الوليد ، ولكن الجالية اليهودية الكبيرة ـــ أكثر من ١٥٠ ألف يهودى ـــ ظلت تمارس نشاطها دون الإساءة اليها ، ولهذا لم يكن لديها أى مبرر للهجرة إلى إسرائيل مجهولة المستقبل ..

بيد أن عددهم ـــ كما يقول وجيه أبو ذكرى[١] ـــ كان يسيل لعاب بن‌جوريون ، فقامت بريطانيا بطلب منه بترتيب لقاء بينه وبين نورى السعيد ـــ حاكم العراق ـــ فى النمسا .. وتم فى هذا اللقاء الاتفاق على تهجير يهود العراق إلى إسرائيل ، وذلك عن طريقة خطة جهنمية :

تفتح العراق باب الهجرة اليهودية إلى إسرائيل ، مع إسقاط الجنسية عن كل مهاجر ، حتى لا يعود بعد أن يصل إلى إسرائيل .. وقدم المشروع إلى البرلمان العراقى الذى أقره ، ولكن لم يتقدم الكثير للهجرة إلى إسرائيل .

وهنا بدأت الموساد فى دورها لإجبار الجالية اليهودية فى العراق على الهجرة إلى إسرائيل بالأساليب الإرهابية وبدأت بغداد تشهد سلسلة من الانفجارات وإلقاء القنابل على تجميع اليهود العراقيين !

ولقد كانت كل هذه القنابل مدبرة بطريقة أريد بها إجبار اليهود على مغادرة العراق باتفاق ضمنى ـــ مع حاكمها « الخائن لقضية أمته العربية » لقد أثبت هذه الحقيقة وبوضوح الصحفى الإسرائيلى باروخ نابل عام ١٩٧٧ . وأثبت بما لا يدع مجالًا للشك أن عمليات التحريض الإرهابية وحوادث إلقاء القنابل تمت على يد العناصر اليهودية التابعة للهاجاناة ـــ جيش إسرائيل .

وقد أثبت نابل أيضاً أن العصابة الصهيونية الحاكمة فى إسرائيل قد طبقت على يهود العراق ما جاء فى تقرير « كلا وزنر » **أمام المؤتمر اليهودى الأمريكى المنعقد**

فى ٢ مايو ١٩٤٨ والذى طالب بإعادة اليهود إلى إسرائيل بالقوة حيث جاء فى التقرير :

« ليست لدى اليهود رغبة قوية فى الذهاب إلى فلسطين » .. « أعتقد أن هؤلاء الناس يجب أن يجبروا على الرحيل إلى فلسطين .. فلتحقيق هذا البرنامج للطائفة اليهودية ، ينبغى قلب الأوضاع ، فبدلًا من تهيئة أكبر قدر من الراحة للأشخاص (المطلوب ترحيلهم) يتعين على الناس تحقيق ظروف متعبة لهم ، .. ويمكن فى مرحلة لاحقة الاستعانة بالهاجاناة لإقلاق هؤلاء اليهود ودفعهم إلى الانخراط فى الهاجاناة » .. والهاجاناة التى سيتم الاستعانة بها هى العصابات التى يتم إرسالها إلى خارج إسرائيل لدفع اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين ، والهاجاناة التى سينخرط فيها المهاجرون هى جيش إسرائيل الذين سيلتحق به المدفوعون إلى الهجرة حال وصولهم إلى إسرائيل .. مما يعنى مضاعفة القوة العسكرية لدولة إسرائيل العدوانية ، وزيادة قدرتها الاقتصادية بزيادة مواردها البشرية من جهة ، وزيادة حجم التعويضات المادية التى ستصل إلى إسرائيل من ألمانيا التى تحلب إسرائيل ضرعها على اعتبار أنها أتت فى عهد النازى موبقات العداء للسامية الأمر الذى يضطرها إلى التكفير عن هذه الموبقات بدفع التعويضات إلى اليهود الذين تعرضوا للعداء للسامية على أراضيها وعلى أراضى غيرها ! كما سيؤدى أيضا إلى زيادة حجم المعونات والمنح والقروض التى تقدمها الولايات المتحدة الأمريكية إلى إسرائيل حيث تبنت الأولى دعم إسرائيل بموارد مادية تمكنها من « **سقاية** » **الشتلات اليهودية** التى يتم جلبها قسراً إلى إسرائيل بدعوى العداء للسامية التى تتعرض له فى منبتها الأصلى .

ونحن إذا ألقينا نظرة على الطريقة التى تم بها تهجير اليهود العراقيين إلى إسرائيل ، لاكتشفنا أن إسرائيل — كما هى عادة الصهيونية تضلل الرأى العام العالمى فهى إذ تشن حملة شديدة على الحكومة العراقية وتتهمها بالعداء لليهود ، فإنها تعلم أنها المستفيد الأوحد من مثل هذا العداء ، إن مثل هذه الحملات ضد الحكومات التى تصفها إسرائيل بأنها تثير لدى رعاياها اليهود الخوف من إعادة إحياء اللاسامية ، تقوم بها المنظمات الصهيونية ضد كل من يتفوه بقول — لا يأتى

بفعل فقط — ضد اليهود وضد إسرائيل ، الأمر الذى أدى على مدار النصف الأخير من هذا القرن إلى اختفاء كل ما يمكن وصفه بالعداء للسامية « اليهودية » — بفرض وجود سامية يهودية .

لقد أفلحت الصهيونية خلال هذه الفترة فى إنشاء عدة منظمات يهودية فى الولايات المتحدة وأوروبا تراقب تصرفات وأقوال الأمريكيين والأوروبيين[1]وتنصب لهم المشانق إذا ما رأت أو اشتمت رائحة معادية لليهود فى أى قول وتصرف يصدر منهم ، ومن بين هذه المنظمات المنتشرة فى الولايات المتحدة وأوروبا — اخترنا فرنسا **كمثال عن** أوروبا — نذكر المنظمات اليهودية الآتية فى الولايات المتحدة .

○ **منظمة البناى بيرث** — وهى منظمة تصف نفسها بأنها « إجتماعية وإنسانية » وفى نفس الوقت تشرف على عصبة تعمل لمحاربة كل من يسيء إلى اليهود ، وهى تستهدف بدورها « استئصال الإساءة لليهود » .

○ **اللجنة اليهودية الأمريكية** ، وهى لجنة **أنشئت** بهدف السعى إلى منع انتهاك الحقوق المدنية والدينية لليهود فى أى مكان فى العالم . وهذه اللجنة أقامها أصلًا **اليهود الأمريكيون الأثرياء — القادمون** من أصل ألمانى — ومازالوا حتى الآن يسيطرون على سياساتها .

○ **منظمة المؤتمر اليهودى الأمريكى** ، الذى ظهر أصلًا فى العشرينات من هذا القرن كمجموعة منشقة من « اللجنة اليهودية الأمريكية » . وحسب تعريف المؤتمر لنفسه فإنه « يسعى إلى استئصال كل النشاط العنصرى والتعصب الدينى والدفاع عن إنفصال الكنيست عن الدولة ، وتنمية البناء الخلاق للشعب اليهودى ومساعدة إسرائيل فى النمو بسلام وحرية .

---

(١) لا يتوقف الأمر على الولايات المتحدة وأوروبا فقط ولكن يشمل كل العالم ، بما فى ذلك العالم العربى ، حيث تراقب المنظمات اليهودية كل كتابات المصريين والعرب التى ضد إسرائيل أو ضد الصهيونية أو ضد اليهود .. وتصدر كتابات مخصصة لإظهار هذا العداء ضدهم .. ومن هذه الكتابات نذكر كتاب « برنارد لويس » : « الساميين واللاساميين » روح قاهرة (منشورات سيد ينفيلد ونيكلسون ، لندن ١٩٨٦) وكتاب الباحثة الإسرائيلية بعنوان : متغطرسة ، « اللاسامية فى كتابات المصريين » .

○ **لجنة العمل اليهودى** ، وهى لجنة تصف نفسها بأنها تسعى إلى مقاتلة العداء للسامية ، ومساعدة منظمات العمل اليهودية ، وغير اليهودية فيما وراء البحار .

وبالنسبة لهذه المنظمات ، وكثير غيرها ، أحجمنا عن ذكره لكثرته ، فإن « البناى بيرث » هى أكبرها ، حيث كانت تقول ـــ عام ١٩٧١ ـــ أن عدد أعضائها يصل إلى ٤٠٠ ألف يهودى[1] .

وعن عمل هذه المنظمات يقول الروائى الأمريكى « **بول جاكوب** »[2] **إن اليهودى الأمريكى عندما يتعرض لأى أساءة ، فإن أربع منظمات يهودية على الأقل تهب للشكوى نيابة عنه** .. وهو يضرب مثلًا ساخرًا على ذلك بأنه إذا حدث مرة ودخل يهودى أمريكى إلى دورة مياه فوجد « عبارة نابية » ضد اليهود مكتوبة على الحائط فإن ما يحدث فوراً ما يلى :

تسرع منظمة « البناى بيرث» إلى إرسال ممثل عنها ينتقل إلى مكان دورة المياه لكى يأخذ البصمات من هناك ، ويلتقط لها عدة صورة .. ثم تقوم المنظمة بفحص هذه البصمات من واقع الملفات التى تحتفظ بها لبصمات مليونين من الأمريكيين الذين اعترفوا بعدائهم للسامية . وعلى الفور تنشر المنظمة البصمات فى صحيفتها ، لكى يتبين أن العداء للسامية ينتشر ويتزايد ، وأن على كل يهودى أن ينضم لعضوية المنظمة .

فى نفس الوقت يقوم مسئول من اللجنة اليهودية الأمريكية ، بدراسة دورة المياه بدقة ، وسرعان ما تقرر اللجنة إعطاءه منحة لجامعة كولومبيا لدراسة « العداء للسامية ، كما تعبر عنه كتابات الحائط عبر التاريخ » .. كما تقوم اللجنة بإصدار كتيب تثبت فيه أن مشروب المارتينى (الذى يحبه الأمريكيون) هو اختراع قام به أصلًا رجل يهودى ، وفى النهاية تخبر اللجنة أعضاءها أن شخصية طبية كبيرة سوف تتحدث فى الاجتماع السنوى القادم عن العلاقة بين شرب

---

(١) محمود عوض : « الحرب الرابعة ، سرى جداً» ـــ المكتب المصرى الحديث ـــ القاهرة ١٩٧٤ ص ١٩٨ ـــ ١٩٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١٩٩ ـــ ٢٠١ .

المارتينى وبين العداء للسامية (!) إنها مناقشة طبية سوف تعقبها مناقشة علمية .

وفى نفس الوقت يصل إلى مكان الحادث مسئول « المؤتمر اليهودى الأمريكى » حاملًا فى أعقابه لافتات تعلن : « مزقوا الحائط » . أما فى مكاتب المؤتمر فإن ستة من المحامين يكونون قد بدأوا فى التحضير لدعوى يرفعونها أمام المحكمة الأمريكية العليا ، بهدف المطالبة بمنع بيع الخمور إلى أى شخص تصدر عنه ملاحظة تحمل الغداء للسامية .

وبينما يجرى كل هذا تكون « لجنة » العمل اليهودية « قد رتبت سلسلة من المحاضرات الأسبوعية لأعضاء اتحاد البارات ، وتكون قد أعدت مشروع قرار لعرضه فى الاجتماع السنوى التالى ، المشروع يأمر أعضاء اتحاد البارات بالأ « يتبولوا » فى دورات المياه « المعادية للسامية » !

وفى النهاية — وكأنه اعتذار عما قد صدر من المنظمات السابقة — يصدر « المجلس الأمريكى لليهودية » — وهو مجلس يسعى إلى تنمية المبادىء العالمية للديانة اليهودية المتحررة من القومية ، والتزامه الواضح هو محاربة الصهيونية — يصدر بياناً .. أن ممثله يجتمع بالصحفيين لتلاوته عليهم ، بينما يحيط به اثنان من العرب — جاءوا لإثبات أن العرب لا علاقة لهم « بالحادث » ، وقد أرسلتهما « جمعية أصدقاء الشرق الأوسط» — إن المتحدث باسم المجلس ينكر أن تكون العبارة قد كتبت أصلًا لأنه « لا يوجد يهود ، ولكن يوجد فقط أمريكيون من أصل يهودى » . وحينئذ .. يرسل المجلس نداء إلى الرئيس الأمريكى ووزير الخارجية وحكام الولايات الخمسين ، لكى يدينوا مجهودات إسرائيل الصهيونية التى تهدف إلى لصق إسرائيل باليهود الأمريكيين .

(أى أن ما يحدث هو منظمة تصد وأخرى ترد بحيث لا تخسر كلتاالمنظمتين الرأى العام ولكن تثيره فقط لصالح كليهما) .

وإذا كان الأمر هكذا فيما يختص بكتابات مجهول كتبها فى مكان « قذر » لا يدخله كثيرون ، فما بال رد فعل هذه المنظمات تجاه أى كتابات يقوم بها

كتّاب يوقعون بأسمائهم على مقالاتهم . فى صحف ومجلات يطلع عليها الملايين .. لابد أن رد الفعل سيكون أقوى وأخطر بكثير ، وستختفى منه « اعتذارات » المنظمة الأخيرة .. وهذا هو ما يحدث فعلًا .. وقد حدث ذات مرة أن تهجم الكاتب الصحفى الأمريكى جور فيدال على الصحفى اليهودى الأمريكى « نورمان بودهورتز »[1] فكتب الأول فى صحيفة **Notion** (عدد ٢٢ مارس ١٩٨٦) يقول إن بودهورتز وزوجته ميدج ديكتر هما فردان « يعيشان بيننا لترويج الدعاية وجمع الأموال لصالح إسرائيل ، وذلك البلد الذى لا يبدو أنهما يتوقان للعيش فيه » ، ورغم أن مقولة « فيدال » لا تتعدى ذكر الحقائق ، ولا تمثل أى اساءة إلى دولة إسرائيل أو إلى عموم اليهود ، إلا أن الأخير كتب يرد على « فيدال » فى مقال تحت عنوان « انفجار فيدال مرحلة جديدة مشئومة من اللاسامية » (نشرت بالواشنطن بوست عدد ٨ مايو ١٩٨٦) ملأه بالهجوم الشخصى على فيدال واتهمه بمجموعة من الصفات « العارية والوقحة والشريرة » واستطرد يقول :[2] .

« أن فكرة فيدال الأساسية هى أن معظم اليهود الأمريكان يشكلون « طابوراً خامساً إسرائيلياً » [وهم كذلك فعلًا] . فكل كلمة تفوه بها فيدال مشبعة بكره لليهود .. إن فيدال تأكله مشاعر شديدة العداء لليهود .. إن اللاسامية بدأت بالزحف من جديد إلى الحديث العام ، وها هى مقالة جور فيدال تمثل نموذجاً أساسياً لها » !

وبالنتيجة فقد أول بودهورتز الهجوم على شخصه وعلى زوجته ـــ وذلك بغض النظر عما إذا كان لهذا الهجوم ما يبرره ـــ أوله كهجوم على اليهود كافة وبالتالى أعتبره معادياً للسامية ! .

والواقع أن العداء للسامية ـــ اليهودية ـــ فى وجهة نظر اليهود لا يقتصر على مجرد إبداء العداء لليهود ، ولكن حساسيتهم الزائدة جعلتهم يوسعون دائرة

---

(١) محرر مجلة كومنترى الشهرية **Commentory** الصادرة عن اللجنة اليهودية الأمريكية .

(٢) مقال معاداة السامية ومعناها المتغير ، بقلم آلان براونفلد ، ترجمة سحر الهنيدى ، مجلة الثقافة العالمية العدد ٣٧ ـــ نوفمبر ١٩٨٧ ص ٣٩ .

المحرمات التى لا يجوز المساس بها أو الاقتراب منها .. وهذه المحرمات توسع فيها ارنولد فورستر وبنجامين ابشتاين ــ قادة العصبة المضادة لتشويه السمعة ، التابعة للبناى بيرث ــ وذلك فى كتابهما « اللاسامية الجديدة » ، كما توسع فيها ناثان برلموتر ــ المدير القومى للعصبة المعادية لتشويه السمعة ــ وكذلك توسع فيها يهود آخرون لتصبح قائمة المحرمات :

ــ إبداء العداوة تجاه اليهود ، أو الوقوف موقف معاكس لهم ، وفى هذا الصدد طالب بودهورتز « اليهود بملء خنادقهم بالرجال فى تلك الحرب العقائدية الضروس التى تشن ضد إسرائيل وضد اليهود ككل » !

ــ انتقاد إسرائيل ، أو ذمها ، أو وضع اللوم عليها ، ويبرر مؤلفا « اللاسامية الجديدة » ، هذه « النظرية » ! التى يتم مساواتها باللاسامية على أساس مفهوم يقول بأهمية إسرائيل لليهود وكذلك إدراك اليهود « لمركزية » إسرائيل بالنسبة لوجودهم وأمنهم ، وفى هذا الصدد يثور ثمة سؤال : « اذا كانت إسرائيل « مركزية » بالنسبة ليهود أمريكا ، وكأن مقياس الأمور بالنسبة لهم « هل هذا مفيد أم مضر لإسرائيل » ، وكانت إسرائيل بالنسبة لهم هى أرض الميعاد ، فلماذا لا يتركون أمريكا ويعودون إلى إسرائيل ؟!

إبداء العداء ضد الصهيونية ، باعتبارها حركة سياسية تعبر عن مجموع اليهود ، حتى وإن كان العداء موجهاً من قبل يهود (!) ينظر اليهم على أنهم لاساميين منشقين أو من قبل مؤسسات تمثل جميع شعوب العالم . وفى هذا الصدد يعتبر ناثان برلموتو (نقلًا عن الواشنطن بوست عدد ٥ يونيو ١٩٨٣) **أن الأمم المتحدة هى « الحلة التى تطبخ فيها اللاسامية »** وما ذلك لشئ إلا لأن الأمم المتحدة أدانت الصهيونية باعتبارها حركة عنصرية (القرار ٣٣٧٩ الصادر عام ١٩٧٥) .

تبلد الشعور بالنسبة للمواضع التى تقلق اليهود ، فالوقوف على موقف الحياد ــ يفسرة المؤلفان بأنه « عدم مبالاة قاسية لاهتمامات اليهود من قبل مؤسسات أو أشخاص جديرين بالاحترام » ويقول عنه غيرهما بأن « من ليس

بمؤيد « لإسرائيل » ، ولا هو بمؤيد للفلسطينيين هو معادٍ للسامية (!) . وواضح أنه تصنيف يبسط أمور معقدة ويحول النقاد والمعلقين إلى أحد طرفين : أصدقاء أو أعداء .

ـ إبداء شعور بالأسف تجاه الضحايا الفلسطينيين ، وهو شعور يصفه اليهود بأنه « أشواق لاسامية » ! وفى هذا الصدد فقد وصف محررو الصحف اليهودية كل من أبدى أسفه لسقوط الضحايا فى مذبحة صابرا وشاتيلا ، بأنهم « لاساميون تثير لديهم الأشواق الرقيقة للسلام صوراً لاسامية ممزوجة بغضب عارم » وبأن « الغلو ، والجهل يثير صور معاداة السامية لديهم » .

الاعتراض على الاتصالات السرية فيما وراء الكواليس Lobbying التى تقوم بها « لجنة الشئون العامة الأمريكية الإسرائيلية « ايباك » AIPAC . وهى اتصالات الهدف منها خدمة إسرائيل حتى ولو كان ذلك على حساب مصلحة أمريكا .

انتقاد الديانة اليهودية أو ذم بعض أساطيرها ، أو مناقضة أطروحاتها وإثبات « دجل مؤلفو التوراة » .

إن قائمة المحرمات تلك قابلة للتوسع .. والعكس ليس صحيحاً ـــ وهو توسع تمليه العقلية اليهودية التى ترى أن معاداة السامية « **مرض مستوطن فى العالم غير اليهودى** » وبأنها « **مستفحلة فى أمريكا** » إن الكاتب اليهودى الأمريكى « بيتر دافيد هورنك » بعد أن يؤيد هاتين « النقطتين » ويحذر من معاداة السامية هى جزء من البيئة العادية المفترضة لحياة الطبقات العاملة فى أمريكا يعود فيؤكد أن مشكلة التزاوج بين اليهود وغير اليهود فى أمريكا معروفة للجميع ، والأرقام مرعبة ٣٥٪ هنا ـــ ٥٠٪ هناك !! **وهو بهذا يناقض نفسه ـــ كما هو عادة اليهود الذين لا تقوم أقوالهم على صدق ـــ فلو كانت معاداة السامية ـــ بالفعل ـــ منتشرة الى هذا الحد ، وهو أمر يعلمه مراقبون أكثر ثقافة وحنكة منه أنه غير صحيح ـــ فلماذا إذن يكون التزاوج مقبولًا إلى هذا الحد ، وهل يستطيع المرء ، أن يقول بجدية إن اليهود يعانون من التعصب الأعمى ضدهم على جانب ، بينما على الجانب الآخر أن يتلاشوا من الوجود بسبب قبولهم الواسع فى**

المجتمع غير اليهودى ؟!

بالطبع هذا غير معقول ، ولكن ما عسانا نفعل فى المنطق اليهودى الذى لا يعتمد على قاعدة حقيقية ، شأنه فى ذلك شأن الادعاء بوجود عداء ضد السامية فى أمريكا رغم أن الانتقادات التى يوجهها الأمريكيون غير اليهود إلى إسرائيل ليست أكثر حدة من الانتقادات التى يوجهها اليهود أنفسهم إليها ، ورغم **أن توجيه النقد لسياسة ما لا يعنى أنك تهاجم دولة إسرائيل التى تتبع هذه السياسة** ، ورغم أن أمريكا بلد ديمقراطى حر ، وجوهر أى مؤسسة ديمقراطية هو النقاش الحر وابداء الرأى فى كل الأمور التى تتعلق بمصير هذه المؤسسة ، فما بالنا بمصير دولة كأمريكا ، تستنزف إسرائيل أموال دافعى الضرائب الأمريكيين وتستغل أموالا كان الأجدى أن تذهب الى فقراء أمريكا ! .. وحتى مثل هذا القول الأخير ، ليس بمستطاع نشره علانية لأن سيف العداء للسامية سيرتفع ضد قائله ، حتى وأن كان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية نفسه . وقد حدث فى شهر سبتمبر عام ١٩٩١ أن اشتد الجدل حول طلب الاسرائيليين مبلغ عشرة مليارات دولار تريد إسرائيل ان تحصل على ضمانات لأخذها خلال خمس سنوات من أمريكا ، وبالنظر لأن هذه القروض ستستخدم فى توطين اليهود السوفيت بإسرائيل ، مما يعكر صفو الخطوات التى تتخذها أمريكا بشأن عقد مؤتمر دولى للسلام لحل النزاع العربى الاسرائيلى حيث يمثل السلام أفضل خدمة لإسرائيل فقد حدث أن عقد الرئيس الأمريكى مؤتمراً صحفياً دعا فيه أعضاء الكونجرس الأمريكى إلى الموافقة على تأجيل إتمام الصفقة لمدة ١٢٠ يوماً فقط حتى تكون عملية السلام قد بدأت ، وفى اللقاء سألته إحدى الصحفيات إن كان توجيه هذه المليارات العشرة لخدمة فقراء أمريكا أفضل من توجيهها لتوطين اليهود السوفييت بإسرائيل ؟ فكان أن أجاب « بوش » مؤكدا ذلك بشدة .. فماذا كانت النتيجة ؟

لم تنظر الدوائر الحكومية الإسرائيلية إلى الأمر من منطلق مدى الخدمات التى قدمها بوش إلى إسرائيل ، وهى خدمات عبر عنها صراحة المستشار الألمانى هيلموت كول ، حين قال : « **إنه لم يعرف أى رئيس للولايات المتحدة الأمريكية قدم لإسرائيل من الخدمات أكثر مما قدم الرئيس بوش** » (سيأتى

الإشارة إلى بعض الخدمات التى قدمها بوش لإسرائيل من جراء حرب الخليج فى فصل قادم) **ولم تأخذ فى اعتبارها أن :**

الرئيس بوش ليس ضد هجرة اليهود إلى إسرائيل بدليل أنه أشرف بنفسه حين كان نائباً للرئيس الأمريكى عام ١٩٨٥ على عملية ترحيل اليهود الأثيوبيين (الفلاشا) إلى إسرائيل ، وأنه كان القائد الأول لعملية الترحيل الثانية للفلاشا عام ١٩٩١ . بل **إنه** كان وراء فتح الاتحاد السوفيتى أبواب الهجرة أمام اليهود السوفيت ، وذلك عندما عرض على الاتحاد السوفيتى إزالة القيود القانونية على التجارة مع الاتحاد السوفيتى مقابل فتح أبواب الهجرة اليهودية أمام اليهود السوفيت .

الرئيس بوش ليس ضد توطين المهاجرين فى إسرائيل ، بدليل أنه أغلق الباب الأمريكى أمام اليهود السوفيت ليجبرهم على الهجرة إلى إسرائيل ، وبدليل أنه فى الوقت الذى كان يهاجم فيه وزير خارجيته إقامة المستوطنات الإسرائيلية بالضفة الغربية وغزة ، كان هو يتفاخر بمدى سعادته فى المشاركة فى عملية ترحيل ١٨ ألف يهودى أثيوبى إلى إسرائيل (ليستوطنوا هذه المستوطنات) .

ــ الرئيس بوش ليس ضد عملية إعطاء ضمانات بمثل هذا المبلغ الضخم (١٠ مليارات) بدليل أنه :

(ا) لم يطلب إلغاء الصفقة بأكملها .

(ب) ولم يطلب تأجيلها إلى أجل غير مسمى .

(جـ) وعد بتقديم مساعدة عاجلة تستطيع بها إسرائيل أن «تسير أمورها» لحين حصولها على المبلغ المتنازع عليه .

(د) اكتفى بمجرد طلب التأجيل لأربعة شهور فقط .

كل هذه الأمور لم تأخذها إسرائيل فى الحسبان ، أو لعلها أخذتها ولكن صرفتها فى «الابتزاز السياسى» ودفعتها ممثلة فى شخص «رحبعام زئيفى» الوزير بلا وزارة ــ ومن وراءه من الإعلام الإسرائيلى ــ إلى إتهام بوش **بأنه : كذاب ، ومعاد**

لإسرائيل ، ومناهض للسامية[١] ..

وهكذا فإن أى مناقشة لسياسة الشرق ـــ يقول جورج بول ، قد تم إسكاتها بالاستعمال الواسع لتهمة العداء للسامية ، حيث أنه « يهم غالبية الناس كثيراً عدم تهمتهم باللاسامية »[٢] .

هذا عن العداء للسامية فى أمريكا حيث أصبحت حرية القول آخذة فى الانهيار بسبب الضغوط التى يمارسها الصهاينة على كل أمريكى ، الأمر الذى أدى إلى اختفاء كل ما يمكن اعتباره معاداة للسامية . أما فى أوربا ـــ **وبالتحديد فى فرنسا ، فإن القيود التى يضعها الصهاينة على عقول مفكرى ونقاد فرنسا لا تقل « جودة » عنها فى الولايات المتحدة ، ففى فرنسا توجد كذلك عدة منظمات صهيونية مهمتها الأولى هى مناهضة العداء للسامية . ومن أهم هذه المنظمات : ـــ**

ـــ « مراب » الحركة المضادة للعنصرية من أجل الصداقة بين الشعوب .

ـــ « ليسيا » جمعية المناهضة للسامية .

« ليكرا » الرابطة المضادة للعنصرية واللاسامية .

وتركز هذه المنظمات الصهيونية على مراقبة « **الأنفاس الفرنسية** » بهدف محاسبة كل من يتجرأ وتخرج منه « **زفرة** » يمكن أن يستشف منها رائحة العداء لليهود ، أو لليهودية ، أو لإسرائيل ، أو للصهيونية ، أو لأنصار كل هؤلاء .. وقد حدث أنه عندما نشر أحد الصحفيين ـــ كلود ريجانت ـــ مقالاً عن أفكار البروفيسور « روبير فوريسون » حول غرف الغاز المزعومة التى أبيد فيها ستة ملايين يهودى ، والتى أكد فيها فوريسون أن الأمر لا يعدو أن يكون سوى أكذوبة تاريخية . هبت الجمعيتان « ليسيا » و « ليكرا ».واشتكت أمام القضاء فى

---

(١) ويعلق السناتور الأمريكى روبرت بيرو على آراء الحكومة الإسرائيلية بقوله : أنه لمن الأيام الحزينة ألا يستطيع الرئيس الأمريكى التعبير عن اختلافه فى الرأى مع إسرائيل بدون أن يتهم بأنه معاد للسامية !

(٢) عن مثل هذه الاراء . ورأى هارولد بايتى ، يمكن العودة إلى كتاب« من يجرؤ على الكلام » للسيناتور الأمريكى السابق بول فندلى . شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـــ بيروت ، ١٩٨٦ طبعة ثالثة .

وقت واحد على البروفيسور المذكور وعلى الصحيفة المذنبة (لوماتان دو بارى)، لأنها سمحت له بالتعبير عن نفسه، ولأن «ريجانت» قد تجرأ على الكلام فى هذا الموضوع (رغم أن مقال ريجانت كان بمثابة تزوير لا علاقة له إطلاقاً مع أبحاث فوريسون، مما أدى إلى تشويه تلك الأبحاث)(!)

إن موضوع «أفران الغاز» هو أحد أهم وأكبر المحرمات التى تمنع **الصهيونية على أى صحيفة أو جريدة الاقتراب منها**، وتتهم المنظمات الصهيونية كل من يتعرض لحقائق هذا الموضوع «بالعداء للسامية»، فبعد أن يوصف كاتب المقال الصحفى بأبشع الأوصاف يتم مقاضاة الصحيفة بتهمة العداء للسامية، **والغريب أن القضاء لا يجد مناصاً من مجاراة المنظمات الصهيونية خوفاً من بطشها أو الإساءة لسمعته، فيصدر أحكاماً لصالح هذه المنظمات**، كما حدث فى صحيفة نيوستيمة **New Stimm** الفرنسية التى تصدر فى منطقة الالزاس، حيث حكم عليها بغرامة قدرها عشرة آلاف فرنك بتهمة «التحريض على إثارة التفرقة العنصرية، والعداء للسامية» وذلك لمقال نشرته فى يونيو ١٩٨٥ يتناول استعمال اليهود لموضوع غرف الغاز فى دعايتهم الصهيونية فى فرنسا .. أما بخصوص مقاضاة «فوريسون»، فرغم أن الجمعيتين ليسيا وليكرا قد أقدمتا على مقاضاته، **إلا أن المحكمة لم تجمع الحكمين معاً وحكمت ضد فوريسون مرتين بسبب نفس المخالفة، عكس ما يحصل عادة**، والحكم الذى صدر فى ١٣ يوليو ١٩٨١ كان يشمل الحكم عليه بالسجن ثلاثة أشهر مع وقف التنفيذ، وتغريمه مبلغ خمسة آلاف فرنك فرنسى وإجباره على دفع عشرة آلاف فرنك فرنسى كتعويضات، وعلى نشر الحكم الذى صدر على نفقته الخاصة فى الصحف، مع قراءة الحكم مرتين على إذاعة أوروبا رقم «١» ومرة خلال نشرتها الإخبارية.

أما التهمة التى قام عليها الحكم فهى: «التشنيع العنصرى حيث صدرت من فوريسون ألفاظاً اعتبرتها المحكمة بمثابة تشنيع عنصرى»! .. والغريب فى أمر هذا

---

(١) حول ما تعرض له «فوريسون» من ضغوط صهيونية يمكن مراجعة كتاب «الأكذوبة التاريخية» تأليف روبير فوريسون ومارك بول ميمى، ترجمة وإعداد ماجد حلاوى. نشر دار الناشر للطباعة والنشر. بيروت — ١٩٩٠.

الحكم أن الاتهامات التي وجهت إلى فوريسون ، الذى وصفته المنظمات الصهيونية **بأنه مزور ، معتوه ، مسكين ، إنسان ضال ، إنسان غير مُنور ، وحش مخيف ،** لم تكن قائمة على دليل علمى تاريخى ولكن على مجرد كلام إنشائى يتصف بمجرد العداء للسامية الأمر الذى اضطر المحكمة أن تبدى رأيها بأنه « ليست للمحاكم صفة أو كفاءة للحكم بشأن التاريخ ، وأنها لا تستطيع أن تفرض أطروحة تاريخية تكون لها قيمة التاريخ الرسمى » .. **ومع هذا انساقت وراء الحملة الصهيونية التى شنتها الصحف الصهيونية الفرنسية من أمثال « ليبراسيون » أو « لوماتان » وغيرهما ..** فعقب تداول القضية إعلامياً ظهرت صحيفة ليبراسيون بالعناوين الآتية :

ـــ « أعمال معادية للسامية لأستاذ جامعى » .

ـــ « تدريس المعاداة للسامية » .

ـــ « صفوف روبير فوريسون ، الأستاذ المعادى للسامية ، مُعَلَّقة مؤقتاً » .

بل وصلت الحملة التحريضية الواردة فى مقالات وافتتاحيات « ليبراسيون » حد نشر مقال مسهب انتهى بالفقرة الآتية :

« لكن ألن يكون هناك سوى الطلاب المنتظمين فى صف « الأدب الفرنسى فى القرن العشرين » ، لكى يستمعوا يوم الاثنين إلى فوريسون فى جامعة كلود بارنار ، فى القاعة رقم ١٢ عند الساعة الثامنة بعد الظهر » .

أى « هبوا جميعاً إلى المظاهرة ، واتجهوا إلى العنوان أعلاه ، فى الساعة أعلاه ، لكى تتظاهروا » .

وهو ما حدث بالفعل ، حيث لم يتمكن فوريسون من إعطاء محاضرته فى ذلك اليوم ، وقد اعتدى عليه بالفعل .

اما صحيفة لوموند من جانبها ـــ وفى محاولة لإبراء ساحتها ، فقد تكرمت بنشر بيان « صهيونى » يضرب عرض الحائط بأبسط القواعد العلمية ، حتى أن الأدلة الثبوتية التى يفترض أن يبحث عنها الباحث العلمى التاريخى لم تعد ذات أهمية عند ناشرى البيان الذين يصفون أنفسهم بالعلميين ، **وهم فى الواقع مجرد صهيونيين لا تسيرهم سوى أغراض خاصة** ، فنجد حفنة منهم عددها ٢٤

يصفون أنفسهم بأنهم مؤرخون يقول بالحرف فى البيان الذى نشرته صحيفة لوموند بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٧٩ (ما بين قوسين تعليق من المؤلف) : «لا يجوز أن نتساءل كيف كان ممكناً من الناحية التقنية تنفيذ تلك المجزرة الجماعية [وكل الحقائق تشير إلى استحالة ذلك] لقد كان ذلك ممكناً طالما أنه وقع [!] تلك هى نقطة الانطلاق الإلزامية لأى بحث تاريخى حول الموضوع (غرف الغاز) ، وعلينا أن نعيد التأكيد على تلك الحقيقة البسيطة : لا يوجد ولا يمكن أن يحصل نقاش حول وجود غرف الغاز» ا . هـ ..

ــ وانظروا إلى أى حد بلغت المحاباة للصهيونيين على حساب البحث العلمى المجرد .. أن نفس هذه المحاباة هى التى قادت صحيفة «ليبراسيون» (عدد ٣١ يوليو ١٩٨٦) إلى الهجوم على شخص الأستاذ «هنرى روك» ــ الذى أثبت فى رسالة دكتوراه أنه لا يمكن لأى عاقل الاستناد إلى شهادات الشهود حول إعدام ستة ملايين يهودى فى أفران الغاز ــ **والصحيفة لم تكتف بمهاجمة شخص «روك» بل هاجمت وزير البحث العلمى والتعليم العالى والأساتذة المناقشين للرسالة ، بل ذهبت الصحيفة إلى أبعد من ذلك ، حيث طالبت بتحديد أسماء من «حضر المناقشة»** ، وليس فقط هيئة الأساتذة المناقشه ، حتى يتسنى لنا مهاجمتهم واتهامهم بالعداء للسامية لمجرد الاستماع إلى رسالة الدكتوراه ! ولك هذا على سبيل المحاباة للجمعيتين : ليكروليسيا ، اللذين **أقاما عام ١٩٨٢ دعاوى قانونية ضد مدير صحيفة «لوموند» يومها ــ السيد جاك فوفيه ــ فقد وظيفته ليحل محله الصهيونى «أندريه فونتان»** . أما أسباب هذه الدعاوى فكان نشر الصحيفة إعلاناً احتل صفحة كاملة تحت عنوان «إعلان» ــ**Publicite**ــ (**التوضيح أن الصفحة إعلان مدفوع الثمن وليس من مسئولية الجريدة**) حمل الإعلان توقيعات : روجيه جارودى ، الأب ميشال لولون ، والراعى اتيان ماتيو (صديق الفلسطينيين) والنص حمل عنواناً سياسياً بارزاً : بعد مجازر لبنان «ماهو معنى العدوان الإسرائيلى ؟» . وثمن الإعلان بلغ سبعين ألف فرنك فرنسى دفعها الطلبة اللبنانيون الذين كانوا يومها يحتلون مكاتب

جامعة الدول العربية فى باريس ، والجامعة العربية نفسها ، وبعض السفارات العربية .

ومضمون البيان ــ الإعلان الصادر عبارة عن وثيقة سياسية تشرح للرأى العام الفرنسى ما يجرى فى لبنان وما جرى فى فلسطين قبل ذلك (١٩٥٦ ــ ١٩٤٨ ــ ١٩٦٧ ــ ١٩٧٣) ويدعو إلى موقف فرنسى عام ضد الغزو الإسرائيلى الجديد .

أما أدلة الاتهام الرئيسية ضد البيان ــ الإعلان فكانت التالية :

ــ أن من يقرأ البيان يخرج بشعور صارخ بالإدانة ضد الصهيونية (ليبراسيون عدد ١٩ مارس ١٩٨٣) (!) .

ــ إن البيان يتكلم عن الصهيونية بلهجة متشددة (!) .

ــ لا يجوز التهجم على ما يسمى بدولة إسرائيل ، ولا يجوز تشبيهها بالنازية ، ولا يجوز الكلام عن اللوبى الصهيونى وعن السيطرة المالية الصهيونية فى أوربا وأمريكا لأن ذلك يعتبر بمثابة ترديد لكلام «بروتوكولات حكماء صهيون» وهو كتاب ممنوع ومدان يعاقب القانون الفرنسى على كل من ينشره أو يحمله أو يقتنيه ! .

والواقع أن مثل هذه الاتهامات ــ وكلها تعنى الاتهام بالعداء للسامية ــ غير صحيحة بالمرة ، فالبيان كان يدين تصرفات الجنود الإسرائيليين اليهود فى لبنان ، وهى تصرفات أكثر حدة من تصرفات جنود النازى فى فرنسا ثم أن البيان لم ينقل عن كتاب بروتوكولات حكماء صهيون فقرات بعينها ، ولكن قال كلاماً عاماً :

«إن القوة المالية هى التى تفسر ــ بلا شك ــ تلك السيطرة العجيبة للعربى الصهيونى على مجمل وسائل الإعلام فى العالم من الصحافة إلى التلفزة مروراً بالسينما ودور النشر . وقد صدق ديجول حين أدان عام ١٩٦٩ ذلك النفوذ المبالغ فيه» .

ولا تمثل تلك الفقرة أى اقتباس من الكتاب المدان .. ثم إن القانون الفرنسى الذى يمنع تداول ذلك الكتاب ويعاقب كل من ينشره أو يحمله أو

يقتنيه ، قانون غريب ـــ ومريب معاً ـــ فالقانون يمثل حجراً على تداول ونقل المعلومات عن الصهيونية وهو حجر لا يستهدف سوى « تبيض وجه الصهيونية » وبالتالى فقد صدر القانون لمصلحة اليهود بهدف » التعمية على إستراتيجية اليهود للسيطرة على العالم »(١) !! هذا عدا أن التصرفات والأعمال الإرهابية اليهودية المتبعة فى فلسطين وفى لبنان هى تصرفات «تستحق» النقد وبالتالى فإن ناقدها ـــ سواء كان يهودياً أو مسيحياً أو مسلماً أو غير ذلك ـــ لا يمكن إتهامه بالعداء للسامية فالتصرفات التى تستحق النقد ، لماذا تمثل عداء بين الناقد والمنتقد ؟!

إن كل تصرفات « بعض اليهود » أو « الغالبية العظمى من اليهود » تستحق النقد بل وتولد الكراهية ضد اليهود ، وقد كان هرتزل على علم بذلك حين قال :
« إن اليهود أينما ذهبوا يحملون فى نفوسهم النزعة التى تثير أسباب العداء ضدهم » .

ولا نريد هنا أن نعدد مثالب الشخصية اليهودية ، ولا الأفكار التى تقوم عليها الديانة اليهودية ، ولا المبادىء التى غرستها بروتوكولات «خبثاء» صهيون فى صدور كل اليهود ، ولكن نكتفى بذكر الأسباب التى تؤدى إلى كره زنوج الولايات المتحدة الأمريكية لليهود ، خاصة فى نيويورك حيث **يوجد فى نيويورك وحدها مليون ونصف مليون زنجى يخضعون لسيطرة البوليس اليهودى والمدرس اليهودى والمحامى اليهودى ، وصاحب المحل اليهودى ، وصاحب البيت ، وصاحب الدكان ، والسمسار والطبيب والقاضى ، وكلهم من اليهود ، وجلهم تجمعهم المنظمات اليهودية المتعصبة خاصة المنظمة التى يقودها « اللوبافيش »** الذين يكرهون السود كراهية شديدة حتى أنهم يطلقون عليهم

---

(١) لا يبدو من باب المصادفة أن تسن فرنسا قانوناً يمنع مناقشة أى جرائم تتعلق بالانسانية ! حتى وأن كانت الأدلة العقلية والنقلية تنفى حدوثها ! فالقانون لا يخدم أساساً سوى اليهود الذين استغلوه فى رفع دعاوى ـــ وكسبوها ـــ ضد أى إنسان أو صحيفة تناقش « أفران الغاز » وآخر هذه الدعاوى ما نقلته وكالات الأنباء عن الحكم بعرامة على رئيس تحرير ومؤلف بتهمة العداء للسامية لأنه نفى وجود غرف الغاز فى معسكرات الاغتيال النازية استند فى الحكم على قانون جديد يحظر على أى شخص التشكيك فى حدوث جرائم الانسانية !! (الأهرام عدد ٢٠ ابريل ١٩٩١ .

اسم «أولاد الكفرة» ، وأن لعنةالسماء جعلت منهم أصحاب البشرة السوداء ، آن كل من ليس أبيض اللون وعيونه ملونة فهو إنسان ملعون من السماء ..

إن مثل هذه الرؤية العنصرية ليست هى فقط التى تؤدى إلى كره الزنوج لليهود ، ولكن التصرفات الناجمة عن مثل هذه الرؤية هى التى تقود إلى مزيد من الكراهية لهم ، وعلى سبيل المثال ، فالمرابى اليهودى يأتى إلى أى حى زنجى — وليس حى بروكلين فقط — ويبيع الغسالة بـ ٢٩٩ دولارا بالتقسيط ، فى وقت يبلغ فيه سعر هذه الغسالة ، فى الحى اليهودى بـ ٦٩ دولارا نقداً ، ولكن اليهودى يأتى إلى الرجل الأسود ويقول له : أدفع عشرة دولارات فقط وأخبرنى بوظيفتك .. وخذ الغسالة .. والآن يوقع الرجل الأسود على ورقة ، بينما اليهودى يأخذ هذه الورقة ويبيعها إلى شركة ائتمان ، وهى بدورها يهودية ! وبمجرد أن يعجز الدائن الأسود عن تسديد بعض الأقساط ، فإن محامياً يهودياً يحصل فوراً على أمر قانونى باستدعائه ، وبعدها يأتى محضر ، أن اليهود يأخذون الغسالة ، لكى يبيعونها من جديد ، بينما المواطن الأسود الحقير — الذى ربما لا يملك فى جيبه أكثر من دولارين — يفر من سخط أسرته ، وتحكمه رغبة فى الجرى ، ويسيطر عليه شعور بأنه لا يجد ما يفعله سوى أن يجرى إلى محل خمور ويضع الدولارين الآخرين فى جيبه فى الخمر ، أن الرجل الذى يبيع له الخمر هو فى النهاية يهودى آخر ! **ثم بعد ذلك لا يعادى الأمريكى الأسود اليهود ؟ لا يعادى السامية ؟؟**

إن اليهود هم الذين يخلقون العداء للسامية ، تصرفاتهم تجاه غيرهم هى التى تخلق العداء لهم[1] ، تصرفاتهم هى التى أدت إلى اضطهادهم من قبل أسبانيا وألمانيا وإنجلترا وفرنسا وسويسرا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا وهولندا والبرتغال وغيرهم .. وقد سبق لنا أن تساءلنا فى كتابنا «الأكذوبة الكبرى» : هل كل الشعوب المعادية للسامية واليهود فقط على حق ؟ والإجابة المنطقية على مثل هذا

---

(١) فى معاداة اليهود لا يمكن اعتبار العداء لليهود جريمة دون أن نسأل الطرف الآخر عن أسباب هذا العداء .لأن هذا أشبه بالحكم دون سماع الدفاع أو شهادة الشهود . ثم هل أن الكره مقبول من كل البشر ضد كل البشر إلا ضد اليهود ؟!

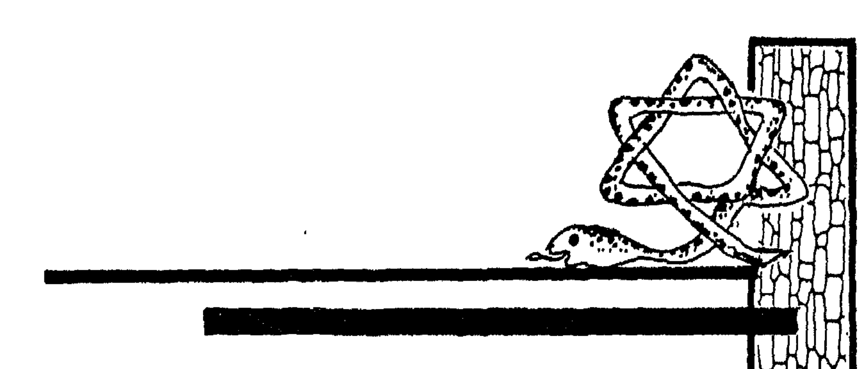
السؤال أن المجموع على صواب[1] ، **والفرد على خطأ** ، لكن الكاتب اليهودى « لوفسكى » فى كتابه « العداء للسامية وسر إسرائيل » يقول صراحة إن العالم كله غلطان وأن اليهود وحدهم على حق ! **أنه يقول ذلك رغم علمه أن العداء للسامية لعبة يتسبب فى إيقاظها من سُباتها تُصرفات اليهود حيال غيرهم ، فإذا لم توقظها هذه التصرفات ، افتعلها اليهود بأنفسهم لأكثر من غاية** ، وهذا ما تفعله اليهودية العالمية الآن كلما اشتد على إسرائيل ضغط مطالبتها بتحقيق السلام مع الساميين الحقيقيين ـــ العرب ـــ فالمكر اليهودى يدبر ضد اليهود فى كل مكان حوادث معادية للسامية . وقد حدث مع إحساس إسرائيل بالخطر الذى تحمله جولات شولتز من جراء مطالبتها بالسلام (!) ـــ **ولا توجد دولة فى العالم بأكمله تشعر بخطر السلام ! لأن السلام لا يحمل أى خطر إلا لمن كانت لديه طبيعة فاشستيه عدوانية** ـــ حدث أن انتشرت دفعة واحدة وفى وقت حوادث نبش قبور اليهود وتدنيسها وكتابة الشعارات والنداءات المعادية لهم تظهر .. فى فرنسا وإيطاليا والسويد وبولندا والإتحاد السوفيتى وكندا ، بل وفى إسرائيل نفسها ، فغطت أنباء معاداة السامية على جولات السلام .. واليوم مع اشتداد حملات السلام الدولية تجد إسرائيل نفسها ومعها الأقلام الموالية لها فى أوربا وأمريكا تنشط للتذكير بأن قرار عقد مؤتمر دولى لتسوية النزاع العربى الإسرائيلى هو عقاب لإسرائيل ، وتفسير ذلك ـــ فى نظر هؤلاء المحللين هو أن معاداة اليهودية قائمة ، **وهو تفسير ساذج يعتمد على أوهام زائفة وخيالات مريضة ، فالعداء لليهود وبالتالى للسامية هو محض أسطورة يعمل اليهود على تنميقها وإلباسها ثوب الحقيقة كلما ألمت بهم ضائقة واحتاجوا إلى مزيد من العطف على ذلك السامى اليهودى الغلبان الذى يتعرض بدون سبب (!) للعداء . أن اليهودى اليوم ليس ساميا ، وهو سبب البلاء والخراب والدمار الذى يجتاح العالم اليوم .**

---

(١) كل البلاد التى اضطهدت اليهود كانت لديها مجموعة من الأسباب لتعذيب وطرد هؤلاء الناس ، أنهم أناس غرباء شواذ وخونة مثل فئران السفينة ، التى تجد إذا ماغرقت شيئاً تأكله .



حادث تدنيس قبور اليهود فى تل أبيب . الحادث دبره ونفذه اليهود والمتهم هم الفلسطينيون . والدعوى هى العداء للسامية !



الفصـــل الرابـــع

أســطورة العربــى القبيـــح

« حقاً إننا (نحن الأمريكيون) أصبحنا الآن ننظر إلى العرب بنفس الطريقة التى كان ينظر بها العالم الغربى إلى « اليهودى التائه » قبل قرن من الزمان » لقدأصبح العربى صورة طبق الأصل من ذلك اليهودى »

جيفرى سانت

معلق شبكة سى . بى . إس التلفازية

● أسـطورة العربـى القبيـح

ـــ العوامل التى ساعدت الصهيونية على تشويه صورة الإنسان العربى .

ـــ الشخصية العربية ليست خالية من العيوب ولكن التركيز على عيوبها يظهر التحيز .

ـــ فى السينما الصهيونية : العربى همجى وخسيس وتافه وجبان وجاهل وبدائى وداعر !

ـــ فى الإعلانات التجارية التلفازية : العربى قذر بحيث لا يمكن تنظيفه بأى مسحوق غسيل !

ـــ فى الأعمال الغنائية : العربى متخبط فى سيره متعثر فى خطواته !

ـــ فى برامج الأطفال : العربى إرهابى مولع بالحرب والقتال وشرير فاسد !

ـــ فى المسلسلات التلفازية : العربى قبيح ودميم ووحش جنسى وتاجر للرقيق وإرهابى عريق !

ـــ فى الصحافة الصهيونية البريطانية : العربى أقل مكانة من الخنازير !

ـــ الصحافة الصهيونية الأمريكية تستغل كل خبر للإساءة إلى العربى !

ـــ فى حرب الخليج ركزت الصحف الصهيونية على أن كل العرب «صدام حسين» !

ـــ الدراسات العلمية التى يجب أن تتصف بالحياد لا تخلو من الإساءة إلى العربى !

ـــ فى موسوعة مريام وبستر : العربى متشرد وفارغ ومنحرف وأزعر وزبالة .

ـــ الروايات الصهيونية تكتب بطريقة خاصة فى أجهزة المخابرات والحرب النفسية الإسرائيلية .

ـــ فى المسرح يسود خبث صهيونى يدمغ العرب بالتبذير ويتعرض للإسلام بالإساءة .

ـــ حتى الألعاب المخصصة للأطفال والشباب لا تسلم من الإساءة إلى العربى !

● أسـطورة : العربـى القبيـح

استكمالاً للفصل السابق ، حيث أُشير إلى «أن العداء للسامية الموجود الآن والذى ينمو يوماً بعد يوم هو العداء للساميين العرب ، وهو عداء تدعمه وتقويه الفئات الصهيونية ، وهى المستفيد الأول من ورائه» **فإن تركيزنا فى هذا الفصل منصب على بيان الأنماط السيئة للشخصية العربية التى تتكرر فى وسائل الإعلام الصهيونية بهدف سلب كل الصفات الإنسانية من «الإنسان العربى» ، وجعله يبدو فى نظر الغربيين ، عارياً من كل فضيلة إنسانية حاملاً لكل رذيلة شيطانية ،** الأمر الذى يبدو معه قبيحا فى عين كل انسان عربى سواء فى الولايات المتحدة حيث تركز دراستنا على دراسة صورة العربى القبيح فى وسائل إعلامها ـــ أو فى أوربا ، وبالتالى فى عين كل من يشاهد الأعمال الدعائية الصهيونية التى يتم تصديرها إلى معظم دول العالم .

وقبل الشروع فى بيان النمط القبيح للشخصية العربية ، فإن مقتضيات الحقيقة تتطلب أن نؤكد أن الدعاية الصهيونية هى الكامنة وراء هذا التقبيح المتعمد للإنسان العربى ، **والدليل على ذلك أن الإعلام الغربى عامة والأمريكى خاصة قد أعاد الاعتبار والكرامة لكل الأجناس والشعوب التى كان يناصبها العداء ، فلم يعد اليابانيون أشراراً ، ولا الصينيون أوغاداً ، ولا الأسبانيون كسالى ، ولا الإيطاليون جميعهم أعضاء فى عصابات المافيا ، ولا الهنود الحمر متوحشين ، ولكن بقيت الشخصية العربية وحدها تماثل الصورة السيئة التى كان عليها اليهودى قبل قرن مضى ، مع أن العرب لا يناصبون جميعهم العداء للأمريكان أو الأوربيين ، وهى صورة تزداد سوءاً يوماً بعد يوم فتتحول من سيىء إلى أسوأ .**

ثم أن عملية التشويه متعمدة ، ومستهدفة ، وليست عارضة ، حيث لا تخضع صورة العربى للمقاييس النقدية المتعارف عليها ، وإنما يتم التركيز على إظهار

الأوزار والمثالب السلبية للشخصية العربية ، مع الإحجام الكامل عن إظهار الجانب الإيجابى لها ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن معظم وسائل الإعلام الأمريكى والأوربى يمتلكها إما يهود ، أو مسيحيون صهاينة ، يركزون فى المقابل على إبراز الجانب الإيجابى للشخصية الإسرائيلية ، بل ويضيفون من لدنهم جوانب إيجابية ليست موجودة أساساً فيها ، لأدركنا أن الدعاية الصهيونية هى الكامنة وراء هذا التنميط الذى يستهدف بالأساس استمالة الأمريكيين والغربيين للتعاطف مع إسرائيل والصهيونية ، فى مقابل الاشمئزاز من العرب والمسلمين .

والحقيقة أن الإعلام الصهيونى لم يقم بتزييف صورة العربى المسلم من فراغ ، وإنما اعتمد على عدة عوامل أخرى ساعدته فى إبراز خطته ووضعها فى حيز التنفيذ . ومن أهم هذه العوامل :

١ ــ الموقف العام فى الحضارة الغربية المعاصرة من العرب والمسلمين الذى تراكم لفترة طويلة على مر القرون[١] ، وهو تراكم سببته المواجهة المستمرة بين العرب والمسلمين وبين أوربا المسيحية ، وهى مواجهة لم تقتصر على الجانب السياسى والعسكرى فقط ، بل امتدت إلى الجوانب الفكرية والثقافية ، رغم أن الغرب كان المستفيد الأول من هذه المواجهة الثقافية . وفى هذا الصدد تقول الكاتبة الألمانية « زنغفريد هونكد » فى كتابها « الله برىء مما يصنعون : كشف ألف تحامل وتحامل ضد العرب » (منشورات دار نشر هورتزتة . ألمانيا ١٩٩١)[٢] : على الرغم من التوضيحات حول العرب وثقافتهم العالية وتراثهم المتنوع الذى أوصلوه لنا (للغرب) . وعلى الرغم من مدح أخلاقهم الحميدة وفروسيتهم وتسامحهم الذى أظهرته فى كتبى ، فإننى متأكدة من وجود تحاملات كثيرة ضد العرب ، لها جذور عميقة لدى الأوربيين منذ مئات السنين ، بل إن هذه التحاملات تسيطر على العلماء المؤرخين وتنفس السموم فى الصحافة والإعلام وتزيف تاريخ وصورة العرب فى الكتب المدرسية .

---

(١) يمكن مراجعة مقال د . محمد الرميحى ، العرب فى عيون الغرب . مجلة العربى الكويتية ، العدد ٣٣٣ ــ أغسطس ١٩٨٦ ص ١٠ .

(٢) نقلًا عن جريدة الأهرام ، عدد ٩ مايو ١٩٩١ .

٢ ــ جهل الرأى العام الغربى ، خاصة الأمريكى ــ والشعب الأمريكى من أكثر شعوب العالم جهلاً بغيرهم كما دلت على ذلك الإحصائيات ــ بتاريخ المنطقة العربية ، حيث تثير كلمة «عربى» فى أذهان الأمريكيين صورة شيخ فى الصحراء ، وصورة عن « ألف ليلة وليلة حيث الفرسان المنطلقة بخيولها أو جمالها فى الصحراء» وكما تقول هونكد «مازالت أساطير ألف ليلة وليلة تسود بشكل مقنع أو مكشوف الوعى العام حول العرب والإسلام » . هذا إضافة إلى جهلهم بتاريخ الصراع العربى الإسرائيلى ، وهو الجهل الذى تشترك فى مسئوليته وسائل الإعلام الغربية ذاتها .

٣ ــ التعاطف غير المحدود لأغلب الساسة الغربيين والأمريكان مع الحركة الصهيونية وإسرائيل واليهود ، انطلاقاً من اعتبارها الموقع المتقدم المتصادم مع كل ما يمثله العربى والمسلم من تراث كان له أكبر الأثر فيما وصلت إليه الحضارة الغربية ، إضافة إلى تحيز المسيحيين عامة فى الغرب لليهود والثقافة اليهودية ، وهو تميز سببه المباشر ، إشتراك نحو ٩٣٪ منهم فى قراءة كتاب دينى واحد منعوت بالمقدس (كتاب التوراة أو العهد القديم) واشتراكهم فى عقيدة واحدة ، وإن كانت خاطئة فى ظاهرها وباطنها ، ألا وهى عقيدة أن دولة إسرائيل الحالية هى تحقيق لنبوءات الكتاب المقدس . فإذا أضفنا أن الإسرائيليين يدعون بأنهم جزء من الولايات المتحدة الأمريكية ــ الولاية رقم ٥١ ــ وأنهم والأمريكيين قد نشأوا بطريقة متشابهة إعتمدت على طرد السكان الأصليين (الفلسطينيين فى إسرائيل ، والهنود الحمر فى أمريكا) لأدركنا أنهم يقبعون فى خندق واحد ضد العرب المسلمين .

٤ ــ الضغط الصهيونى على كافة وسائل الإعلام الأمريكية والأوربية ، سواء كان ضغطاً مادياً اقتصادياً أو ضغطاً سياسياً من خلال العلاقات العامة التى تقيمها المنظمات الصهيونية مع وسائل الإعلام أو ضغطاً من خلال كثافة نسبة القراء اليهود الذين يتمركزون فى المدن ، خاصة نيويورك .

٥ ــ العجز الكبير من جانب العرب والمسلمين فى إعطاء صورة إنسانية وحقيقية عن تجاربهم الإجتماعية ومواقفهم السياسية ، وذلك بسبب إفتقادهم

لأى سياسة إعلامية ، أو لأى «لوبى» عربى فى الولايات المتحدة الأمريكية ، فعلى عكس الإسرائيليين ، الذين يمتلكون لوبى واسع النفوذ (إيباك) فإن العرب لا يدركون دور الصحافة ، وأهمية توفير المعلومات لها ، فالبيروقراطية العربية تقيم العقبات فى سبيل توفير المعلومات للصحفيين مما لا يخدم مصلحة العرب فى نقل وجهة نظرهم ، ويساعد فى شرح المواقف الإسرائيلية .

٦ ــ **الصورة السيئة التى يقدمها العرب عن أنفسهم** ، سواء باختطاف الطائرات أو البواخر ، أو القيام بعمليات إرهابية فى دول أوربا بدعوى طرد إسرائيل من فلسطين ، أو بإسراف بعضهم فى تبذير أمواله أثناء سياحتهم بالدول الأوربية . **هذا إضافة إلى ما يشكله العرب والمسلمون المهاجرون إلى أوربا والولايات المتحدة من ضغط إقتصادى حقيقى أو متخيل يؤدى فى تصور البعض إلى رفع نسبة البطالة لديهم ومشاركتهم لقمتهم .**

إن كل هذه العوامل كانت أدوات فى يد الداعية الصهيونى ، وهو يحاول أن يقدم صورة سلبية للإنسان العربى بإبرازه فى مظاهر سلبية شتى بدءاً من الأفلام السينمائية ، ومروراً بالأشرطة المبثوثة فى التلفاز ، وانتهاء بألعاب الأطفال ، وهى مظاهر تم فيها إضفاء جميع الصور السلبية للشخصية اليهودية ، قبل قرن مضى ، ولكن بتعديل هام : فقد أستبدلت نجمة داود بالعباءة العربية الشهيرة ، والقلنسوة اليهودية بالكوفية والعقال . وهكذا فبعد أن تحول العداء للسامية ــ اليهودية ــ إلى أسطورة ، نما وترعرع بشكل سريع عداء جديد تم فيه استبدال شعب سامٍ (بائد) بشعب سامٍ (حى) هو العرب .

ونحن لا ندعى ، طبعاً ، أن الشخصية العربية خالية من العيوب ، فكل حركات الإصلاح والثورة الحديثة فى وطننا العربى خاضت وتخوض كل يوم معركة التخلف فى كل صوره .. ولكن الشخصية العربية كأى شخصية إنسانية فيها الظلال والأضواء وفيها السلبيات والإيجابيات ، ولكن الإعلام الصهيونى لا يرى فى الشخصية العربية إلا وجهها المظلم ، القبيح ، السلبى .

تلك كانت مقدمة لابد منها للدخول فى معرفة صورة العربى القبيح فى وسائل الإعلام الصهيونية ، ولتحديد :

ــ ماهى الأنماط السيئة التى تقدمها السينما عن الإنسان العربى ؟

ــ ماهى الأعمال التلفازية (التليفزيونية) التى يظهر فيها العرب بمظهر سلبى واضح ؟

ــ كيف تستغل وسائل الإعلام الصحفية الأحداث الجارية فى الإساءة إلى العرب ؟

ــ ماهى صورة العرب فى الكاريكاتير ؟

ــ كيف يتم تشويه صورة العربى فى الدراسات العلمية والأدبية ؟

ــ ماهى صورته فى الروايات والأعمال القصصية الأمريكية ؟

ــ ماهى صورته فى المسرح ؟

ــ كيف يتم الإساءة إلى العرب فى ألعاب الشباب ؟

ــ ماهى الاخطار التى يمكن أن تنشأ عند تحطيم الجانب الإنسانى للشخصية العربية ؟

عن مثل هذه الأسئلة تدور إجابات البحث التالى ..

وأول ما يعنينا فى البحث عن النمط السيىء للعرب ، هو نمطه فى السينما ، وأحد **أوجه الأشكال الخطيرة بالنسبة للسينما أن مشاهد الأفلام السينمائية لم تعد كما كان الحال فى الماضى تقتضى التردد على دور السينما ، حين تكون هذه الدور متوفرة ، فيصل تأثيرها محدوداً ، بل أصبحت الأفلام السينمائية تنتشر بصورة غير متخيلة وبأكثر من وسيلة :**

ــ ففى الولايات المتحدة الأمريكية حيث تنتشر دور العرض ــ التى لها عشاقها ــ فى مختلف أنحاء الولايات ، وحيث توجد أكبر دار عرض فى مدينة نيويورك (قاعة مدينة الراديو للموسيقا) **يصل الفيلم إلى عدة ملايين من المشاهدين داخل الولايات المتحدة ، وينتقل منها للعرض فى أكثر من ١٣٠ دولة يشاهد جمهورها الأفلام التى يصدرها «مصنع الأحلام» فى هوليوود .**

ــ وبالإضافة إلى العرض السينمائى فى دور العرض ، **يكون الفيلم المادة الأساسية**

فى برامج التليفزيون اليومية ، من خلال الشبكات التليفزيونية التجارية ، والتليفزيون الأمريكى العام ، حيث تستخدم هذه الشبكات الأفلام السينمائية لملء ساعات إرسالها التى تستمر طوال الـ ٢٤ ساعة فى اليوم .. وما يحدث داخل الولايات المتحدة الأمريكية ، يحدث أيضاً داخل تليفزيونات الدولة التى تعتمد على استيراد الأفلام من أمريكا حيث تبث هذه الدول تلك الأفلام فى برامج تليفزيوناتها .

ـ ولا يقتصر الأمر على العرض التليفزيونى من خلال الشبكات التليفزيونية ، **بل يتم عرضه من خلال أجهزة الفيديو المملوكة للأشخاص فى مختلف دولة العالم** ، وتلك وسيلة انتشار سينمائية هامة ، بدأت تفرض نفسها بقوة فى السنوات الأخيرة ، بعد انتشار أجهزة الفيديو ، وحيازة الطبقات المتوسطة لأجهزتها .

ـ هذا عدا عرضها أجهزة العرض المرئية المسطحة بالنوادى والمؤسسات الثقافية والاجتماعية المتعددة ، وأجهزة القنوات الداخلية للفنادق التى تبث برامجها داخلياً عبر الأجهزة التليفزيونية المثبتة فى غرف النزلاء .

وهكذا فإن الأفلام السينمائية اليوم هى أكثر الوسائل الإعلامية انتشاراً من حيث عدد المشاهدين الذين يمكن لهم أن يشاهدوا عملًا فنياً واحداً على مدار فترة زمنية طويلة فى مختلف أنحاء العالم . **وهكذا من الممكن أن تنطلى «الخدعة السينمائية» ـ أو تشاهد ، على الأقل ـ بما تحويه من أوزار ومثالب وما تحتوى عليه من أوجه التضليل والاستلاب ، على مدار عشرة أعوام على ما يربو على نصف المليار مشاهد ، فى مختلف أنحاء العالم ، وتلك هى أحد أهم الأسباب التى تجعل ظاهرة العداء للساميين العرب فى السينما الأمريكية ، هى أكثر ظواهر العداء لهم انتشاراً** . فإذا أضفنا لهذا أن الفيلم يمكن أن يكون وسيلة إقناع تخاطب العاطفة لا الفكر[1] ، وأن الذى يتولى الدعاية يبذل كل ما فى وسعه لتحريك العواطف واستثارتها ، **لأدركنا أن الدعاية الصهيونية عن العربى : عدو أمريكا ـ وعدو النصرانية ، والمخادع ، وغير الودود ، والمولع بالحرب**

---

(١) من الجدير بالاهتمام أن السينما لم تبلغ بعد تلك الدرجة السامية من البراءة ، فالأفلام السينمائية لها أيضاً مضمونها السياسى سواء كان بوعى أو بدون وعى .

والقتال ، السادى ، والقذر ، والجبان وما إلى ذلك من نعوت أضفتها الصهيونية ــ ظلماً وغدراً على الشخصية العربية ، لأدركنا أنها تجد لها صدى وآذاناً صاغية .

ومع أن السينما الأمريكية ، ولأسباب سياسية وإنسانية ــ قد أنعمت على كثير من المجموعات العرقية بالتخفيف من تصويرها على نمط واحد ، فلم تعد الأدوار التى تسند لهذه المجموعات تصورها بطريقة يتعرف بها المشاهد على جنسيتهم من أشكالها وتصرفاتهم ، فاختفت صورة الوغد الصينى ذى الشوارب المدلاة إلى الذقن ، واليهودى الطماع الشره ، والأسبانى الكسول ، والأسود المراوغ الذى يرقص وهو يمسح الأرض بقدميه ، والإيطالى الذى ينتمى لعصابة إجرامية ، والأيرلندى السكير ، والمواطن الأمريكى الأصلى (الهندى الأحمر) الذى يحمل صفات الإنسان المتوحش . واليوم يرى مشاهدو السينما المجموعات العرقية والأقليات فى صور أكثر واقعية ، تتناسب مع الدور الذى يسند إليهم فى الفيلم ، وصورهم صارت أقرب إلى الحقيقة منها إلى الخيال ، **إلا أن صورة العربى لم تزل قبيحة ، بل أن تقبيحها قد زاد ــ ولأهداف صهيونية ــ فى ثمانينات هذا القرن عنه فى السبعينات منه !**

والغريب ، بل ومن المحزن ــ كما يقول جيفرى سانت ــ حقاً إن الأمريكيين أصبحوا الآن ينظرون إلى العرب بنفس الطريقة التى كان ينظر بها العالم الغربى إلى « اليهودى التائه » قبل قرن من الزمان ، **لقد أصبح العربى صورة طبق الأصل من ذلك اليهودى .**

وتتأرجح صورة العربى فى السينما الصهيونية بين صورة سيئة وأخرى أسوأ ، ففى الأفلام القديمة كان العربى يصور كأنه مخلوق بعيد عن الحضارة ، متشرد ، لا تحكمه الضوابط الأخلاقية وبخاصة فى الاتصالات الجنسية ، وفى الأفلام الحديثة يصور العربى وكأنه مخلوق بعيد عن الحضارة ، إنسان همجى بكل ما فى الكلمة من معنى ، إذ تضفى السينما الصهيونية على الشخصيات العربية صفات الخسة والتفاهة والجبن والبدائية والجهل والنزعة إلى الشر ، والميل المفرط إلى الثراء الفاحش وإلى الفسق وإلى الدعارة . أما الإناث فهن شهوانيات أو هن من الراقصات اللائى لا عمل لهن إلا هز الوسط ، أو ممن يمتهن الدعارة ، أو

هن إرهابيات . أو فى أقل القليل محجبات لا يتقن إلا السير خلف أزواجهن كذيول لهم .

ومع أن دراستنا هذه ترتكز على الأفلام الأمريكية المعادية للسامية العربية ، إلا أننا أوردنا ــ على سبيل المثال ــ جانباً من الأفلام الأخرى المعادية للسامية العربية والتى تظهر الجوانب السيئة للشخصية العربية فتضخمها وتضيف عليها من لدنها ما يزيدها سوءاً على سوء . ومن بين هذه الأفلام فيلمان إسرائيليان ، انتجتهما شركات إنتاج إسرائيلية وضخمت من قيمتهما الأقلام الدعائية الصهيونية ، حتى إن إحدهما ــ خلف الجدران ــ حصل فى الولايات المتحدة الأمريكية على لقب أحسن فيلم أجنبى لعام ١٩٨٤ !؟

وفى السينما الأمريكية والصهيونية توجد عدة أفلام تبدو فيها شخصية العربى البدائى والفاحش الثراء الذى يتدخل فى أمور لا تعنيه ، لأنها تتعلق بالسياسة الأمريكية ووسائل الإعلام الأمريكية ، وترافق هذه المشاهد نصوص تمثيلية تتعرض للخلافات والنزاعات القبلية المتفشية بين العرب أنفسهم ، ومن بين هذه الأفلام اخترنا على سبيل المثال لا الحصر : أرض العرب ، جوهرة النيل ، بروتوكول ، الدفاع الأفضل ، بوليرو ، صحارى ، القذيفة (الجزء الثانى) .

وثمة أفلام أخرى تقدم العربى بصورة الإرهابى هى : نحو الليل ، النسر الحديدى ، قوة الدلتا . وقد جرى تأكيد هذه الصورة وترسيخها فى فيلمين تليفزيونيين آخرين أخرج عام ١٩٨٥ هما : تحت الحصار ، طيران الرهائن . **وكذلك هناك عدة أفلام أخرى تظهر العربى بشكل مريب يبعث على السخرية ، مع أن موضوعات قصصها ، لا علاقة لها بالعرب من قريب أو بعيد ، ولا بالأرض العربية ، وهذه الأفلام هى :**

«ياإلهى، أيها الشيطان» ، نيران سانت إلمو ، مسألة ليست بسيطة ، عودة إلى المستقبل ، تجوال فى بيفرلى هيلز ، الحياة والموت فى لوس إنجلوس ، سائقى الخاص ، شرلوك هولمز الصغير ، أمريكا أمريكاالهداية ، كما تم التأكيد على همجية العرب فى عدة أفلام أخرى منها :

شبكة التليفزيون ، الريح والأسد ، الفحل الأسود ، الأحد الأسود ، القط الطائر ، المنطاد ، بينوى بيلت ، مغامرات فى مصر ، موعد مع الموت .. **كما تتناثر صفات سيئة للعربى فى عدة أفلام أخرى منها :**

عملية ميونيخ ، رول اوفر ، لص بغداد ، موت أميرة ، عروس الصحراء ، ليلة واحدة مسروقة ، الشيخ ابن الشيخ ، العربى ، قبل الشيخ الأخير ، هجوم الصحراء ، الحمر ، المضاربة ، سائق التاكسى .. إلى آخر هذه القائمة الطويلة التى تعجز دراستنا عن حصرها .

وهناك مجموعة يتم فيها ربط « العربى » بتجارة العبيد أو تجارة الرقيق ، متجاهلة أن تجارة الرقيق تمت أول ما تمت على يد المستعمر الأوربى وليست على يد العرب . ومن هذه الأفلام التى تشوه العلاقة التاريخية بين العرب وأفريقيا .

الخرطوم ، غرب زنجبار ، ليزا ، آشانتى ، السفن الطويلة ، وغيرهم .

وهناك مجموعة تعمد إلى تشويه صورة العربى أثناء الحروب الصليبية : ومن هذه المجموعة : ايفانهو ، عبر القرون ، فرانسيس الاسيزى ، فاشيست ومصاص الدماء ، السيد ، وغيرهم .

ومن الأفلام التى تعمد إلى تشويه الصراع التاريخى بين العرب ودولة إسرائيل العنصرية نذكر :

السفير . وفيلم خلف الجدران .

● ونبدأ الإشارة إلى محتويات هذه الأفلام بالإشارة إلى فيلم «**أرض العرب**»[1] الذى يقوم بأدوار الشخصيات العربية فيه ممثلون إسرائيليون أو أمريكيون لا يعرفون عن بلاد العرب شيئاً ، فالنساء دائماً محجبات تغطيهن العباءة السوداء ،

---

(١) موضوعات الأفلام الواردة هنا مستقاة من مقالات الدكتور جاك شاهين : « العربى كما تراه هوليود » (مجلة العربى — العدد ٣٥٣ ابريل ١٩٨٨ ص ١٠٤ — ١١٢) « الفيلم الأمريكى واللاسامية الجديدة ضد العرب » (مجلة العربى العدد ٣٥٦ — يوليو ١٩٨٨ — ص ١٠٧ — ١١٣) ود . جاك شاهين هو أستاذ للصحافة بجامعة جنوب إلينوي الأمريكية وله كتابات كثيرة عن طريق تناول العرب وقضاياهم فى أمريكا

والرجال دائماً يرتدون الملابس الرثة ، وهم إما إرهابيون ضراة أو من الخرس الصامتين ، أو هم حكام مستبدون يحكمون قوماً من الأجلاف الذين يعيشون فى صحراء ينتشر فيها الرعاة بأغنامهم وخيولهم وجمالهم وفى وسط هذه الصحراء يشاء المخرج أن يقيم قصراً باهظ التكاليف وبالحجم الطبيعى وشبيهاً بقصور ألف ليلة وليلة .

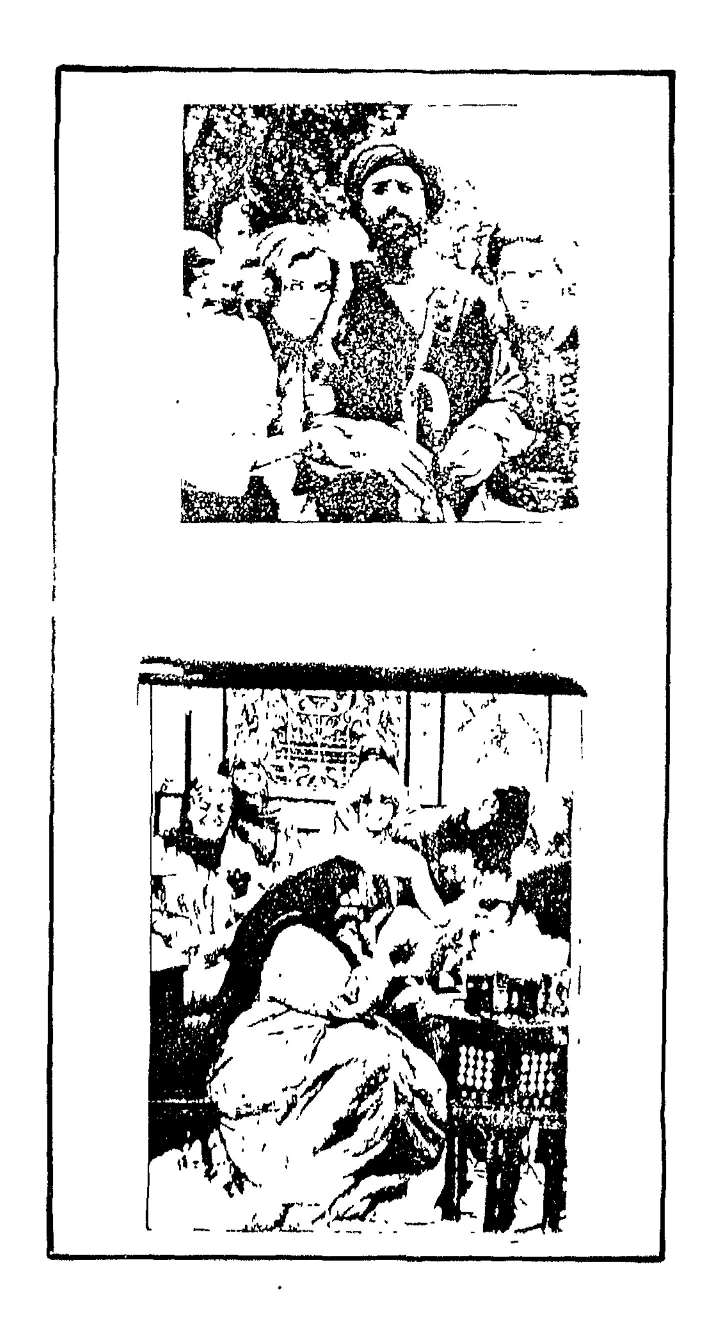
• وفى فيلم «**بروتوكول**» (١٩٨٤) يظهر العربى (الفاسد أخلاقياً) بصورة الإنسان الذى لا يبالى بعمل أى شئ فى سبيل الحصول على فتاة شقراء تثير غرائزه الجنسية ، فبعد أن تتمكن بطلة الفيلم (جولدى هون) من أحباط مؤامرة لاغتيال أحد الحكام العرب ، يكافئها هذا الحاكم على بطولتها التى أبدتها فى إحباط تلك المؤامرة بإرسال رجاله المدججين بالسلاح ، لإحضارها إليه ، حيث تكتشف (جولدى) أن ما عملته لإنقاذ الشيخ ، وما أبدته من حسن نية ستكون مكافأتها عليه أن تصبح إحدى زوجات الشيخ نفسه ، نعم .. (الشيخ الذى لديه من الزوجات ما يفوق عدد كل العرب الذين يظهرون على شاشة الفيلم) ، وعرفت بعد ذلك أنها إذا لم تستسلم لمشيئة الشيخ فإنه لن يسمح لأمريكا ببناء قاعدة عسكرية فى تلك الرقعة من الصحراء التى يسيطر عليها . وهكذا نرى الحاكم العربى يحاول التلاعب والتدخل فى سياسة الولايات المتحدة الأمريكية فى سبيل نيل ما يريد ، إنه يريد أن يحول فتاة أمريكية شقراء إلى واحدة من الرقيق . ولا ينقذ جولدى من ورطتها ويحفظ عليها عفتها وفضيلتها إلا ثورة نشبت بين فئتين من العرب فقتل العرب بعضهم بعضاً وخرجت الفتاة الأمريكية الشقراء سالمة نقية طاهرة .

إن موضوع هذا الفيلم إذاً يقوم على الاحتيال والدجل ، والبطلة الشقراء هذه هى كل العناصر التى استخدمها المخرج لإيراد قصة بناء قاعدة عسكرية على أرض هذا الشيخ العربى ، والنتيجة التى يخرج بها الفيلم هى وصول البطلة جولدى سالمة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ومثولها للتحقيق أمام إحدى لجان الكونجرس الأمريكى حيث يبث هذا المشهد على شاشات التليفزيون ، ويسمعها المشاهدون وهى تنصح وتحذر رجال الكونجرس أن يفكروا مرتين قبل دعوة الشخصيات العربية الكبيرة لزيارة البيت الأبيض ، حيث تقول :

«إن أمن وسلامة بلادنا يتعرضان للخطر على يد هؤلاء العرب ، والتعامل معهم أمر فى غاية الخطورة» !

• أما فيلم «جوهرة النيل» (١٩٨٥) **فيعمد إلى ترسيخ فكرة وقوف العرب ضد بعضهم البعض ، والخلافات المستشرية بينهم** ، حيث تدور قصة الفيلم حول نشوب عصابة مسلحة فى «الأرض العربية» وكما هو الحال فى فيلم «بروتوكول» ، فالمشاهدون لهذا الفيلم تطالعهم نفس الأماكن تقريباً ونفس الخلفية الصحراوية ، والنساء المحجبات ، والحراس المسلحين بالسيوف الحدباء الذين يرمقون كل إنثى شقراء بنظرات غرامية وشهوانية ، ثم يشاهدون بطل الفيلم ، الحاكم المستبد واسمه «عمر خليفة» ، وهو يحاول أن يغوى كاتبة أمريكية جميلة أسمها جوان وايلدر (تقوم بهذا الدور كاثلين تيرنر) إذ يدعوها لزيارة مملكته على النيل لتدوين نجاحه فى توحيد «القبائل التى تعيش على ضفتى النهر» . وما أن تصل (كاثلين) إلى داخل قصر الحاكم الذى يشبه إحدى قلاع الجيوش الأجنبية حتى تكتشف أنها وقعت فى نفس الفخ الذى سبق وأن وقعت فيه جولدى هون فى فيلم «البروتوكول» وأنها أصبحت أسيرة فى قبضة الشيخ عمر الذى كان قد خطف أحد رجال الدين ودخل فى صراع ضد مجموعة العرب المؤيدين لرجل الدين ، الأمر الذى دفعه إلى اللجوء إلى حيلة سخيفة ، فيستخدم موسيقى الروك وما تحدثه من أثر فى هز الأجسام لإقناع الناس بالتخلى عن رجل الدين الذى ينتهى الفيلم بمشيه داخل النار وسط أتباعه الذين يشهقون مندهشين .

إن الفيلم يريد أن يظهر العرب كشعب بدائى يؤمن بالخرافات ، كما يريد أن يصورهم بصورة اللصوص المارقين حيث ينتهى الفيلم بعد أن يسمع المشاهدون من يهمس فى آذانهم ببعض وصمات العار التى يريد أن يلحقها الفيلم بالعرب : «انظروا إلى هؤلاء الفتيان ، أنهم لصوص ، ولن تسلم أية نعجة من أيديهم عندما يحل الظلام» ، ثم يعود للكلام .. «إذا أعطيت هؤلاء الفتيان خمسة أو ستة دولارات فسوف يسرقون لك ما تريد من أى بيت» ، ويمضى قائلا : «لماذا تظل هذه المزابل قائمة فى العالم الثالث تدب فيها الحياة ؟ .. إن الذى يقف فى طريق إزالتها هو ذلك الشيخ العربى (العظيم الشأن) !



لقطات من الأفلام التى تسئ إلى سمعة العرب

• وفى فيلم «بولير» نرى شيئاً بغيضاً آخر ، فهو يقدم لنا العربى على صورة العاشق الشهوانى العاجز جنسياً ، فالفيلم الذى ترجع أحداثه إلى العشرينات يقدم لنا امرأة شابة غنية تقوم بدورها الممثلة «بوديريك» تطمع بأن يقوم إنسان مجرب وخبير بالنساء بفض بكارتها ، وبعد أن استعرضت أبطال الأفلام ، قررت أن تغوى أحد الشيوخ الحقيقيين بأن يقوم بهذه المهمة ، على أساس أنه خبير بالنساء .. وتشد «بو» الرحال إلى مراكش ، وتذهب إلى أحد النوادى الليلية ، حيث يقودها أحد القوادين من يدها ماراً بها عبر مجموعة من راقصات هز البطون ثم مجموعة من الجمال (وليتصور القارىء وجود الجمال فى نادى ليلى !!) ثم يلقى بها فى أحضان أحد الشيوخ الذى يتقبل عن طيب خاطر القيام بهذه المهمة ، وتقترح «بوديريك» عليه أن يقوما بنزهة على ظهور الخيل فى ضوء القمر ، فوق رمال الصحراء . ولكن الشيخ كان عاجزاً عن تلبية رغبتها فهو لا يستطيع حتى إمتطاء صهوة الحصان بسبب التدخين المستمر للنارجيلة ، وتستسلم «بو» للأمر الواقع وتقوم بخلع ملابسها ، وكان هذا كافياً لاستثارته فيقوم الشيخ بدهن جسمها كله بمزيج من الحليب والعسل ، وتستسلم له مغمضة جفنيها ومتوقعة لمساته الحانية ولكن الشيخ الذى كان قد غلبه النعاس يفقد قوته ، ولا يعود قادراً على القيام بالمهمة الموعودة ، وتنخرط «بوديريك» فى البكاء ، فأنين اللذة الذى كانت تتوق إلى أن يصدر منها لم يتحقق منه شىء ، ولا تلبث أن تصرخ قائلة : «هؤلاء الشيوخ لماذا يتظاهرون بما ليس فيهم ، ولماذا يكذبون ؟» .

ويمضى الفيلم فى سرد الأحداث حيث يقوم الشيخ بمساعدة أتباعه باختطاف «بو» حيث يصر الشيخ على خطفها من بيت عشيقها الأسبانى مبرراً خطفها ــ رغم أنها لم تعد عذراء بعد .. بقوله «إننى أخطفك الآن ، كما خطف أبى أمى من قبل» . وهكذا فالعرب على الشاشة الأمريكية يقومون بخطف نسائهم سواء كن راضيات أو كارهات .

• أما فيلم «الدفاع الأفضل» (١٩٨٤) والمبنى على معلومات وردت فى كتاب ألفه (روبرت جروسباك) عام ١٩٧٥ عن تورط الولايات المتحدة فى الحرب

الفيتنامية ، وعنوانه : طرق سهلة وصعبة للخروج ، فيعمد إلى تغيير صلب الموضوع ويعمد إلى تحويل الأحداث من فيتنام إلى الكويت ، حيث يقوم ضابط فى الجيش الأمريكى بتدريب الجنود الكويتيين (الأغبياء والجبناء) ، الذين أسندت أدوارهم إلى ممثلين إسرائيليين ــ تماماً كما جرى تصوير الفيلم نفسه فى إسرائيل ، ويرينا الفيلم كيف يشكو الضابط الأمريكى من كثرة روث الجمال ، ونسمع تبجحاً وكبرياء كذلك الذى نسمعه فى فيلم «لورنس العرب» .

ويظهر لنا الفيلم النساء الكويتيات والعراقيات على شكل قطعان من الحريم ، أو هن إرهابيات محجبات يقمن بمهاجمة الدبابات الأمريكية ويظهر لنا الضابط الأمريكى وهو يمارس الجنس معهن ثم يقول ساخراً : أشكركن على حسن هزكن لبطونكن !!! ــ هكذا يصور الفيلم النساء العربيات .

وتمضى أحداث الفيلم حيث ترد مجموعة من الإهانات موجهة إلى العرب ، حيث يصف الضابط الأمريكى الأطفال الكويتيين بأنهم حيوانات قارضة ــ يقوم بعد ذلك بإبادتها ــ ويصف السيدات بأنهن كلاب صحراوية .

● وفى فيلم «صحارى» (١٩٨٤) حيث أنتج الفيلم وصور فى إسرائيل ، نرى العرب فى صورة قبائل همجية من البدو الرحل ، يلاحقون إحدى (آلهات الجمال) ــ الممثلة بروك شيلدز ــ وبما أنها كانت إحدى المشاركات فى سباق السيارات الكبير الذى يجرى فى مراكش فنحن نراها دوماً وكأنها تهرب من مطاردة العرب ، عديمى الأخلاق الذين يقتلون بعضهم البعض وكما سبق وشاهدنا العرب فى فيلمى « جوهرة النيل » و « بروتوكول » نراهم فى هذا الفيلم أيضاً جماعة من الشهوانيين الداعرين الذين يعتدون على النساء الغربيات ، ويسمع المشاهد يصف العرب قائلًا : « هؤلاء الأشرار جاءوا من الصحراء ليشتروا النساء بأموالهم » ، وتقوم جماعة منهم أخيراً باختطاف « بروك شيلدز » ، ويتقدم أحد الشيوخ الشباب مطالباً بها ، كما يقوم عم هذا الشاب بمحاولات عدة لاغتصابها ، وعندما تستعصى عليه ، يشتمها قائلًا : « يا كافرة ، إنك شيطانة ذات عيون زرقاء » .

• وفى فيلم « **سباق القذيفة ــ الجزء الثانى** » (١٩٨٤) نرى صورة العربى السخيف الذى يتصرف تصرفات منافية للعقل تتكرر لكى تثبت فى أذهان المشاهدين ، إنها نفس صورته فى فيلم « **سباق القذيفة ــ الجزء الأول** » (١٩٨١) . ففى الفيلم نرى فى البداية الملك (**فلافل**) يقوم بتوبيخ ابنه العبد بن فلافل ، ونفهم من سياق الكلام أن الابن قد خسر سباق (**القذيفة الأول**) ونسمع الأب يصرخ فى وجه ابنه قائلا : يابن أبشع زوجاتى .. إليك الملايين فاذهب إلى أمريكا ولتفز فى سباق (**القذيفة الثانى**) .

ونفهم من سياق الفيلم أن العرب لا يملكون أية مهارة فى ميكانيكا السيارات بحيث يستطيعون الفوز فى سباق السيارات ، ولذا فهم يحاولون الحصول على كل شىء بأموالهم ، فهى الشىء الوحيد الذى يمتلكونه بوفرة . وبها يحاولون شراء الفوز فى مسابقات السيارات ، وشراء النساء الغربيات أيضاً . والصورة التى يحاول الفيلم تثبيتها فى الأذهان عن العرب ، هى الصورة الأسطورية عن « **الشيخ الغبى** » وابنه الأكثر غباء ، حيث يقوم الأخير بشراء شركة اسطوانات بمبلغ ٤٨ مليون دولار لمجرد أن إحدى أغنياتها قد أعجبته .

ومع أن الفيلم يخلو من النساء العربيات إلا أنه يشوه سمعتهن ، فنحن نسمع ابن الشيخ يقول : « **أننى أفضل النساء الشقراوات على النساء ذوات الشوارب** » . أما ذوق والده فهو أشد انحطاطاً وأكثر حقارة ، فعندما يقوم سائق ابنه بتقبيل الملك من شفتيه يضحك الملك مسروراً وهو يقول : « **ليت أمك تستطيع أن تقبلنى بهذه الحرارة** » .

• أما فيلم « **النسر الحديدى** » (١٩٨٦) وقد جرى تصويره أيضاً فى إسرائيل ، ولقى نجاحاً كبيراً وحقق أرباحاً بلغت (**١٢**) مليون دولار فى خلال الأسبوعين الأوليين من بدء عرضه . فلا يخلو من العمل على زيادة مشاعر الخوف والكراهية من العرب ولهم . وفى هذا الفيلم يرى المشاهدون طائرتين مقاتلتين تسقطان فوق أرض متنازع عليها على حدود إحدى الدول العربية الوهمية (**الكرم**) .

ويستغل الدكتاتور العربى هذا الحادث ليحاول إرغام الولايات المتحدة الأمريكية على رفع الحظر التجارى المفروض على بلاده . وتجرى محاكمة الطيار

ويحكم عليه بالإعدام شنقاً ، ثم نسمع من يقول لابن الطيار الأسير هامساً . إن بعض البلاد تلعب الكرة بطريقة تختلف عن طريقتنا ، نسمع عسكرياً أمريكياً متقاعداً (**الكولونيل**) وهو يقول هامساً : « **فى هذه اللحظة مازالت الكرة فى أيديهم ، وفوزنا ــ أى الأمريكيين ــ ليس مضموناً على أولاد الزنى هؤلاء ، فهم يقطنون فى بلاد صغيرة كريهة على نفوسنا** » . ويمضى الفيلم على هذا النسق من الحديث . وفى كل مرة يرد فيها ذكر العرب ، يوصفون بأبناء الزنى ، ويمضى الكولونيل قائلًا : « **إن ما يشعرنى بالتقزز والقرف هو تصورى لهؤلاء المهووسين (يعنى العرب)** وهم يتناولون طعامهم مع الرجال الطيبين (**يقصد الأسرى الأمريكيين**) .

ويرينا الفيلم كيف يصف الكولونيل بلاد العرب بقوله : « **ها هو شاطىء بلاد الأعداء** » حيث يقوم بدور الوغد فى فيلم « **النسر الحديدى** » القائد العسكرى العربى الذى يقع الكولونيل أسيراً فى قبضته فيقوم القائد العسكرى بتعذيبه على أنغام أغنية تقول كلماتها .. « **لن تقع فى الأسر بعد الآن** » ..

إن فيلم النسر الحديدى يدعم الصورة الذهنية للعربى المتوحش كما تظهرها الأفلام الأمريكية .. العربى الثرى يكرهه الأمريكيون ، ويعمل على ترسيخ جذور الكراهية للعرب التى كانت مقصورة على البعض منهم ، فيعمل على نشرها بين أفراد الشعب الأمريكى كله ، وإلى تعميم هذه الكراهية على كل العرب .

والرسالة التى يريد فيلم « **النسر الحديدى** » إبلاغها للأمريكيين هى : الأمريكيون قادرون على مهاجمة البلاد العربية ويجب عليهم القيام بهذه المهمة لأن العرب يقتلون الأمريكيين ويرفسونهم بأرجلهم حيثما يجدونهم .

● وفى فيلم « **عودة إلى المستقبل** » (**انتاج ١٩٨٥**) والذى بلغ المجموع الإجمالى لإيراداته (**١٩٠ مليون دولار**) ونجح باجتذاب ٥٣ مليون مشاهد فى عام ١٩٨٥ وحده ، يرينا الفيلم إرهابيين ليبيين يقومان بشراء قطع غيار للعبة (**الفليبرز**) ظانين أنها ستساعدهم فى صناعة قنبلة نووية ، وعندما يكتشفان

أنهما وقعا ضحية للغش يقومان بقتل العالم الذى غشهم .. ويظهر الليبيين بأنهما دون مستوى البشر ، حيث يقود أحدهما شاحنة مقفلة تستخدم لنقل السلع ، وكأنه حيوان أفلت من قفصه ، ويشترك الاثنان فى الصراخ وإطلاق الأصوات المقززة المزعجة الشبيهة بأصوات الخنازير ! أما لماذا أقحم العرب فى هذا الفيلم ، ولماذا عمد المخرج والمنتج معاً إلى اختيار ليبيين ، فالسبب محاولة ترسيخ الأسطورة القائلة بأن العرب يقومون بطرق غير شرعية بمحاولة الحصول على الأجهزة اللازمة لانتاج القنابل الذرية ، من أمريكا على الأخص . مع أن المعروف للجميع أن البلد الذى يمتلك فعلًا ــ وأعترف بذلك ــ الأسلحة الذرية فى الشرق الأوسط هو إسرائيل .

• ويبدأ **فيلم الحياة والموت فى لوس أنجلوس (إنتاج ١٩٨٥)** بسيارة رئيس الجمهورية الليموزين السوداء ، يحيط بها الحرس وهى فى طريقها إلى فندق لوس أنجلوس . وفى الوقت الذى كان الرئيس ريجان يلقى خطابه يقوم بعض العملاء السريين بمراقبة الفندق ، فيشتبه أحدهم بأن عملًا ما يجرى فوق سطح الفندق ، وعندما يصعد إلى هناك للتأكيد يجد أن أحد الحراس قد قتل ، وبعد ذلك يكتشف وجود شاب عربى يحمل حزمة من أصابع الديناميت شدها حول جسده ، ثم نسمع هذا الشاب يصرخ بلهجته العربية التى تتقن هوليود صناعتها **« الموت لإسرائيل وأمريكا ولكل أعداء الإسلام ثم يضيف أننى شهيد ، وسوف ألقى بنفسى عليكم وأفجر جسدى فيكم أنتم وكل أعداء الإسلام »** ، ويقوم أحد العملاء السريين بجره بعيداً عن السطح قبل أن ينفجر مباشرة وهو يصرخ **« الله أكبر »** .

• وفى فيلم **« سائقى الخاص » (انتاج ١٩٨٦)** نرى إحدى النساء تعمل سائقة وتقوم بحماية ركاب السيارة التى تقودها من أى أذى يلحق بهم لكنها تسمح لأحد اللصوص بالركوب فى سيارة **« ليموزين »** التى تقودها ليقوم بخداع شخص عربى والسخرية منه ، ونحن نرى هذا اللص المحتال وهو يقوم بتوجيه

الإهانات للشيخ ، وإطلاق التعليقات الساخرة عليه ، مثل : « **صاحب الرأس المغطاة بالمنشفة** »و « **راكب الجمال** »و « كوم من الزبالة » ، ويختم تعليقاته الساخرة بقوله : « **إن الريح الذى تخرجه الجمال من مؤخرتها يجعلنى أفقد السيطرة على أعصابى** » . ونرى « **السائقة** » تسمع تعليقاته الساخرة وتضحك ، فهى تظن أن الشيخ سعيد بهذه التعليقات ، ويتسلى بسماعها . ثم يقوم اللص بسلب محفظة نقود الشيخ وساعته الذهبية ، ولا نرى أى رد فعل من الشيخ غير التحديق فى وجه اللص ، وكأنه لا يفهم شيئاً مما يجرى حوله . وينصرف اللص ومعه حافظة نقود الشيخ المملوءة بأوراق النقود حيث يقوم بإنفاقها على « **بنات الهوى** » . ونحن نرى زبائن النوادى الليلية وهم يسخرون من محاولة العربى الظهور بمظهر البرود والوقار وتقليد الغربيين . ونرى السائقة تستحسن عمل اللص ومسلكه الغربى ! فالذى يريد أن يقوله الفيلم يتلخص فيما يلى : « **الشيوخ الصامتون لا يعرفون ما يفعلونه بالنقود ، ولذا فهم يستحقون ما يلاقونه من استخفاف وسلب ونهب** .

• أما دور العربى الخبيث فنراه فى فيلم « **شارلوك الصغير** » (**انتاج ١٩٨٥**) ويقوم بهذا الدور الدكتور موررياتى ، وهو مُولد من أب مصرى وأم انجليزية ، ويتزعم مجموعة من المتعصبين الذين يريدون الانتقام للدمار الذى لحق بقرية مصرية ، لذا فهم يقتلون الناس ببنادق النفخ بالفم التى تسبب الإصابة بالهلوسة . ومع أن أفراد هذه المجموعة من أبناء الشوارع الانجليز الفقراء ، إلا أنهم يلبسون الملابس المصرية منذ قيامهم بتعذيب الشابات الانجليزيات وقتلهن داخل أحد الهياكل المصرية القديمة ، وهم يبدون للمتفرجين بأنهم من العرب ، كما يرينا هذا الفيلم ولأول مرة فى أفلام **شارلوك** » حانة يرجع عهدها إلى القرن التاسع عشر يديرها بعض العرب . وفى هذه الخمارة السيئة السمعة نرى امرأة بدينة تؤدى رقصة هز البطن على مرآى من رجال عرب أجلاف مسلحين بالخناجر .

إن العربى « **المولد** » الذى نراه فى الفيلم من المؤمنين بالخرافات ، وهو غليظ القلب عديم الرحمة ، ومع أنه أستاذ جامعى إلا أنه بعيد كل البعد عن المجتمع الانجليزى المتحضر . إنه يعيش بعقلية العصور القديمة !

• ويظهر العرب فى فيلم (**أمريكا .. أمريكا**) بمظهر المجرمين العُتاة ، والإرهابيين القساة حيث يقتلون داخل الكنائس (**أقدس الأماكن للمسيحيين**) ثم يذهبون لاحتساء الخمر فى الحانات .

أما فيلم « **الهدية** » وهو من انتاج « **روبرت جولد سميث** » فهو يروى قصة عدد من أمراء العرب الذين يصطحبون عشرات من حريمهم المحجبات إلى باريس ، حيث ينطلق الأمراء فى بعثرة ملايينهم لاصطياد العاهرات ومنهم بطلة الفيلم « **اليهودية** » ، وفى نفس الوقت يغلقون أبواب الجناح الضخم فى الفندق على نسائهم « **الحريم** » .. ولا يسمحون لهن بالخروج من غرفهن ، وحين يخطىء خادم عجوز فى قرع باب جناح الحريم يغلقن الباب ويهجمن على العجوز الخادم ويجبرنه على ارتكاب الفاحشة معهن جميعاً ..

أما كيف تم لهن فتح باب الجناح المغلق ، فليست تلك هى النقطة التى يهتم بها مخرج الفيلم لأن محور اهتمامه منصب على إظهار بعثرة العرب لأموالهم التى لا يتعبون فى جمعها ، وعلى الشبق الذى ترتوى إليه « **حريم** » العرب .

• ويعرض فيلم **نحو الليل** ـــ إنتاج ١٩٨٥ ـــ مجموعة من قطاع الطرق الإيرانيين ، والمشاهدون لهذا النوع من الناس ينظرون إليهم كعرب ، لأن بشرتهم سمراء وعملهم هو القتل والابتزاز ، وهى الصورة التى غرسها المخرجون فى أذهان الناس للإنسان العربى . وهم خطرون جداً ومستعدون لارتكاب جرائم القتل ، إذ يرى أحدهم مثلًا يطلق نيران مسدسه على أحد الكلاب المسالمة ، ثم على أحد الطيور الجميلة وهو داخل قفصه ! ثم يقومون بإغراق صديق البطلة ، وفى إحدى المرات يتبادلون إطلاق النار مع مجموعة أخرى من العرب أو الإيرانيين ، ويشوهون أجساد بعضهم بعضاً بطلقات

مسدساتهم ، وينتهى الفيلم ولا يبقى منهم إلا واحداً فقد عقله وداهمته نوبة صياح شديدة دفعته إلى قتل نفسه .

أنها النهاية التى يتوقعها ــ أو يريدها ــ الصهيونيون للعرب وللمسلمين ، أو يحاول الفيلم أن يوحى بها .

• وفى فيلم « **يا إلهى ، أيها الشيطان** » (انتاج ١٩٨٤) يرى المشاهدون الشيطان يفخر بأن ياسر عرفات ما هو إلا أحد أتباعه. إن الفيلم هو نموذج واضح للأفلام التى لا علاقة لها بالعرب من قريب أو من بعيد ، ومع ذلك يقحم كاتب السيناريو سطراً يشتمل على تحقير العرب . وفى فيلم « **حريق سانت إلمو** »(انتاج ١٩٨٥) نرى المخرج يركز انتباه المشاهدين على مجموعة من خريجى الجامعة ، ففى إحدى الليالى تقوم إحدى الفتيات بالإتصال بصديقها وترجوة أن يسرع لإنقاذها من براثن بعض العرب الذين أحتجزوها فى حجرة فى أحد الفنادق ، وأرغموها على تعاطى الكوكايين» ، إن العرب فى هذا الفيلم يقحمون بشكل عرضى فى مناظرة ويتم تصويرهم على أنهم من ذوى الميول الجنسية الشاذة وممن يروجون الكوكايين .

• **أما فيلم مسألة ليست صغيرة** الذى انتج عام ١٩٨٥ فيعمل على تعزيز وتثبيت صورة الشيوخ العرب الذين يقومون بمطاردة الفتيات العذارى فنحن نرى أحد الشيوخ الشباب الذى يريد أن يعُلى من شأن مغنية مغمورة ويرفعها إلى مراتب الشهرة فيقوم بتعليق صورتها وأسمها ورقم هاتفها على ١٧٥ سيارة أجرة ، ماذا كانت النتيجة ؟ أنهالت على المسكينة المكالمات الهاتفية ، وكانت كلها مكالمات قذرة داعرة ، وفى ردها على إحدى هذه المكالمات نسمعها تقول لمحدثها : لا ، أنا لا أتكلم العربية ، كما لا أمارس ذلك العمل أيضاً» ثم نسمعها تخبر الشاب الذى يعمل على أشهارها ورفع منزلتها بأن أحد الشيوخ العرب قد عرض عليها أن يلتقط لها صورة معه ومع زوجاته الثمانى الأخريات ، وتنهى حديثها بالتعليق الساخر«الحمد لله أنه لم يعرض علىّ أن تشمل الصورة جماله أيضاً» .

● وفى فيلم **القوة** من انتاج ١٩٨٦ يقوم أحد المشاهير بوسائل الإعلام بوضع الألحان الخاصة التى ترافق الحملات الدعائية السياسية مقابل مبلغ ٢٥ ألف دولار شهرياً . ولما كان العرب يعرفون بأنه لا يتقيد بالقواعد الأخلاقية يحاولون إغراءه بالنقود التى يحصلون عليها من بيع نفطهم لاستغلال قدراته فى التأثير على الانتخابات الأمريكية ، ويقومون بمؤازرة أحد ملوك المال فى أوهايو ، ومساعدته على الفوز بعضوية الكونجرس الأمريكى ، لا لشئ إلا لأنه يعارض استغلال الطاقة الشمسية للاستعاضة بها عن النفط .

● ويحاول فيلم « **الشبكة** » والمقصود « شبكة التليفزيون »(١) تحريض المواطن الأمريكى وتخويف الرأى العام الأمريكى من خطر وهمى ، هو خطر استيلاء العرب بأموال نفطهم على المؤسسات الاقتصادية فى السر وفى مقدمتها أجهزة الأعلام . ويذهب الفيلم إلى أن العرب يحاولون الاستيلاء على شبكة تليفزيون أمريكية لمجرد الامتلاك وللتخريب ، وتتصاعد عقدة الفيلم حتى يصل إلى النهاية المطلوبة وهى أنه قد تم ترتيب صفقة بيع شبكة التليفزيون إلى العرب : أى التفريط فى أعز ما تملك أمريكا ، لتسلم لقمة سائغة إلى الغرباء .

ومع أن شبكات التليفزيون الأمريكية تباع وتعرض لمن يريد وفق القانون الفيدرالى الأمريكى الذى يحظر — فقط — امتلاك شخص واحد لأكثر من شبكة تليفزيون فى ولاية واحدة ، إلا أن شراء العرب لشبكة تليفزيون أمريكية معناه نهاية العالم الحر ، والسقوط فى أحضان « الفاشية » العربية !

أما فيلم « الريح والأسد » فيقوم على فكرة غريبة ، تعتمد على إختطاف العرب المغاربة لامرأة أمريكية ، ومطالبتهم بفدية لها من الرئيس الأمريكى روزفلت !

---

(١) مصطفى درويش : الصهيونية فى السينما ، مقال بمجلة الهلال القاهرية — عدد إبريل ١٩٨٥ ويشير الكاتب إلى أن مخرج ومؤلف الفيلم من اليهود وإلى أن الفيلم حاز على أربع جوائز أوسكار ! .

• **إنه الإرهاب العربى الذى يتردد فى عدة أفلام أخرى كفيلم « الخطأ والصواب[1] » الذى أنتج عام ١٩٨٢** حيث يحاول ملك عربى شراء قنبلتين نوويتين لإرسالهما إلى رئيس عربى كى يلقى واحدة على إسرائيل والأخرى على نيويورك مالم يقدم الرئيس الأمريكى استقالته ! والفيلم بهذا لا يركز على دفع العرب بالإرهاب ، ولكن بمحاولتهم التدخل فى السياسة الأمريكية ممثلة فى محركها الأول ، ألا وهو الرئيس الأمريكى .

• ويركز فيلم « **الفحل الأسود** »لا على الإرهاب العربى فقط ، ولكن على الدونية العربية وانعدام المشاعر الإنسانية لديهم ، حيث يعمل العرب على ظهر سفينة محملة بالخيول ، يسيئون معاملتها -وحين تغرق الباخرة يهاجمون بقية الغارقين لانتزاع سترات الإنقاذ منهم مهددين إياهم بالمُدَى. والمعنى الرمزى لهذا الفيلم أن العرب وأن كانت سفينة العالم تسير بهم الآن وهم فى حالة بادية من السوء ، فإنهم سيكونون أول من سيحاول الاستفادة من غرق هذه السفينة ودمار العالم !

• **وتتكرر صورة الإرهاب العربى فى فيلم « الأحد الأسود »**حيث تتآمر فيه مجموعة من العرب لقتل المتفرجين فى مباراة لكرة القدم الأمريكية لولا تدخل (ضابط إسرائيلى بطل) ! مما يُظهر بوضوح محاولة بث الإعجاب بالشعب اليهودى فى مقابل إلصاق تهمة الإرهاب بالعرب ، أى عرض للنقيضين معاً ، اليهودى الخيّر ، والعربى الشرير !

• أما فيلم « **القط الطائر**[2] » فهو واحد من أسوأ الأفلام عدائية ضد العرب وتشويهاً لصورتهم ، والفيلم من إنتاج شركة مترو وجولدن ماير الصهيونية الشهيرة ، وهو موجه أساساً للأطفال والناشئة ، بيد أنه بتقنياته وطرافة موضوعه يجعل الكبار قبل الصغار يتسابقون لمشاهدته ، ويتحدث عن قط صغير جميل يأتى من كوكب بعيد ، كل سكانه من القطط ، وهذا القط يملك قوة خارقة فى

(١) مصطفى الدباغ : الحرب النفسية الإسرائيلية ، مرجع سابق ص ١١٥ .

(٢) بتصرف عن مقال عبد الرحمن حمادى : «**وأفلام الأطفال أيضاً**» ، مجلة العربى الكويتية ، العدد ٣٦٤ ــ مارس ١٩٨٩ ص ١٢٢ ــ ١٢٣ .

السيطرة على الأشياء ، وذلك بسوار معلق فى عنقه ، ويسعى عالم أمريكى للاستفادة من السوار بعد أن يقيم علاقة صداقة مع القط . وهدف العالم الأمريكى أن يحل مشكلة المجاعة فى العالم الثالث (لنلاحظ الصورة المشرفة للإنسان الغربى) . بيد أن عصابة خطيرة تظهر فجأة ، وتحاول السيطرة على السوار لتسيطر على العالم ، وهذه العصابة تلبس اللباس العربى التقليدى ، وتتسلح بالسيوف المعقوفة ويتخاطب أفرادها بأسماء إسلامية عربية (أحمد — محمد — جعفر) ، لكن لابد (للشر العربى أن ينهزم) — كما يقول الفيلم — وذلك من خلال تصدى العالم الأمريكى للعصابة العربية المسلحة وتدميرها .

أنه فيلم ما صنع إلا ليشوهوا من خلاله صورة العرب ، وليقنعوا أطفالهم وناشئتهم قبل بالغيهم أن الخطر فى العالم مصدره العرب — وعلى الغرب أن يسعى لتدمير هؤلاء العرب قبل أن يدمروا العالم .

● وفى فيلم « **المنطاد** » (الذى أنتجته أيضاً شركة مترو جولدن ماير) يظهر العربى بصورة أكثر بشاعة من صورة آكلى لحوم البشر المتوحشين ! ويتحدث الفيلم عن رحلة علمية لعلماء أمريكيين فى منطاد ، ومعهم مساعدة شقراء جميلة . وفى رحلتهم يتعرض منطادهم لعطل ، فيقعون فى أسر جماعة من المتوحشين آكلى لحوم البشر فى أفريقيا ! بيد أنهم بعد سلسلة من المغامرات ينجحون فى الهرب بمنطادهم ، وقد همّ الأفارقة بطهيهم وأكل لحومهم .. ثم يصل بهم المنطاد إلى صحراء شاسعة ، ويحلق فوق مدينة إسلامية ترتفع فيها المآذن بكثرة ، وإذ يرى سكانها المنطاد يظنونه شيطاناً سماوياً فيخرون ساجدين برعب ، ويهرع المؤذنون للمآذن يكبرون ويبتهلون لله أن يصد عنهم هذا الشيطان .

ويهبط العلماء ليتزودوا بالمؤونة من هذه المدينة العربية التى تسرح فيها الجمال ، ويعيش سكانها وسط القاذورات والبهائم ، والذين ما أن يطمئنوا إلى أن هؤلاء الهابطين عليهم بشر مثلهم حتى يقودوهم إلى أميرهم فى قصره الكبير .

الأمير المسلم هذا محاط بالحريم ورجال الدين الإسلامى ، يقرأ القرآن ويرتكب الفواحش — هكذا يقول الفيلم ! — وما أن تقع عيناه على المساعدة

الشقراء حتى يسيل لعابه على لحيته ويقرر اغتصابها وضمها إلى حريمه . ثم تدور مغامرات يجابه فيها الأمريكيون سكان المدينة المسلمة الذين كلما شعروا بالهزيمة سجدوا مبتهلين إلى الله أن ينصرهم — وفى النهاية ينجح العلماء فى إنقاذ مساعدتهم الشقراء (بالطيران بها) وقد أوشك الأمير المسلم أن يفترسها . ومع أن الفيلم لا ينتهى بتدمير المدينة العربية المسلمة ، بل يتركها ، إلا أن وراء هذا مغزى هاما بالنسبة للمشاهد الغربى ، ألا وهو أن المسلمين والعرب خطر قائم ومستمر لم يتم تدميره بعد . ويجب أن تتكاتف الجهود لصده وإنهائه والقضاء على آكلى اللحوم النسائية ، أولئك الشبقون العرب .

● إن الشبق والسادية العربية هما محور فيلم « **بينوى بيلت** » « أى البيض الفلبينى »[1] الذى أنتجته الفلبين ، وهى إحدى الدول الآسيوية التى تعمل أبناؤها وبناتها خدماً لدى العرب ، خادمة بذلك المخططات الصهيونية الداعية لتشويه صورة العرب والمسلمين . ويبدأ المشهد الذى يثير دائماً رواد السينما من الجنس الآخر — فينطلق فى صياح وهياج — بمجموعة من نساء الليل يتنافسن على الزبائن . ويُطيب قزم ماكر خاطر إحدى النساء الغاضبات ، لأن زبوناً ضاع منها بقوله : « لا عليك ، سأحضر لك زبوناً عربياً » . وتنزعج الفتاة لمنظر العربى الكريه عندما تراه — فتجفل كظبية يكاد يفترسها ذئب ، أو تلتف حولها كوبرا لتخنقها ، فتلجأ للحيلة والمكر والخداع وتحاول أن توهمه أنها ولد ، (مدللة على ذلك بصدرها غير الناهد) فيهجم عليها قائلًا : الآن أريدك أكثر ..!!

وليس بعد هذا التشويه واتهام العرب جميعاً بالشذوذ تشويه . ثم تظهر سادية العربى ، (وقد ألبسوا أحد ممثليهم الملابس العربية ، إمعاناً فى الزراية والتشويه والنكاية) فيحاول ضربها بالسوط ويضربها فعلًا ، إلى أن تنجح فى اختطاف السوط ، منه ، وتضربه به على مؤخرته ، وهنا تصل المأساة إلى ذروتها ، إذ تتضح أيضاً « ماسوشيته » فينام لها فى الفراش وهى تضربه على مؤخرته وهو يقول لها : أضربى أكثر !

---

(١) بتصرف عن مقال محمد حسنين : صورة العربى فى السينما غير العربية . المرجع السابق ص ١٢٥ — ١٢٦ وقد أشرنا إلى هذا الفيلم رغم أنه غير أمريكى إلى أى حد وصلت أطراف الأخطبوط الصهيونى .

إن الهمجية العربية هى أهم معالم فيلم « **مغامرات فى مصر** » للثنائى بد سبنسر وترانس هيل ، حيث مغامراتهما الشيقة هذه المرة تدور على أرض مصر ، وتبدأ بهبوطهما فى مطار القاهرة الدولى بكل حداثته ، وحضارته ، وسعته ، ثم ينتقلان لمدينة القاهرة التى هى عبارة عن خيم وإبل تسير فى شوارع صحراوية وإناس بعباءاتهم العربية التقليدية يحاربون بالسيوف المعقوفة ويمتطون الإبل ، ويهربون عند سماعهم أصوات الطلقات النارية من مسدسى سبنسر وهيل !

● وتظهر هذه الهمجية أيضاً فى فيلم « **موعد مع الموت** » حيث يصور الفيلم مجد الإمبراطورية البريطانية الغابر عندما كانت بريطانيا تحتل بعض الأقطار العربية وتنهب خيراتها وثرواتها وتستنزف أدمغتها المفكرة . فى هذا الفيلم يظهر العرب بدائيين ، متوحشين ، حاقدين ، ماكرين خبثاء ، كارهين مكروهين ، سلاحهم الخناجر يغمدونها فى أجساد ضحاياهم من البريطانيات البريئات الفاتنات والأوروبيات المتحضرات ، وفى أحد المشاهد يجتمع نحو عشرين رجلًا ــ يحمل كل واحد منهم خنجره ــ ويحيطون بإحدى البريطانيات الشابات إحاطة السوار بالمعصم ، وهنا يصل المنقذ فى صورة الجيش البريطانى ، فترتد الخناجر إلى أغمادها ، وهكذا تنهزم الخناجز أمام البنادق ، والعرب أمام البريطانيين والأوروبيين ، والجلافة والبداوة والجهل أمام الحضارة والتقدم والعلم .

إن ما يحمله الفيلم من إساءة إلى العرب كبير ، فهم رمز التخلف والحقد والشبق والثورة التى تضيع هباء على الداعرات الساقطات ، وهو يحمل تشويهاً متعمداً للتاريخ العربى ، ذلك التشويه الذى يشوب معظم الأفلام التاريخية التى يكون العرب طرفاً فيها بدءاً من العلاقة التاريخية بين العرب والأفريقيين ووصولاً الى الصراع العربى الصليبى والعربى الإسرائيلى .

لقد سبق لنا أن شرحنا الفارق بين الدعاية الصهيونية والدعاية اليهودية والدعاية الإسرائيلية ، بيد أننا نعيد التأكيد هنا على ما تحتويه كلمة الصهيونية ، **فالصهيونية لا تعنى الإسرائيليين تحديداً ، ولا اليهود فقط ، ولكنها تشمل الإسرائيليين واليهود والمسيحيين أيضاً** ، ولما كان المسيحيون طوائف عدة أهمها الكاثوليكية

والبروتستانتية ، فإن التركيز على صهيونية البروتستانت أمر لا مناص منه ، ففى الوقت الذى لم يكن فى الفكر الكاثوليكى التقليدى قبل حركة الإصلاح الدينى التى قام بها «مارتن لوثر» أدنى مكان لاحتمال العودة اليهودية إلى فلسطين لأية فكرة عن وجود الأمة اليهودية ، أتاح الاصلاح الدينى البروتستانتى الفرصة للنهضة اليهودية ، وأعاد إكتشاف العهد القديم ليعود له اعتباره بعد أن كان مهملًا من قبل الحركة الكاثوليكية ، مماعـزز النزعة اليهودية ودعم وجهة نظرها فى الأوساط المسيحية الجديدة ، فأصبحت بذلك فلسطين أرضاً يهودية فى الفكر المسيحى فى أوربا البروتستانتية ، كما حظيت النبوءات التوراتية عن مستقبل «إسرائيل» بأهمية كبرى وغدا كثير من الفرق البروتستانتية مقتنعاً بأن تحقيق «التنبوءات » ليشمل اليهود المعاصرين بشكل أو بآخر ، فإذا أضفناإلى ذلك : الاضطهاد الشديد الذى تعرضت له البروتستانتية على يد الكنيسة الكاثوليكية لاكتشفنا أن الدوافع بين اليهود والبروتستانت أصبحت تكاد تكون واحدة .

ولم يكن غريباً أمام هذه الدوافع ـــ التى تنسحب عليها لفظة الصهيونية ـــ أن نجد السينمائيين البروتستانت من أمثال « **سيسل دى ميل** » ، «**انجمار برجمان**» ، « **دورمان جوويسون** » وغيرهـم يقصدون الموضوعات الدينية والتاريخية المعاصرة بالمفهوم المناصر لليهود .. ولو استعرضنا على سبيل المثال[1] الأبعاد المختلفة للأفلام الدينية والتاريخية التى أخرجها « سيسل دى ميل » مثل :

« **الوصايا العشر** » (١٩٢٣) ، «**ملك الملوك**» (١٩٣٧) ، «**علامة الصليب**» (١٩٣٢) «**كليوباترا**» (١٩٣٤) ، «**الصليبيون**» (١٩٣٥) ، « **شمشون ودليلة** » (١٩٤٩) «**والوصايا العشر**» (١٩٥٦) ... فسنكتشف أنه كان فى كل هذه الأفلام يتخذ من عنصر مناصرة اليهود بُعداً مشتركاً لا يحيد أو يتراجع عنه ، وفى نفس الوقت كان يلتقط الأحداث الدينية والتاريخية التى تتيح له المزج بين الدين والجنس لأسباب تجارية بحتة !!

---

(١) أحمد رأفت بهجت : السينما العالمية والتاريخ العربى ، الحروب بين العرب والفرنجة . مقال بمجلة «الكويت» (العدد ٥٨) يونيو ١٩٨٧ ص ١٠٤ .

إن سيسيل دى ميل واحد من أهم الصهيونيين غير اليهوديين ، أو الصهيونيين « الأمميين » أنه صهيونى من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، لذا فإن أفلامه التى صورت الشخصيات العربية الإسلامية سواء من خلال أحداث معاصرة أو تاريخية مثل : **« العرب »** (١٩١٥) ، **« الاسيز »** (١٩١٨) و**« الصليبيون »** (١٩٣٥) ، وكانت تحمل الرؤية العنصرية التى تبناها البروتستانت تجاه العرب .. وهى عنصرية تؤكد بما لا يدع مجالاً لشك ، أن الصهيونية غير اليهودية هى أشد فاعلية وخطراً من الصهيونية اليهودية نفسها .

فعندما تتعرض السينما العالمية للحقائق التاريخية ، تتجاهل تلك الحقائق وتتعمد ترديد الدعاوى الكاذبة التى تحاول العزف على نغمة ظالمة ، فتصور العلاقة التاريخية بين الشخصية العربية والأفريقية على أساس أن الأفريقيين كانوا دائماً ضحايا للتجار العرب ، فى حين أن الرجل الأبيض كان منقذهم الوحيد من مخالب هؤلاء التجار (!!) ونسى صناع السينما العالمية أو تناسوا لدوافع صهيونية بحتة أن الأوربيين هم الذين قاموا بكل أنواع الاستغلال فى أفريقيا ، بما فى ذلك تجارة الرقيق ، بداية من القرن السادس عشر ، وأنهم كانوا يقومون بهذا الاستغلال ، فى وقت كانت فيه الحضارة العربية تشع بنورها على كل ميادين الفكر والعلوم فى أوروبا !

لقد عالجت السينما الغربية هذا الموضوع[1] بصورة متحيزة وظالمة ، أريد من خلالها إظهار العرب وكأنهم العنصر الرئيسى وراء تجارة الرقيق فى أفريقيا .. وتتردد هذه الفكرة فى كل الأفلام التى ظهرت عن الثورة المهدية بما فى ذلك الأفلام التى صورت هروب الإنجليز من السودان بعد مقتل الجنرال « جوردون » فى الخرطوم . وليس إعجاب الإنجليز بشخصية « جوردون » مقصوراً على كونه نموذجاً للبطل الاستعمارى ، بل أيضاً لأنه قاوم الرق العربى . وفى فيلم **« الخرطوم »** (١٩٦٢) نجد « جوردون » لا ينجح فى الوصول إلى المقر السرى

---

(١) انظر مقال أحمد رأفت بهجت : **« صورة ظالمة للعرب فى أفلامهم : موقف السينما العالمية من الشخصية العربية والأفريقية »** مقال بمجلة الدوحة القطرية ، عدد إبريل ١٩٨٥ ص ١٤٨ ـــ ١٥٣ ويلاحظ أن الأستاذ أحمد رأفت بهجت واحد من أفضل المهتمين بدراسة الصورة الظالمة للشخصية العربية فى السينما الصهيونية .

للمهدى إلا بمساعدة صديقه خليل (جون سيكا) العملاق الزنجى الذى ساعده جوردون فى التخلص من الرق وأكسبه بعض الأفكار والتعاليم . ونشر هذه الأفكار يجعلنا نتساءل : هل الإنجليز الذين تاجروا فى الرق منذ القرن السادس عشر وحتى القرن العشرين ، بل وفى النصف الثانى من القرن العشرين كانوا غير هذا البطل الاستعمارى ، وهل فقدت إنجلترا القادة بحيث لم تستطع خلق جوردون آخر للتخلص من الرق الأوروبى البشع فى أفريقيا ؟!

● وفى فيلم « **غرب زنجبار** » (١٩٥٤) الذى كتبه وأخرجه « هارى وات » وكان بطله الانجليزى « أنطونى ستيل » فى حالة بحث متواصل فى سبيل مقاومة تجارة الرقيق فى شرق أفريقيا التى كانت تقوم به — كما أدعى الفيلم — العناصر العربية فى « زنجبار » المركز الرئيسى لهذه التجارة منذ مطلع القرن التاسع عشر ، ومرة أخرى نجد هذه الشخصية تخالف تماماً فى تفكيرها ونزعتها ما نراه فى الواقع التاريخى ، حيث كان الانجليز الذين ينتمى إليهم بطل الفيلم يمارسون هذه التجارة فى غرب أفريقيا بشكل لم يشهد له العالم مثيلًا .. ولا يسعنا إلا الاستشهاد بالباحث الانجليزى « بازل دافيد سون » حينما يكتب عن تجارة الرقيق التى قام بها الأوروبيون فيقول :

« اتخذت تجارة الرقيق معنى خطيراً حين شرعت السفن الأوروبية تنقل آلاف الشباب من الداخل والساحل وتدمى الحياة فى القارة ، لقد أصبحت النخاسة على يد الأوروبيين تجارة أشبه ما تكون بالموت الأسود الذى اجتاح أوروبا » .

ولقد كان هنالك دائماً فى كل الأفلام المناهضة للشخصية العربية شخصية يحرص عليها السينمائيون الغربيون حرصاً واضحاً ، وكانت هذه الشخصية هى شخصية العربى « تاجر العبيد » .. إن سلوك هذه الشخصية وتصرفاتها كلها أمور تجسدها لنا الأفلام « الصهيونية » وتوضح معالمها بشكل ظهر من خلال ممثلين لهم قدرتهم على تجسيد الشخصيات الكاريكاتورية . ومن هؤلاء الانجليزى « هارى اندروز » فى فيلم « **ليزا** » (١٩٦١) ، أن الألمانى « بيتر لورى » فى فيلم « **٥ أسابيع فى بالون** » (١٩٦٢) أو الممثل الروسى الأصل « بيتر اوستينوف » الذى

لعب شخصية تاجر العبيد سليمان فى فيلم « **آشانتى** » (١٩٧٩) للمخرج « ريتشارد فلينشر » .

● كان « هارى اندروز » فى فيلم « **ليزا** » هو تاجر العبيد أيوب الذى يعمل مع نازى سابق فى تجارة الرقيق ، وكانت شخصية بيتر لورى تحمل فى جوهرها طابع السخرية من تاجر العبيد من خلال أحداث ذات طابع خيالى كوميدى اعتمدت على رواية لجول فيرن .. تدور أحداثها عام ١٩٦٢ حول عالم أوروبى يهبط بواسطة بالون فى وسط أفريقيا . وظهور « لورى » فى شخصية تاجر العبيد الذى تمتلىء جعبته بالحيل والألاعيب ، إنه الشرير الذى يضطر الإنسان إلى انتظار شروره وحيله فى كل لحظة .. وتظهر شخصيته فى سياق الجو الخيالى الذى قدمه « فيرن » فى روايته مما قلل من تأثيرها على المتفرج العالمى ، بعكس ما حدث مع شخصية « سليمان » التى قام بها « اوستينوف » فى « آشانتى » وحاولت تشويه صورة العرب وتدعى أنهم أصابوا الأفارقة السود بأشد الأضرار التى تفوق ما قدموه لهم من مساعدات !!

والواضح أن هدف هذا الفيلم هو أن يفقد المتفرج حياده بمجرد أن يشاهد شخصية سليمان « الصهيونى النية » الذى يحاول تشويه صورة العرب أمام العالم والدول الأفريقية ، فلقد بدأ تصوير هذا الفيلم عام ١٩٧٨ فى كينيا ثم استكمل فى إسرائيل ، وكان المشرف على التصوير من الجانب الإسرائيلى « رينجل » وتم تصوير الفيلم ما بين إيلات ، حيفا ، القدس ، والفيلم لا يكتفى باختلاق الأحداث ، ولكنه يجعل العرب فى مواجهة مع هيئة الأمم المتحدة نفسها التى يمثلها فى المناطق الأفريقية دافيد وزوجته السوداء من أجل إنقاذ الأفريقى الأسود من الأمراض والأوبئة ، فى الوقت الذى يتسبب العرب فى كل المآسى التى تصيب الأفريقى !

● وفى فيلم « **السفن الطويلة** » (١٩٦٤) الذى لعب فيه الممثل الزنجى الشهير « سيدنى بواتييه » دور قائد مغربى أسود ، وأخرجه جاك كارديف عن رواية كتبها « فرانسيس بينجستون » وعن سيناريو لبريكلى ماثير وبيفرلى كروس ، نجد الجرعة الإعلامية ضد العرب تحتل مساحة أكبر مما هو فى أفلام أخرى كثيرة مناهضة

للعرب تم إنتاجها في نفس الفترة التي سبقت حرب ١٩٦٧ مثل أفلام « أرابيسك» ، « ظل العملاق » ، « مود يستى بليز » ، « أجازة فى الحريم » و« حفلة تنكرية » وغيرها من الأفلام التى كانت تتطلب جهداً مضنياً من التلفيق والخيال حتى تعطى أكبر جرعة إعلامية ضد العرب .

كانت قصة فيلم « السفن الطويلة » بسيطة التركيب ، سلسلة البناء عمادها الأحداث التي تجرى حول البحر ، وبخاصة المناطق التى تغلغلت فيها سفن قبائل الفايكنج بحثاً عن الغنائم ، وهؤلاء الفايكنج رغم قوتهم يخضعون غالباً لروح شريرة مستبدة أو لحظ متقلب غادر .. يتعرضون للأسر أو للخطف أو يعانون من أنواء البحر وتحطيم السفن وغرقها .. يكبلون بالأغلال ويزج بهم فى السجون من غير ذنب اقترفوه ، أو يباعون فى أسواق العبيد . وهكذا يمرون بلحظات مثيرة ويتعرضون لأحداث جسيمة يصورها الفيلم تصويراً دقيقاً ليطبع قصته بطابع درامى عنيف ويخلق من خلاله وجهة نظر البطل المغربى الأسود الذى يصبح بالنسبة لهؤلاء الفايكنج هو الروح الشريرة التى تذلهم . ولكن عندما يقاومونها يبتسم الحظ لهم ، ويستردون قوتهم ، ويستردون الأمل فى الحياة والنجاة .. ثم ينتهى الفيلم باستردادهم الكنز الذهبى وقتل العربى الأسود « ألمانسو » .

كانت الشخصيات فى « السفن الطويلة » على نمط واحد لأنها كانت من نسج خيال كاتب مغرض لا من واقع الحياة .. كان يستمدهم من أفكاره حول الفايكنج المقاتل الشجاع ، والعربى القاسى القلب ، ولذا نرى هذه الشخصيات كأشباح خافتة تقوم بأدوار بعينها.

إن الفيلم يحاول من خلال مشاهد التعذيب التى يتعرض لها كل من « رولف » و « جيردا » أن يبرز قدرة الاثنين على الاحتمال ويعتبرها محكاً لبطولتهما ومقياساً لنجاحهما . لا يخافان أى تهديد ، ويتحملان أى تعذيب أو أهانة ، ويصبران على أى مكروه .. وعندما يقتاد رجال « المانسو » رولف إلى آلة التعذيب الجهنمية التى أخترعها « المانسو » بنفسه لتشطر الجسد البشرى الى نصفين طوليين ، يفضل رولف الموت على أرشاد العربى إلى مكان الكنز ، حتى يفاجأ وهو على وشك الموت بشقيقيه « أورم » و« سيفن » وقد حررتهما

« أمينة » زوجة « ألمانسو » ليخبرا زوجها بمكان الكنز ليحرر رولف من أسره .

ولقد كان فيلم السفن الطويلة الذى أنتج عام ١٩٦٣ تعبيراً أيضاً عن موقف متصل اتخذه « كارديف » تجاه الانسان العربى ، سواء عندما كان مصوراً أو عندما تحول إلى الإخراج : فمنذ بداية عمله كمدير تصوير سينمائى ، وقبل أن يتحول إلى الإخراج، وهو يسبح فى اتجاه التيارات السينمائية المضادة للعرب ، وكانت أفلامه التى شارك فى تصويرها أو إخراجها مثل :

« الريشات الأربع » (١٩٣٩) ، « أسطورة المفقود » (١٩٥٧) « السفن الطويلة » (١٩٦٤) « موت على النيل » (١٩٧٨) ، كلها تؤكد موقفه المناهض للإنسان العربى والأفريقى الذى حاولوا تشويهه بكل الوسائل فى أفلامهم .

وكما سبق أن قلنا يقتصر تشويه السينما الصهيونية للعلاقة التاريخية بين الشخصيتين العربية والأفريقية ، إذ تعدى ذلك التشويه حدود العلاقة تلك ليشمل كل العلاقات التاريخية التى يكون العرب طرفاً فيها . فقد تنبهت القوى اليهودية فى السينما الأمريكية والأوروبية ، منذ نشأة السينما إلى ضرورة تشويه التاريخ الإنسانى فى كل فتراته للحصول على أفكار تساند وتدعم قضاياها الدينية والسياسية ، ولقد كان موقف السينمائيين اليهود من أمثال « مايكل كورتيز » ، « باندرواس بيرمان » ، « ريتشارد ثورب » ، « أنتونى مان » ، « هنرى بلانك » و« ديفيد بتلر » « ينسجم مع الموقف اليهودى » عموماً خطة « الحروب الصليبية » التى كان العرب طرفاً فيها .[1] .

ومع أن اليهود لم يكونوا طرفاً فى الحروب أساسياً — كما يقول الدكتور قاسم عبده قاسم فى بحثه : «**رؤية إسرائيلية للحروب الصليبية**» — فى هذه المواجهة العسكرية الحضارية الطويلة .. ومن هنا فإنه لا يمكن القول بأن لهم انحيازاً إلى جانب أحد الطرفين المتصارعين .. بيد أن الموقف اليهودى من الحروب الصليبية

(١) انظر أيضاً مقال أحمد رأفت بهجت : «**الحروب بين العرب والفرنجة**» مقال بمجلة الكويت العدد ٥٨ — يونيو ١٩٨٧ ص ١٠٠ — ١٠٥ .

يخدم الأهداف الصهيونية الأساسية فى عدة جوانب أولها محاولة تصوير الاضطهادات التى أوقعها الصليبيون باليهود فى أوروبا على أنها حلقة ضمن سلسلة الظاهرة التى أطلق عليها اسم « معاداة السامية » وثانيها إظهار الشخصية العربية فى رؤية سلبية تظهرها بالضعف والخسة والضعة فى تعاملاتها الخلقية أثناء الحروب الصليبية مع محاولة سرقة التاريخ العربى فى فلسطين واختلاق دور تاريخى لليهود فى التصدى للعدوان الصليبى ، وثالثها تجسيد مشكلات الكيان الصهيونى التى أدت إلى فشله ككيان دخيل فى فلسطين ودراسة إمكانيات النجاح للكيان الصهيونى المشابهة .

● ويمثل فيلم « **ايفانهو** » (١٩١٣) المأخوذ عن رواية لسير « والترسكوت » بداية الأعمال التى استغلتها الصهيونية فى تجسيد شخصية اليهودى الطيب فى صراعه ضد الاضطهاد الصليبى ، أما فيلم « **عبر القرون** » (١٩١٤) ففيه تقدم شركة سيليج بوليسكوب رؤية للشخصية العربية تبدو ضعيفة وخسيسة فى تعاملاتها الخلقية أثناء الحروب الصليبية . أما فيلم « **فرانسيس الأسيزى** » (١٩٦٠) فيمثل واحداً من أشهر الأفلام التى تدور حول الحروب الصليبية وتجنح إلى تصوير المسلمين كغزاة محتلين لأورشليم . وقد قام بإخراج هذا الفيلم أحد أعمدة السينما الأمريكية « مايكل كورتيز » صاحب أكثر من مائة فيلم كان أغلبها يدور حول موضوعات يهودية أو مساندة للقضايا اليهودية .

وما حدث مع موضوعات الحروب الصليبية تكرر عندما عالج اليهود فى أفلامهم موضوعات استعادة بلاد الأندلس وجنوب إيطاليا من الحكم العربى ، حيث تم التركيز على الأهداف الصهيونية التى تهدف الى تقديم الأكاذيب المناهضة للتاريخ العربى والإسلامى وإظهار العرب بمظهر الغزاة القساة للأراضى والكنائس المسيحية ، مع تجاهل تام للدور العربى فى ازدهار الثقافة والعلوم فى الأندلس ، وفى مناصرة اليهود ضد الاضطهاد الدينى لهم فى أوروبا .

ورغم أن السينما الأسبانية والإيطالية أخذت على عاتقها موضوعات استعادة بلاد الأندلس وجنوب إيطاليا فى عشرات الأفلام المناهضة للشخصية العربية مثل :

« **ماشيست ضد الشيخ** » (١٩٦١) إخراج « دومينكو بوليلا » ، « **ماشيست ضد مصاصى الدماء** » إخراج « جياكومو جينتلومو » (مع ملاحظة أن مصاصو الدماء فى هذا الفيلم هم السلاطين والقواد العرب) ، « **من أجل الحب ، من أجل السحر** » (١٩٦٦) اخراج دوسيوتيسارى .. فإن اليهود ركزوا اهتمامهم على تقديم أهم فيلم عن دور مقاومة الأسبان للعرب فى فيلم « **السيد ELCID** » وهو انتاج أمريكى تم تصويره فى إيطاليا وأسبانيا تحت إشراف المنتج اليهودى صموئيل برونستون ، وسيناريو اليهودى فيليب يوروان وفردريك فرانك .. وإخراج اليهودى انتونى مان .. أما بطولته فأسندت إلى الممثل الأمريكى « شارلتون هوستون » فى دور الفارس الأسبانى رود ريجو المشهور بالسيد ، والممثلة الإيطالية صوفيا لورين فى دور الأميرة الأسبانية شيمين ، والممثل الإنجليزى هربرت لوم فى دور القائد المراكشى « بن يوسف » وفرانك تريدج فى دور الحاكم العربى « القادر » .. والسيد أو الفارس رود ريجو شخصية أسبانية تاريخية حقيقية من القرن العاشر .. وهو مغامر شرس لا يتخلق بأخلاق الفروسية التى أضفتها عليه الأساطير ، والتى أظهرته كنبيل قوى جاد الطباع ، حساس معتز بشرفه ، وهى نفس الصفات التى قدمها السينمائى اليهودى حين أظهره بطلًا يفكر فى السلام من جهة ، ويكتسب شهرته من قسوته وشراسته فى محاربة العرب الذين ظهروا فى الفيلم دساسين مخادعين ، كما هى العادة فى كافة الأفلام الصهيونية الهادفة إلى دمغ العرب بكل رذيلة .

أما إذا رغبنا فى إلقاء نظرة على الأكاذيب والترهات التى تحاول الصهيونية ترويجها عن الصراع التاريخى بين العرب وإسرائيل ، فلنا فى فيلم « **السفير** » (١٩٨٤) خير مثال عن الأخطبوط الإسرائيلى والصهيونى الذى يحاول أن يلتهم كل محاسن العرب ليبقى أمام العالم صورة بشعة عن إرهابيين عتاة يرفضون السلام مع دولة إسرائيل (المحبة للسلام !) .

قام بانتاج فيلم « السفير »[1] شركة « **كانون** » الإسرائيلية فأنتجه وأخرجه

---

(١) عن فيلم السفير وشركة كانون الإسرائيلية ، انظر مقال الأستاذ رؤوف توفيق : « **الأخطبوط الإسرائيلى يكشف عن وجهه فى السينما** » ــ مجلة الدوحة القطرية عدد سبتمبر ١٩٨٤ ص ١٣٢ ــ ١٣٨ .

الإسرائيلى « مناحم جولان » وإن كان ذلك يتم انطلاقاً من الولايات المتحدة الأمريكية وذلك للتغطية والتمويه على الجنسية الأصلية للشركة المنتجة التى تحاول « جر رجل » المتفرج الأمريكى بإنتاج تجارى مضمون يشمل أفلاماً للتسلية والضحك ، وأفلام الجنس والعرى ، وأفلام الإثارة والرعب ، وأفلام غنائية موسيقية وإن كان هذا لا يخلو من تسريب متعمد لأفكارهم الصهيونية ووجهة نظرهم فى القضايا العالمية وبالذات قضية وجود إسرائيل ، وحق إسرائيل ، وأمن إسرائيل ، وما إلى ذلك من أهداف إسرائيلية بحتة .

ويتعرض فيلم « السفير » لمسألة السلام بين إسرائيل وفلسطين ، أو بمعنى أدق التعايش السلمى وتبادل الحوار بين الإسرائيليين والفلسطينيين داعماً وجهة النظر الإسرائيلية فى محوها فكرة الأرض الفلسطينية ، وتأكيدها على قدرة جهازها الأخبارى (الموساد) وإظهارها لتأييد جميع أفراد الشباب الإسرائيلى لفكرة الحوار مع الفلسطينيين من أجل السلام ، ودعمها للفكرة الصهيونية التى تتردد عبر كافة الأعمال الصهيونية فى وسائل الأعمال الغربية :.الفلسطينى ارهابى من الدرجة الأولى .

وبكل بجاحة يشطب الفيلم على قضية الشعب الفلسطينى ، لتتحول إلى أن كل طرف « زعلان » من الآخر ولابد أن هناك من يهمه الأمر ليجمع الطرفين معاً ، ويفك هذا « الخصام » ويفتح الأفواه لأن تتكلم وتتحاور وتتصالح . وبالطبع فإن من يهمه الأمر هو أمريكا بهذا المنطق يبدأ الفيلم فنرى السفير الأمريكى فى إسرائيل (يلعب الدور روبرت ميتشوم) يقود سيارة جيب مفتوحة يعبر بها طريقاً صحراوياً متعرجاً ، ويجلس بجواره صديقه الأمريكى ، رئيس جهاز الأمن فى السفارة (يلعب الدور : روك هدسون) وتسير السيارة حتى تصل إلى بقعة بجوار بعض الأبنية المهدمة فى الصحراء (لاحظ ترديد نغمة الأرض الصحراوية) لقد جاء السفير الأمريكى للقاء مجموعة من الشباب تطلق على نفسها الفلسطينيين ؟ إنه يريد الاتفاق مع ممثلى الشباب الفلسطينى على لقاء مع الشباب الإسرائيلى « ليتحاوروا » .. و« ليعشوا فى سلام » ! .. إن السفير فى مهمة غير رسمية ، وهو غير مكلف بذلك من حكومته ، ولكن دافعه إلى ذلك شخصى بحت ، أنه البطل الذى يريد أن ينقذ مستقبل الشرق الأوسط !

وسط الصحراء المكشوفة يمتد اللقاء بين السفير يشرح فكرته للفلسطينيين المدججين بالسلاح .. وبينما هم يتكلمون تنقض عليهم طائرة عسكرية فتحصد الفلسطينيين فى مذبحة بشعة لا ينجو منها سوى السفير الأمريكى الذى تحاصره سيارات الجيش الإسرائيلى وتقتاده إلى مكتب وزير الدفاع الإسرائيلى الذى يهاجم بدوره فكرة السفير فيخرج السفير من هذا اللقاء مهزوماً ولكنه غير محبط ، فهو قد إزداد تصميماً على فكرته ، وفى خط موازٍ تكشف أحداث الفيلم عن علاقة عاطفية تربط بين زوجة السفير وتاجر فلسطينى له دكان كبير فى سوق القدس يبيع التحف والحلى الشرقية .. وتشاء الظروف أن تصاب زوجة السفير فى انفجار قنبلة بجوار دكان عشيقها الفلسطينى فى نفس ليلة ذهاب زوجها للبحث عنها بالقدس ليلتقى هناك بمفاجئة كبيرة ، ففى وسط أنقاض الانفجار فى السوق ، كانت هناك سينما خالية تماماً من المتفرجين ، ولكن الأبواب مفتوحة والشاشة تعرض فيلماً .. ويتوقف السفير مذهولاً أمام الفيلم .. إن الفيلم يصور زوجته عارية على فراش التاجر الفلسطينى .. والفيلم يسجل تفاصيل العلاقة . ويجرى السفير إلى غرفة ماكينة العرض السينمائى :. فلا يجد أحداً .. لقد اختفى الجميع .

وفى محاولة السفير البحث عن مصور الفيلم ونسخته الأصلية يكتشف عن طريق وزير الدفاع الإسرائيلى بأن المخابرات الإسرائيلية هى التى دبرت كل ما حدث لدواعى الأمن ! .. وفى ندوة مع الشباب الإسرائيلى يحاول السفير إقناع الشباب الإسرائيلى بفكرته حول الحوار بين أهل السلام ، ويقتنع بعض الطلبة بفكرته بينما يترصده أحد الشباب الإسرائيلى ببندقيته التلسكوبية محاولاً اغتياله .. وتنطلق الرصاصة لتخطئه ، ولتزيده إصراراً على مواصلة مهمته .

ويذهب السفير إلى التاجر الفلسطينى ليطلب منه تدبير اللقاء بين الشباب الفلسطينى والشباب الإسرائيلى فيحدث تقريباً نفس نوع الاحتجاجات بين الشباب الفلسطينى .. المهم .. يحدث اللقاء : يجتمع الشباب الإسرائيلى بقيادة السفير الأمريكى ، حوالى مائتى شاب وفتاة يقدمهم الفيلم فى صورة من التفتح والحيوية والإقبال على الحياة .. يجلسون ، ينتظرون بالساعات ولا يأتى الشباب الفلسطينى . ويبدءون فى التململ والرغبة فى الانصراف ، ولكن السفير يطلب منهم

المزيد من الصبر !! ويحل الظلام.. ويضيء كل منهم شمعة ! ويهتفون : السلام السلام .. ثم يصل الفريق الفلسطيني ويجلسون أمام الفريق الإسرائيلي ، وما أن يبدأ الحوار .. حتى يزحف من وراء الظلام مجموعات من الفلسطينيين يمسكون بالمدافع الرشاشة يصوبونها ناحية الشباب الإسرائيلي ليحصدوهم في مذبحة بالغة البشاعة .

ويتعمد المخرج أن يصور الضحايا الإسرائيليين وهم يمسكون الشموع ويتساقطون قتلى وأيديهم في أيدي بعض .. وتستعرض الكاميرا في تمهل شديد ، الوجوه الشابة التي كانت تتغنى منذ لحظات بالسلام .. وهي الآن تنفجر بالدماء والجروح ، ويعلو الأنين والبكاء ، وينقض السفير ضرباً على أحد الفلسطينيين حتى بعد أن يلفظ أنفاسه .. ثم تأتي الطائرات العسكرية الإسرائيلية لتحاصر المكان وتطلق نيرانها على الفلسطينيين ، ومن كل جانب ظهرت المدرعات الإسرائيلية تشارك في إطلاق النيران بكل أنواع الأسلحة المستخدمة في الحروب ، ويقف السفير الأمريكي يطل على المشهد أمامه وقد تحول المكان إلى مقبرة جماعية ، وهو يردد « ربما الجيل القادم يحقق الحوار والسلام » ويعود السفير الأمريكي إلى بيته مهموماً حزيناً ولكنه يفيق على صوت مظاهرة في الطريق تقترب من بيته .. يطل من النافذة ليجد جموعاً من الشباب الإسرائيلي تحمل الشموع وتهتف : السلام السلام . ويبتسم السفير الأمريكي وينتهي الفيلم.!

والرسالة التي يريد أن يقولها فيلم السفير ـــ الذى أفردنا له مساحة كبيرة نظراً لحبكته التي تمر منها الدعاية الصهيونية بسلاسة منقطعة النظير ـــ هي أن السلام عند الإسرائيليين مقبول ومطلوب . ولكنه عند الفلسطينيين مسألة مستحيلة ، ذلك لأن الفلسطيني تعود على القتل والإرهاب وسفك الدماء لأنه همجي بلا حضارة . إن الفلسطينيين مثلهم مثل كل العرب : إرهابيون عتاة .

أما فيلم « **خلف الجدران** » فهو واحد من الأفلام التي لا تتميز بالقسوة على الشخصية العربية العامة ، ولكن على القيادات العربية . والفيلم حاز على لقب أحسن فيلم أجنبي لعام ١٩٨٤ ، وهو من إنتاج إسرائيلي وقام بتوزيعه في الولايات المتحدة شركة وارنر ، وهو يريد أن يوضح أنه بإمكان العرب واليهود أن يعيشوا

معاً إذا تركتهم أنظمة الحكم فى بلادهم وشأنهم ، وفى المشهد الأخير نرى العربى الأسير (عصام) وقد عرض عليه أن يسمح له بالذهاب للعيش مع زوجته وابنته إذا أنهى حالة الإضراب عن الطعام فى السجن ، ويشجعه رفاقه الإسرائيليون على قبول العرض ومغادرة المكان ، لكن العربى يفضل البقاء فى السجن على التخلى عن قرار اتخذه السجناء العرب بالإجماع .

إن إدانة الشخصية العربية فى هذا الفيلم لا تتم بالصورة القاسية التى اعتادت هوليود أن تقدمها فى الأفلام السابق عرضها ، لكنها تتم بهدوء وحذر شديد ، ومع هذا يظهر منها أن العربى إنسان عنيد لا تعنيه المصالح بقدر ما تهمه الصورة التى يريدها رؤساؤه العرب الذين فيهم كل الأوزار السابق الحديث عنها .

واذا انتقلنا من الحديث عن الأنماط السيئة للشخصية العربية بالسينما الأمريكية ، إلى الحديث عن تلك الأنماط ، وأنماط أخرى غيرها لهذه الشخصية بالتليفزيون الأمريكى ، فإن أول ما نشير اليه هو أن تقديم الشخصية العربية فى التليفزيون الأمريكى على هذه النمطية المغلوطة يفصح عن نزعة لا أخلاقية لا إنسانية ، تحركها دعاية صهيونية حاقدة وهى دعاية يراد بها تحطيم الجانب الحقيقى للشخصية العربية فى الوجدان الأمريكى العام ، لأن المشاهد الأمريكى العادى — مثله فى ذلك مثل كل مشاهد عادى فى كل أنحاء العالم يستقبل البرامج التليفزيونية المستوردة من أمريكا — لا يقوى على التمييز بين الصورة التليفزيونية والصورة الواقعية ، وحول خطورة البرامج التليفزيونية العادية يقول البروفسور « أريك بارنو » إن ما اصطلح على تسميته بالبرامج الترفيهية التى يفترض أن تكون للتسلية والراحة النفسية ، والتى يفترض أيضاً أن تزودنا بخبرة حيادية سلبية هى فى حقيقة الأمر خبرة معقدة جداً ، فنحن نستوعب ما يقال مع إغفال تام لإحساسنا التحليلى النقدى » .. إذن فالتليفزيون هو أداة سياسية قبل أن يكون أداة ترفيهية أو وسيلة للمتعة والتسلية .

إن السياسة فى التليفزيون لا تعنى مجموعة الخطب أو التصاريح ولكنها تعنى الأعمال الدرامية ، فالدراما التليفزيونية هى نوع من الدعاية لأمرما ، وهى بعد ذلك نوع من السياسة . وكما يقول الدكتور « جورج جيربز » عميد كلية وسائل

الاتصال فى جامعة بنسلفانيا : « إن التليفزيون ، يقوم حالياً ـــ أكثر من أى مؤسسة ثقافية أخرى ـــ بتشكيل المعايير والقيم والسلوكية الأمريكية ، وكلما زادت مشاهدتنا للتليفزيون زادت معتقداتنا السائدة بما يقوله التليفزيون عن هذا العالم الخارجى ، على الرغم من أن معظم ما يعرض هو محض افتراء ، أو تضليل إعلامى دعائى » .

وتكمن خطورة التليفزيون كجهاز دعائى ، أن التليفزيون يدخل مباشرة إلى كل بيت فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا ومعظم البيوت المتوسطة المستوى فى دول العالم الثالث .. والاحصاءات التى نشرت عام ١٩٨١ أشارت إلى أنه يوجد فى أمريكا وحدها ٤٣ مليون بيت يمتلك أجهزة تليفزيونية ، وهكذا فإن أى برنامج تليفزيونى ناجح فى أمريكا يشاهده فى أثناء العرض الأول أكثر من ٤٠ مليون مشاهد ، ومع إمكانية تكرار العرض قد يرتفع الرقم إلى ١٥٠ مليون مشاهد فإذا ما تم توزيع هذا البرنامج للعرض الخارجى بمختلف دول العالم ، ارتفع عدد المشاهدين لما يربو عن ٤٠٠ مليون مشاهد .. ومعنى هذا أن المشهد الذى تشكله التلفزة ويدخل كضيف لكل بيت يساعد على تعميم الخطأ أو التزوير على ملايين الناس فى آن واحد وبنمو مُلح اذا ما أعيد عرض هذا البرنامج ، كما هو الحال مع بعض الاعلانات التجارية التى تبثها فى أمريكا نحو ٣٥٠ مليون محطة تجارية تعتمد على نظرية العرض والطلب والربح .

ومن بين تلك الإعلانات التجارية[1] التى تعمد الدعاية الصهيونية لاستغلالها استغلالًا بشعاً فى الإساءة إلى العرب ، حيث تتفنن وكالات الإعلام التجارية الصهيونية فى إظهار العربى بصورة الأبلة أو الهمجى والغارق فى شهواته ، إعلاناً تجارياً عن أحد أنواع الصابون ، ويبدأ الاعلان بصوت المذيع يؤكد أن صابون « كذا » ينظف أى شىء حتى العربى !!

ثم يظهر على شاشة التليفزيون شخص يرتدى الزى العربى المميز ، والأوساخ والقاذورات تملأ وجهه وملابسه ، ثم تتقدم منه فتاة تكاد تكون شبه عارية ،

---

(١) نقلا عن كتاب : « **النفوذ اليهودى فى الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية** » ، مرجع سابق ص ٦٣ .

لتدفع به فى بانيو ملىء بالماء ، وتبدأ فى تدليكه بصابون كذا ثم تخرجه من البانيو ، لتقول بخبث يهودى واضح :

« عفواً سيداتى سادتى ، نحن نتحدى أى صابون آخر أن ينظف هذا العربى أكثر مما نظفه صابون « كذا » ، لقد بذلنا كل ما فى وسعنا لنجعل صابوننا أقوى فاعلية .

وفى هذه اللحظات يدخل شاب بيده ورقة تفتحها الفتاة وتقرأها بحماس :

« سيداتى سادتى ، جاءنا الآن من مختبرات « كذا » أن صابون « كذا » فى قمة الفاعلية ، وأن العيب فى عدم نظافة العربى ، ليس بسبب قلة فاعلية « صابون « كذا » ولكن لأن العربى لا يمكن أن يصبح نظيفاً أبداً » .. وبهذا ينتهى الاعلان الوقح الخبيث .

وفى إعلان تليفزيونى آخر لترويج سائل خاص تقذفه النساء فى وجه من يريد التحرش بهن فيفقد وعيه .. كان الفيلم الدعائى يصور فتاة تسير باطمئنان ، ثم يفاجئها رجل يرتدى الزى العربى المميز ويهجم عليها وبيدة خنجر يريد اغتصابها ، فتقذف الفتاة السائل فى وجهه فيفقد العربى وعيه ، وتبصق الفتاة عليه ثم تمضى فى حال سبيلها .

ومثلما تتركز خطورة هذه النوعية من الإعلانات التجارية فى تكرارها الأمر الذى يساعد على رسوخها فى فكر ووجدان المشاهد ، **فأن ثمة نوعاً آخر من الأعمال الفنية يتعرض لنفس التكرار ، ألا وهو الأعمال الغنائية التى يعرضها التليفزيون من حين إلى آخر ، وخطورة الأغنية بصفة عامة ـــ والأغنية هى مرآة الشعوب الحقيقية ـــ إنها لحظة قصيرة فى حياة المستمع إليها تصل إليه ببساطة وسهولة فيرددها ويحفظ كلماتها بكل ما فيها من إيحاءات تساعد الانغام الموسيقية المصاحبة لها على تأكيدها** ، فإذا أضفنا إلى هذا أن الأغنية تنتقل الى المستمع ، ليس فقط من خلال التليفزيون ، ولكن من خلال **الإذاعة** ومن خلال **أجهزة التسجيل** المنتشرة لدى كافة الفئات العُمرية خاصة الشباب منها(*) ، لادركنا أن واحدة من أهم الطرق التى تلجأ إليها الصهيونية معتمدة فى الإساءة

(*) هذا عدا انتشارها على اسطوانات أجهزة البيك أب والاسطوانات التى تعمل بالليزر .

إلى العربى من خلال طريقتين ، الأولى الأفلام الدعائية المصاحبة للأغنية حيث يتم تصوير العربى فى صورة الشيطان أو الشخص القبيح البشع ، والثانية من خلال الكلمات التى قامت عليها الأغنية ، والطريقة الثانية أشد خطورة من الأولى .

ومن بين الأغنيات التي نختارها كمثال على المجموعة الثانية، أغنية « **مثلما يمشى المصريون** » **Walk Like Egyptian** لفريق الـ **Bangles** الأمريكى ، وهى أغنية تفيض فى سباب وإهانة المصريين بذكر سيئات مصر وتقديم الجانب الأسود فيها دون التعرض للجانب الأبيض الأمر الذى تجرها من حيز النقد إلى حيز التهجم والتجريح ، وكلمات الأغنية تقول[1] :

« هناك على ضفاف النيل يعيش المصريون أنهم يسقطون كقطع الشطرنج عندما يمشون بسرعة

باعة الآثار كالتماسيح يريدون الحصول على نقودك بأى طريقة .

أنهم يقلدون الأجانب ويمضغون السجائر

ويغنون أو إيه ... أو إيه

اذا دخلت باراً، فما أسرع ما يحاول الجرسونات استغلالك أيضاً ..

يفرغون كأسك ليملؤوه لك بالمزيد والمزيد

الأطفال يتخبطون فى الأسواق والتلاميذ يسيرون وهم ينوءون بحقائبهم الثقيلة

والكل يغنى أو إيه .. أو إيه

الناس فى الشوارع يتعثرون فى الحفر والنقر فيسيرون منحنين للأمام..

رجال الشرطة يرقصون ويغنون فى محلات الحلوى : أو إيه .. أو إيه » .

ومع أن الأغنية تعرض لبعض « الحقائق » المعروفة فى الشارع المصرى ، كالحفر والمطبات فى الشوارع واستغلال السياح ، وتقليد الغرب بكل ما فيه من مساوىء ومن « مُوَدَات » وهو تقليد لا طائل من ورائه ، والزحام الشديد فى كل مكان ، والحقائب الثقيلة على ظهور التلاميذ ، والشرطة التى لا تهتم إلا بما تخصصت فيه ، فلا يتحرك رجل المرور لإلقاء القبض على لص لأنه « غير مختص » إلا أن هذا هو الجانب السيىء فى مصر ، فماذا عن الجانب الجيد ؟ .. بالطبع لسنا فى معرض إظهار الجوانب المشرقة فى حياة المصريين ، لأننا لن نحصيها .. ولكن

(١) قام بنشر ترجمة كلمات الأغنية فى بريد الأهرام عدد ١١ مارس ١٩٨٧ ، المواطن معتز محمود مجدى .

اهتمامنا منصب على إظهار أن هذه الأغنية فى حد ذاتها واحدة من أسوأ الدعايات الصهيونية ضد مصر والعرب لما كان لها من سرعة على الانتشار ولما للأغنية بصفة عامة من قدرة على إختراق الحاجز العقلى الذى يمنع دخول الأكاذيب .

وبما أننا بصدد الحديث عن المواد الدعائية التى يتكرر عرضها بالتليفزيون[1] وتسوء إساءة بالغة إلى العرب فإن الوقت قد حان للإشارة إلى برامج الأطفال الكرتونية التى يهتم كل الصغار فى أمريكا بمتابعتها بصفة خاصة وغيرها من البرامج بصفة عامة ، حيث دلت الاحصائيات على أن الشبان الصغار فى أمريكا يقضون $\frac{1}{5}$ أوقاتهم أمام جهاز التليفزيون وعند تخرج الشباب الأمريكى من المرحلة الثانوية يكون قد أمضى أمام التليفزيون من عمره ضعف ما أمضاه فى فصول الدراسة (١١ ألف ساعة فى حجرات الدراسة مقابل ٢٢ **ألف** ساعة أمام التليفزيون) **وتتمثل خطورة تشويه صورة الانسان العربى أمام الأطفال فى أن الطفل يستوعب كثيراً من هذه المفاهيم المغلوطة ، ثم تنتقل معه انطباعاته الطفولية التى اكتسبها من خلال وسائل الإعلام ، خاصة التليفزيون ، إلى مرحلة الشباب ، ثم إلى مرحلة النضج والرشد ، ونتيجة لهذه التعبئة الإعلامية المستمرة كشفت إحدى الاستفتاءات مدى الجهل والافتراء المغروس فى أعماق الشبيبة الأمريكية ، حيث جاءت تعريفاتهم للعرب أنهم شعب همجى وحشى مولع بالحرب والقتال ، واسع الثراء ، مستعبد للنساء .**

إن الطفل الأمريكى يربى ــ منذ نعومة أظافره ــ على كراهية العرب أو على الأقل احتقارهم ، فمن خلال برامج الأطفال الكرتونية المنوعة فى التليفزيون يشاهد الطفل أبطاله المحبوبين وهم ينتصرون على هؤلاء العرب الأشرار وينقذون العالم من مكائدهم وشرورهم ، فهذا ، « وودى بيكر » يحشر جنياً عربياً داخل قمقمه ، و« بوباى » يستعرض عضلاته المعهودة فى تأديب شيخ عربى يرتدى لباس الذئب . وهذا « الرجل المطاطى » يقذف بيضة فاسدة فى وجة أحد السلاطين

---

(١) عن صورة العربى فى التليفزيون الأمريكى تم الاستعانة بمقالتى د . جاك شاهين : (العرب فى التليفزيون الأمريكى ، مقال بمجلة «الجيل» ــ عدد يناير ١٩٨٥ ص٢٦ ــ ٣٣) و (الشخصية العربية فى التليفزيون الأمريكى ، مقال بمجلة العرب الكويتية ــ العدد ٣٤٠ مارس ١٩٨٧ ــ ص ١٨ ــ ٢٢) .

العرب ، وهذا « بوركى بيج » يلقى بأحد العرب فى برميل الشراب وهذان « لافيرن » و« شيرلى » يحبطان محاولة أحد الشيوخ العرب لغزو أمريكا وتدمير العالم . وهذان « لوريل » و« وهاردى » ينقذان بطلة المسلسل من جناح الحريم المحجوزة فيه .. بينما يحجز المصريين « مورك » و« موندى » فى إحدى حجرات الأفاعى داخل الأهرامات . وعندما يحاول ساحر عربى تحويل « سكوبى دو » إلى قرد ينقلب سحرة عليه فيتحول العربى نفسه إلى قرد .

ولعلنا نلاحظ أن جميع هذه المسلسلات الكرتونية ــ المعدة أصلًا للأطفال ــ لا تخلو من تقديم هذه الشخصية العربية بشكل استفزازى ساخر ، وكأن البلاهة والحماقة والخبث صفات عربية أصيلة .

إن بذور هذه الكراهية والاحتقار التى تحرض الدوائر الإعلامية الغربية لدوافع صهيونية بحتة على بثها لدى الأطفال تنمو مع الطفل الأمريكى وتنتقل معه الى مرحلة الشباب ليلاقى هذا الأمريكى فى برامجه الجديدة ــ من مسلسلات إجتماعية وبوليسية وكوميدية ــ ما كان يشاهد وهو صغير عن تلك الشخصية العجيبة :

فهذا هو « **ستيف أوستن** » يجبر بالتهديد على تسليم بعض القنابل النووية إلى أحد الدبلوماسيين العرب الذى يحاول فى مؤامرة سياسية خلع ابن عمه عن العرش، لكن مستر « أوستن » استطاع فى اللحظة الأخيرة إنقاذ البشرية من براثن هذا العربى الخطر .

ــ **وفى إحدى عروض المصارعة** نفاجأ بأسماء عربية يطلقها هؤلاء المصارعون على أنفسهم مثل (أكبر) و(الشيخ الحديدى) الذى يبدأ ــ حالة صعوده إلى الحلقة ــ بالصراخ والهتاف لروسيا وشتم أمريكا ثم ينهى تصريحه السياسى بالبصاق على الأرض ، وعلى الجماهير أيضاً ، ومصارع آخر يبدأ العرض بالتهام دجاجة حية أمام الجمهور . أنها صور مؤذية حقاً لخلق الانطباع لدى الجمهور بأن من يمارس هذا العمل الهجمى هم العرب فقط ، ثم يأتى صوت المعلق من بعيد قائلاً إن هؤلاء يمارسون المصارعة حباً فى القسوة والتعذيب .

ــ فى مسلسل « **فيغاس** » رأى المشاهدون شيخاً عربياً شريراً يملك منزلًا

يقوم على حراسته عدد من الحرس الفاسدين الذين تساووا جهلًا وقبحاً وسمعوا تونى كورتيس (أحد الزبائن) المداومين فى فيغاس يهدد بمحاربة الشيخ ، ويقول لصديقه : « إن الحرب الأخيرة دامت سبعة أيام ،لكن هذه الحرب لن تدوم غير ساعات قليلة » إنها التهيئة التى يبتغيها الإعلام الصهيونى للحرب ضد العرب . وفى حلقة أخرى من المسلسل يصور العربى بأنه وحش جنسى مولع بشقراوات أمريكا .

ــ إن الصراع بين الشيوخ هو الموضوع الرئيسى فى مسلسل« **من المجرم** »؟ حول ارتفاع سعر النفط ، وهو يعرض مجموعة من العرب العاملين فى التآمر وعدداً من قُساة القلوب العاملين فى ميدان تطوير النفط . أما الشخصية الصالحة فهى ضابط الشرطة الملازم هورتيز الذى يتأثر بالقوى المسيطرة .. وإذا ما سحب الخصى « عبدالله » سيفه قال له هورتيز : « قل له أن يضع هذا العود جانباً ، نحن هنا فى « بيفرلى هيلز » لا فى الصحراء » . ثم إن المسلسل لا ينسى أن يبالغ بالثروة والشهواتْ الجنسية العربية ، فنجد أن الشيخ كليم يشترى خمس طائرات ، أربع منها لزوجاته والرابعة، والخامسة لشقيقه الذى يسقط الشيخ صريعاً على يديه بعد ذلك .

ــ وفى إحدى حلقات « **ملفات روكفورد** » يبرز المسلسل أسرة عربية متحجرة القلب ، عديمة الرحمة والشفقة . وحين يعلم « روكفورد » بوجود علاقة عاطفية بين صديقه « سيسن » وفتاة عربية متزوجة يحذره قائلًا بأنه لا يريد رؤيته معلقاً رأساً على عقب ، (والعرب يتسلون بنكش أسنانه) ، وحين يكتشف الأب العربى هذه العلاقة يعقد مجلس العائلة محاكمة صورية عاجلة ويحكم بالموت على هذه الفتاة العربية ، ويشاهد أحد أفراد الأسرة ونسخة من القرآن الكريم أمامه وهو يصرخ قائلاً : يجب أن يكون التنفيذ فى بلادنا وليس هنا ، وتدفع الفتاة قهراً إلى طائرتهم الخاصة ، لكن « روكفورد » .. وبحيلة ما يدبر إجراء تفجير متعمد تستطيع الفتاة على أثره الهروب مع « روكفورد » ويموت عند ذلك الأب بنوبة قلبية . ولا عزاء له من المشاهدين .

ــ وفى مسلسل « **الفتيات الأمريكيات** » نجد مجموعة من كبار أصحاب الأعمال

الدوليين الأثرياء يشترون الصبايا فى مزاد علنى لنقلهن إلى بلاد أخرى لا يعلمها غير الله ، وليس بين هؤلاء الأثرياء العاملين فى هذا الميدان غير ثرى واحد فقط تظهر هويته بوضوح وهو عربى على نفس طراز العربى الذى ظهر فى مسلسل «**فيجاس**» حيث كان يغوى الفتيات الأمريكيات ثم يخدرهن ليتم تسفيرهن إلى الجزيرة العربية !

ـــ وتتكرر هذه القصة المزعومة فى مسلسل آخر ، حيث يتصدى «**فاكلاود**» لمجموعة من المهووسين العرب الذين يختطفون إحدى ملكات الجمال ، فى أثناء احتفالات المسابقة . لكن «فاكلاود» يحررها ومن معها من جناح الحريم التابع لذلك العربى البدين الذى يفضلهن شقراوات صغيرات . وتتكرر نفس الفكرة فى إحدى حلقات «المرأة الشرطية» حيث يتم خطف الحسناوات الصغيرات للاحتفاظ بهن جوارى أسيرات فى أجنحة الحريم ، وإذا لم تذعن الفتاة لسيدها العربى حدث لها أحد أمرين : الموت قتلاً ، أو أن توصم بالعار مدى الحياة بوسمها بالحديد المحمى .

إن مثل هذه المسلسلات تهدف إلى ترسيخ خرافة العربى «تاجر الرقيق» وإلى تأكيد أن جميع النساء العربيات متخلفات ، يعشن فى أجنحة الحريم ويرتدين الحجاب ويرجمن بالحجارة لأتفه الأسباب .

ـــ وفى إحدى حلقات «**تشيبس**» نشاهد سائقاً عربياً أرعن يحاول رشوة الضابط الذى حرر له مخالفة مرورية ، وحين يرفض الضابط بإصرار نرى الشاب العربى يعلق مستغرباً «إن ذلك شيء عادى فى بلادى» . ثم لا ننسى كيف أن «بونش» استطاع تأديب هذا الفتى وأعطاه درساً فى آداب المرور ، واحترام القوانين ، وبأن الصداقة شيء لا يشترى بالمال .

ـــ وفى مسلسل «**مساء فى بيزنطة**» ، نجد العرب إرهابيين قساة ، ورغم أن القصة الأصلية التى أخذ منها المسلسل ـــ للكاتب أروين شو ـــ لا تأتى تماماً على ذكر العرب ، إلا أن المسلسل المأخوذ عنها يعتمد فى بنيته الدرامية على مجموعة إرهابية باسم (PLF) ولما كانت هذه المجموعة من العرب فإن من الواضح أن الغاية من التسمية هى الإشارة إلى الجمع بين منظمة التحرير الفلسطينية (PLO) وجبهة

التحرير الشعبية (PFLP) . وفيما نجد أن قصة «ايروين شو» تتناول الحب ، نجد النص المتلفز يتمحور حول نص عنوانه «نهاية العالم» إن أغنياء العرب وزعيم الـ (PLF) يعملون لشراء النص . هنا نجد ثلاثة أشخاص على سيماهم ملامح الخنازير يمثلون ثلاثة شيوخ ، بحيث يصح القول بأن الصورة العربية لم يصبح لها مثيل إن كانت أسوأ من ذلك .

يعرض العرب شراء النص من المؤلف (الذى يمثله جلين فورد) بما يزيد عن ثمانية ملايين دولار عن الثمن المطلوب.، يتردد «جلين فورد» ثم يقترح الشيخ الأول «كال» إدخال تعديل على نهاية النص فيقول لجلين فورد ليكن الحافز الذى يسبب المحرقة النهائية غامضاً مبهماً ، ليكن المثير أحد أبرز خزانات البارود الكبرى الموجودة فى عالم اليوم ، أى الصراع العربى الإسرائيلى» ، عند ذاك يثور جلين فورد ويقول : «هل تعنى بذلك أن الإسرائيليين هم الذين يسببون نهاية العالم ؟!» لينفى بذلك مثل هذه التهمة عن إسرائيل . واعتقاداً منه بأن العرب أشرار غلاظ القلوب يراقبون الأفلام ويحذفون منها ما يريدون ، يذهب غلين فورد وهو يقول «أريد أن أستنشق الهواء» !

وفى وقت لاحق يعود وكيله ويحثه على بيع النص للعرب ، لكنه يرفض قائلا : «إن الشيء الوحيد الذى يرضيهم هو السيطرة الكاملة على الصورة» غير أن الوكيل يرد عليه «لا تقلق لذلك ، ما هم سوى شيوخ من أغنياء النفط ولذلك يريدون أن يلعبوا مع نجمة سينمائية ، إننى أعرف محامياً فى «كان يضع اتفاقية تكون صغيرة الحرف حتى أن تجار الجمال هؤلاء لن يستطيعوا أن يقرءوها» .

ثم ينتهى مسلسل «مساء فى بيزنطة» بأن تقوم المجموعة الإرهابية (PLF) بقتل عشرات الأبرياء فى دار للسينما فى «كان»، كذلك يجرى على أيدى رجالها نسف عدد من الطائرات المتوجهة إلى أمريكا ، إن هذه المجموعة مصممة على قتل المزيد من الأمريكيين ، كما أنها تتهيأ لالقاء قنابل ذرية على «لوس انجيلوس» و «نيويورك» و « واشنطون العاصمة» ، لكن جلين فورد يتمكن ، لحسن الحظ ، أن يوقفها فى الوقت المناسب .

إن «مساء فى بيزنطة» واحد من أكثر المسلسلات التى تصور العرب

كمبتزين وإرهابيين وشيوخ أغناهم النفط ، كما أنهم أحد الأطراف التى ستسبب فى نهاية العالم !

ـــ **إن** موضوع المحرقة الذرية هذا فى حرب العرب على **أمريكا** والعالم ، **يظهر** فى مسلسلات أخرى أيضاً ، فالعرب يهددون بإبادة ٢٠٠,٠٠٠ **أمريكى** فى إحدى حلقات مسلسل «**الرجل ذو الستة ملايين دولار**» كما أن دبلوماسياً عربياً يعرض العالم للدمار بتحطيم كمبيوتر واق من الذرة فى إحدى حلقات مسلسل «المرأة الخارقة» .

ـــ وفى المسلسلات الكوميدية المثيرة يكون العرب عادة موضوع السخرية والهمز واللمز ، فالسخرية من كل شئ عربى حملها بوضوح مسلسل هزلى شعبى عنوانه «**يوم واحد دفعة واحدة**» حيث لم يسبق أن شاهد أحد مثل هذه السخرية الفريدة فى أى مسلسل آخر غير هذا المسلسل الذى يحتج فيه مجموعة من الشباب **الأمريكيين** على وصول عربى إلى المطار .. إن المنتج لهذا المسلسل واحد من أكثر المسئولين عن إهانة العرب فى مسلسل عنوانه «كل شئ يلمع» وقد عرض فيه امرأة عربية شريرة هى أكثر النساء قبحاً ومجوناً وتهريجاً . كما أنه المنتج لمسلسل آخر صور فيه العرب يعملون بالتعاون مع المافيا من مكتب فى سيارة ، كما أنتج بالاضافة إلى ذلك مسلسل «مستر دوغان» الذى رفضت محطة (سى . بى . اس) أن تبثه .

ـــ ومن المسلسلات التى يبدو فيها **الإنسان** العربى غريب الأطوار مسلسل «**الفريق الأول**» ، ومسلسل «**داينستى**» و «**مات هوستون**» و «**السيارة العجيبة**» وهناك مسلسلات أخرى ظهر فيها حوار عدائى ضد العرب ، أعنفها مسلسل «**القرصان**» ومسلسل «**توافه**» و «**إليس**» ، «**كن أنيقاً**» و «**طرزان**» حيث كان العرب فى حلقاته يقتلون النساء الملونات والرجال الملونين ، ويبيعون صغار الملونين رقيقاً ، ومسلسل «**ملائكة تشارلى**» الذى تظهر إحدى النجوم فى المسلسل تقوم برفض هز البطن تقليداً لنساء عربيات .

إن النماذج التليفزيونية كثيرة ، ويصعب على أى دارس لها أن يحصرها ، **ولكن ملاك القول أن التليفزيون الأمريكى ممثلاً فى عدة شبكات تليفزيونية رئيسية**

تهتم بإنتاج الأعمال الدراميةوتمتنع عن تقديم الصورة الإيجابية للعرب ، وتعمد بدلاً من ذلك ، إلىترسيخ الأسطورة القائلة بأن لا وجود لعرب مبدعين أو إنسانيين ، وإلى استمرار مثل هذه الأكذوبة .

إن مثل هذه الأكذوبة تعزف على منمناتها وسائل إعلامية صهيونية أخرى ، فإذا تركنا السينما والتليفزيون وانتقلنا إلى **الصحافة** ، لوجدنا أن أغلب الصحف المملوكة لليهود ــ وهى كثيرة ــ وكبرى ــ ومنتشرة فى كافة أنحاء أوربا والولايات المتحدة الأمريكية ، تشن هجوماً علنياً ضد العرب ، لكن أكثر الهجومات حدة ما حدث من صحيفة **الصن Sun** اللندنية اليومية واسعة الانتشار فى شهر مايو ١٩٨٦ حيث نشرت «كاريكاتورا » يصور مجموعة من الخنازير وهى تتظاهر بغضب أمام مطابع واينغ (التى تصدر عنها الصحيفة اللندنية) بينما يقول الشرطى الذى يحرس البناية : «**المشكلة هى أن الخنازير تحتج على تسميتها عرباً» !!**

وقبل فترة من صدور «الصن» وبها هذا الكاريكاتور المهين للعرب ــ أيما إهانة ــ كانت قد صدرت وهى تحمل عنواناً رئيسياً فى صفحتها الأولى يقول :

«**خنزير عربى يتسلل عائداً إلى بريطانيا ، اركلوه إلى الخارج**» والمقصود مواطن ليبى عاد إلى بريطانياً اتهمته الصحيفة بالانتماء إلى مجموعة الليبيين الذين رحلتهم السلطات البريطانية من أراضيها أثر حادث مصرع الشرطية البريطانية إيفون فليتشر أمام السفارة الليبية فى ابريل ١٩٨٤ .

وحتى حينما استاء أحد المواطنين البريطانيين من هذا العنوان « العنصرى » الذى يشتم العرب دونما تمييز وقدم شكوى إلى مجلس الصحافة البريطانى الذى يشرف على التزام الصحف بالقواعد والأخلاق المهينة ــ أصدر المجلس ــ بعد بحث وتداول فى موضوع الشكوى ــ حكمة بأن عنوان «الصن» لم يكن عنصرياً !! وقد جاء فى تبرير هذا القرار العنصرى : «صحيح أن العنوان كان مسيئاً ومُهيناً ، وذلك ما قصد به فعلاً ، وصحيح أن الصحيفة اتخذت فى هذا العنوان موقفاً بعيداً عن الموضوعية المطلوبة فى كتابة العناوين ، «**إلا أن عبارة «خنزير عربى» مع أنها**

شديدة ، ليست عنصرية فى اعتبار المجلس وبالتالى لن يصدر حكم زجر بحق الصحيفة »[1] .

وهكذا فإن مجلس الصحافة البريطانية مع اعترافه بالإساءة والإهانة المقصودة للعرب ، إلا أنه يرى أن هذا لا يحتوى على أى عنصرية لان إهانة العرب أمر عادى . وهو ما حدا بالصحيفة بعد هذه ــ التبرئة ــ إلى العودة إلى نشر هذا الكاريكاتور عن «الخنازير التى ترفض أن تكون عرباً» !

لقد أصبحت الإهانات الموجهة إلى العرب والتى تدمغهم بأحط وأقذر الأوصاف أمراً عادياً لا يستحق حتى توجيه الأجر إلى أى صحيفة ، فصورة العربى فى الصحافة الصهيونية صورة مشوهة عن إرهابيين يظهرون فى صورة :

« رجل يعتمر فى الكوفية والعقال ..

يضع على عينيه نظارتين سوداوين ..

يحمل فى يدة خنجراً لماعاً ..

يكشر عن أسنانه استعداداً لالتهام أيًّا كان » .

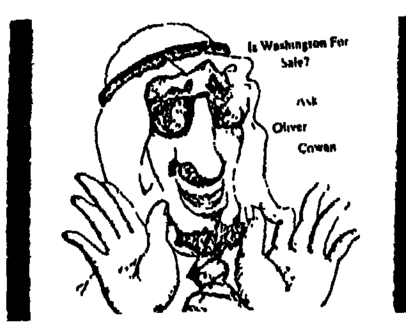
وعن أثرياء مبذرين لا يبحثون إلا عن النساء وعن شراء الولايات المتحدة الأمريكية ! **إن فكرة شراء الولايات المتحدة كثيراً ما تعمد الصحافة الغربية إلى تأكيدها لإثارة حفيظة المواطن الأمريكى الذى سيشعر وكأن بلاده تتعرض للاحتلال التدريجى من العرب** ، ومع أن غالبية المستثمرين بالولايات المتحدة والذين يهتمون بشراء العقارات هم هولانديون وبريطانيون وكنديون وألمان ، أما العرب فدورهم فى هذا الإطار صغير جداً ويكاد يكون لا أثر له ، إلا أن التركيز على العربى بالذات فيه توجيه مقصود لإظهاره بمظهر «الغبى» الذى شاءت إرادة الأقدار أن تهبط عليه ثروه البترول من السماء ، وذلك بأن تفجرت فى أراضيه ينابيع البترول فسال الذهب أنهاراً من تحت يديه ، فأخذ يبدده كما تشاء له أهواؤه وشهواته وغرائزه الفجة ، بل وكما يشاء له طمعه ورغبته فى الاستيلاء على ما لدى من هم أفضل منه من ناحية التقدم التكنولوجى والعلم الحديث . ومن هذا

---

(١) فارس المنصورى : « **عنصرية جديدة ، تحليل فى الدوافع والأهداف** » مقالة بمجلة العربى الكويتية العدد ٣٣٦ ــ نوفمبر ١٩٨٦ ص ٦٢ ــ ٦٥

المنطلق ، راحت وسائل الإعلام الغربية تركز على شهوة العربى فى شراء القصور والعمارات والمؤسسات ، بل صورته بأنه يحاول شراء «واشنطن» نفسها ، وفى هذا الصدد نشرت مجلة «مشترى البيوت» الأمريكية التى تصدر فى واشنطن إعلاناً بعددها الصادر بتاريخ ١٩٨٥/٢/٩ ، وارفق هذا الإعلان بصورة عن «العربى البشع» ، والإعلان يقول : «هل واشنطن للبيع ؟ أسألوا اوليفر كاون ، فهو يعرف» .

وأوليفر كاون هذا ، هو وكيل لمكتب بيع عقارات مشهور فى واشنطن اسمه «ميريل لينج رياليتى» والإعلان يتضمن دعاية لكفاءة الشركة وقدرتها والتى لم تجد ــ لتعلن عن ذلك ــ خيراً من صورة العربى الملتحى والذى تبدو عليه معالم الثراء والدهاء ، وزجاج نظارته يعكس صورة الدولارات التى لا يرى إلا بها ومن خلالها[1] .



صورة اعلان نشرته مجلة مشترى البيوت الامريكية لتحاول أن تقنع الرأى العام الأمريكى بأن العربى (لاحظ علامة الدولار على النظارة) سيشترى أمريكا .

ولا تتوقف « بشاعة العربى » على رؤيته إلى الدنيا من خلال «أموال البترول» ولكن تركز الدعاية الصهيونية على خرافة المستغل لأسعار البترول والمتحكم فى أسعار البنزين داخل الولايات المتحدة وهى الخرافة التى تربطها الصحافة الصهيونية بالمشاكل الاقتصادية والاجتماعية التى يعانى منها رجل الشارع

---

(١) من مقال «امتداد النفوذ اللوبى الصهيونى : حملة تشنيع كاريكاتورية ضد العرب» ــ مجلة التضامن العدد١٠٦ بتاريخ ١٩٨٥/٤/٢٠ ، مصطفى الدباغ : الحرب النفسية الإسرائيلية ــ مرجع سابق ص١١٠ .

ولا تتوقف « بشاعة العربى » على رؤيته إلى الدنيا من خلال «أموال البترول » ، ولكن تركز الدعاية الصهيونية على خرافة «المستغل لأسعار البترول» والمتحكم فى أسعار البنزين داخل الولايات المتحدة» وهى الخرافة التى تربطها الصحافة الصهيونية بالمشاكل الاقتصادية والاجتماعية التى يعانى منها رجل الشارع فى الولايات المتحدة (كالبطالة وارتفاع الأسعار والتضخم) بحيث يتم تحميل العرب المسئولية عن تلك المشكلات ، حتى أنك لو سألت رجل الشارع الأمريكى عن سبب مشكلة ارتفاع اسعار الوقود فى وطنه لوجدت الإجابة وبسرعة : إن العرب مسئولون عن ذلك الارتفاع فى الأسعار .

وهكذا تعمد الصحافة الصهيونية إلى عرض صورة أو صور مجموعة من وزراء النفط العرب فى أحد اجتماعات الأوبك جنباً إلى جنب مع أخبار زيادة أسعار الوقود داخل الدول الغربية ، وليس المقصود من هذه الدعاية إظهار العداء لدول الأوبك ، بل العداء للعرب ، بدليل تعمد عرض صور وزراء البترول العرب فقط دون أى وزراء آخرين من وزراء الأوبك . وتجدر الإشارة إلى أن منظمة الأوبك وهى المتحكمة فى أسعار البترول على المستوى العالمي ليست مسئولة فعلاً عن ارتفاع أسعار الوقود فى الدول الغربية ، بدليل أن الأسعار التي يدفعها المستهلك الأمريكى أو الأوربى لشراء وقوده لم تنخفض انخفاضاً حقيقياً حتى بعد انخفاض أسعار البترول العالمية إلى ما يقارب النصف ، فالذى يسرق دولارات المستهلك الغربى هى الشركات البترولية الكبرى المسئولة عن استيراد البترول من دول الأوبك وبيعه بعد ذلك فى السوق الداخلية لبلادها وليس دول الأوبك .

وثمة أوتار أخرى كثيرة تلعب عليها الصحافة المؤيدة لإسرائيل فى الغرب ، منها على سبيل المثال إظهار غدر العرب بالترويج للقصص الرمزية التى نختار منها هذه القصة الرمزية التى نشرتها صحيفة الصنداى تايمز فى أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ ، ومفاد القصة أن عقرباً أرادت عبور أحد الأنهار فطلبت إلى ضفدع على ضفة النهر أن تحملها إلى الضفة الأخرى ، غير أن العقرب عندما رأت تردد الضفدع أكدت لها بأنها لن تستجيب لإغراء اللسع لأن ذلك لابد وأن يؤدى

إلى هلاكهما معاً ، وهكذا امتطت العقرب ظهر الضفدع التى أخذت تسبح بها إلى الضفة الأخرى من النهر ، ولكن ما أن اقتربت الضفدع من الضفة حتى شعرت بلسعة العقرب ، وسرعان ما بدأت الضفدع والعقرب يشعران بالغرق ، فشرعت الضفدع بالنقيق وهى تتساءل : « لماذا فعلت ذلك ؟ لماذا ؟! » أجابت العقرب وهى تصيء والصيءهو صوت العقرب) : ولماذا تعجبين ياصديقتى ؟ أليس كلانا عرباً ؟» !

إن القصة الرمزية تشير إلى بشاعة الغدر العربى الذى لا يقدر ـــ حتى للأصدقاء لا مصلحتهم فقط ، ولا مصلحة الطرفين معاً ـــ ولكن يأبى إلا أن يدمر الأصدقاء مع الذات أيضاً انطلاقاً من دونيه شوفينيه لم تعرف لها الأجناس البشرية مثيلاً !

على أن استغلال الأحداث الجارية هى أكبر وأهم الوسائل والأساليب التى تعتمد عليها الصحافة الغربية لإظهار « الإرهاب العربى » . وتكمن خطورة هذه الوسيلة فى أنها أكثر شبهاً « بالنهر الجارى » إذ تتدفق أخبار كثيرة يمكن من خلالها إدانة العرب بالإرهاب بصورة ثابتة . **قد يكون الحادث عارضاً أو عادياً ، لكن التضخيم الإعلامى ، والتركيز الإعلامى يخلق منه خنجراً يوجه إلى صورة العربى التى تترسخ يوماً بعد يوم لتصبح حجر أساس فى تعامل الإنسان الغربى مع العالم العربى .**

ولا تعنى كلمة الأحداث الجارية ، الأحداث التى تقع داخل الوطن العربى ، وإنما الأحداث التى تقع فى أى مكان من العالم بما فى ذلك الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد حدث عندما تم عرض المسلسل التليفزيونى الأمريكى المعنون «الجذور» **The Roots** لمؤلفه «إليكس هيلى» وكان ذلك عام ١٩٧٨ والذى يسرد حياة الأمريكان السود ، أن بادر اللوبى الصهيونى بالإيعاز إلى عناصره باستغلال هذا المسلسل بطريقة «ضد العرب» ، وفى اليوم التالى ظهرت جريدة **The Maneherter Union leader** فى مقالة بعنوان بارز : «العرب مستمرون على تجارة العبيد كنتيجة لزيادة عائدات النفط» وكتب هذا المقال رى ساول ، وقد حقق هذا العنوان وبالتالى المقالة بشكل عام شيئين أساسيين : أولهما إقران

العرب بالتخلف والهمجية وممارسة العبودية والتسلط ضد مواطنيهم مع التأكيد على ما سبق وأن اتهمت به السينما الصهيونية للعرب من أنهم تجار الرقيق ، وثانيهما : تذكير المستهلك المواطن فى أمريكا فى أن السبب فى ارتفاع أسعار وقود سيارته هم هؤلاء «العرب تجار العبيد» ، ومالكى النفط !! وقد كان لاستغلال حدث عرض مسلسل الجذور ، مردودات إعلامية كبيرة وخاصة أن الرأى العام الأمريكى كان مهيأ للدخول فى مناقشة موضوع «العبيد والعبودية» من خلال عرض هذا المسلسل فى عموم الولايات الأمريكية .

ومن بين الأحداث الجارية التى تستغل كل عام داخل الولايات المتحدة الأمريكية حدث «عيد رأس السنة الميلادية حيث يتم عرض برنامج «الولد الطبال الصغير» The Little Drummer Boy ، حيث يُقتل الشاب اليهودى بواسطة عربى ، وذلك لإظهار اليهود بأنهم ضحايا أبرياء للهمجية العربية والقتلة العرب . ومع أن كل دول العالم تشهد جرائم القتل بما فى ذلك الولايات المتحدة الأمريكية التى وقع بها أكثر من ٢٣ ألف جريمة فى سنة واحدة هى سنة ١٩٩٠(*) ، الأمر الذى يجعل من أمريكا - أمة من القتلة — إلا أن جريمة القتل تلك — التى ترد فى سياق البرنامج — تستمر فى استدرار العطف عاماً بعد عام !

ولا يتوقف استغلال الأحداث الجارية على مجرد عرضها ، ولكن «التعريض» بها هو أهم الصفات التى تجتاح المعالجة الصحفية للأنباء الواردة من الوطن العربى أو التى تهتم بأخباره ، ويتم التعريض بالأخبار بعدة طرق نذكر منها : التلاعب الذكى والخفى فى استخدام المفردات اللغوية ، فعلى سبيل المثال[1] لا الحصر عندما حضر السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية إجتماع الأمم المتحدة المشهور فى عام ١٩٧٤ ، ظهرت فى اليوم الثانى عناوين مختلفة تتصدر الصفحات الأمامية للجرائد اليومية ،وكان أشهرها تأثيراً وأذكاها تكتيكاً صحيفة «دالاس» فى ولاية تكساس ، التى خرجت بعنوان قصير — يحمل روح

(*) الأهرام عدد ١٩٩١/٣/٢٣ وذلك بمعدل جريمة كل ٢٢ دقيقة !

(١) د . جابر عودة العبيدى: العرب فى وسائل الإعلام الأمريكية ، مقال بمجلة آفاق عربية العراقية ، العدد ٧ السنة ٩ — مارس ١٩٨٤ . ص ٩٧ .

الدس والعداء ـــ ولكن بشكل خفى وغير مباشر ـــ عندما وضعت فى المقدمة الـ Headling[1] جملة «ومنظمة التحرير الفلسطينية دعيت لقصف المناقشات PLO invited to Raid Debates وما لبثت وسائل الإعلام المرئية والسمعية أن قامت فى التركيز على محتوى هذه الجملة ، متهمين زعيم منظمة التحرير الفلسطينية فى كونه شخصاً (مخرباً) و (دموياً) وقد حضر إلى نيويورك لتخريب الأمم المتحدة وقلب جلساتها النظامية إلى فوضى واضطراب !

وثمة طريقة أخرى «للتعريض» بالأخبار الواردة عن العرب ، ويتم فى هذه الطريقة «قولبة» المصطلحات والأسماء والمفاهيم الواردة بالخبر حتى لا تعكس حقيقة الصراع العربى ـــ الإسرائيلى ، وذلك بتشويه هذه المفاهيم بحيث لاتضيف إلى المعلوم الذى يمتلكه الرأى العام إلا ضبابية واختلاط الزيف بالحقيقة ، ويشيع استخدام هذه المصطلحات المقلوبة ، بين القراء ـــ والمشاهدين ـــ فى أمريكا نتيجة لاستعمالها يومياً من قبل القنوات الإعلامية ، وفيما يلى بعض تلك النماذج :

ـــ حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ يطلقون عليها (حرب الأيام الستة) ، لتذكير المواطن الأمريكى بالانتصار الجبار الذى حققته إسرائيل الصغيرة على جيوش الدول العربية فى مدى زمنى قياسى (ستة أيام) .

ـــ حرب أكتوبر ١٩٧٣ يطلقون عليها (حرب يوم خابور) وذلك للتغطية على الانتصار العربى الواضح للجيش الإسرائيلى ولتبرير هذا الانتصار بأنه تم فى يوم كانت كل إسرائيل فى حالة استرخاء نتيجة الاحتفال بيوم «خابور» أى «الغفران» .

ـــ الأراضى العربية المحتلة يسمونها (الأراضى المأسورة) وذلك للتخفيف من فكرة الاحتلال الإسرائيلى لهذه الأراضى العربية .

ـــ الخليج العربى يسمونه بـ «الخليج الفارسى» وذلك لإعلاء شأن إيران فى مقابل الحط من شأن الدول العربية المطلة على نفس الخليج .

---

(١) غالباً ما يوصف العرب فى هذه المقدمة (العنوان الرئيسى) بالإرهابيين .

ـــ الأقطار العربية يسمونها الأمم العربية وذلك لدحض فكرة القومية العربية التى تجمع الاقطار العربية جميعاً فى أمة واحدة ذات تاريخ ولغة وروابط ثقافية واحدة وتخضع لمصير مشترك .

ـــ الفدائى العربى الفلسطينى يسمونة (المخرب الفلسطينى) وذلك للتغطية على نضاله المشروع من أجل استرداد أرضه ووطنه السليب .

وتترافق هذه التعمية الإخبارية مع نوع آخر من التعمية ينتشر فى المقابلات الصحفية ، والتليفزيونية أيضاً ، إذ يعطى وقت أطول ـــ أو مساحة أكبر ـــ إلى الممثل الصهيونى أو من يتحدث مع الكيان الصهيونى ليشرح فيها فكرته ويدعم حجته المساندة لوجهة النظر الإسرائيلية ، وعلى العكس تماماً ما يحدث مع العربى ، وهذه السلوكية تمارس يومياً وبخاصة وأن المركز الإعلامى الفلسطينى يحاول أن يستغل كل الفرص للظهور والتحدث عبر القنوات الإعلامية الأمريكية إلا أن الفشل يكون حليفه دائماً ، أضف إلى ذلك ، أن المذيع الذى يجرى مقابلة العربى ـــ إلا ما ندر ـــ عادة يكون من الصحفيين والتليفزيونيين غير المعروفين ، بينما نلاحظ إعلاميين معروفين مثل «والتر كرونكايت» أو «دان راذر» أو «برابرا والتر» أو «بيير سيلنجر» أو «بيل سيمونز» يقوم بإجراء التحقيقات التليفزيونية والمقابلات الصحفية مع الشخصيات اليهودية والصهيونية .

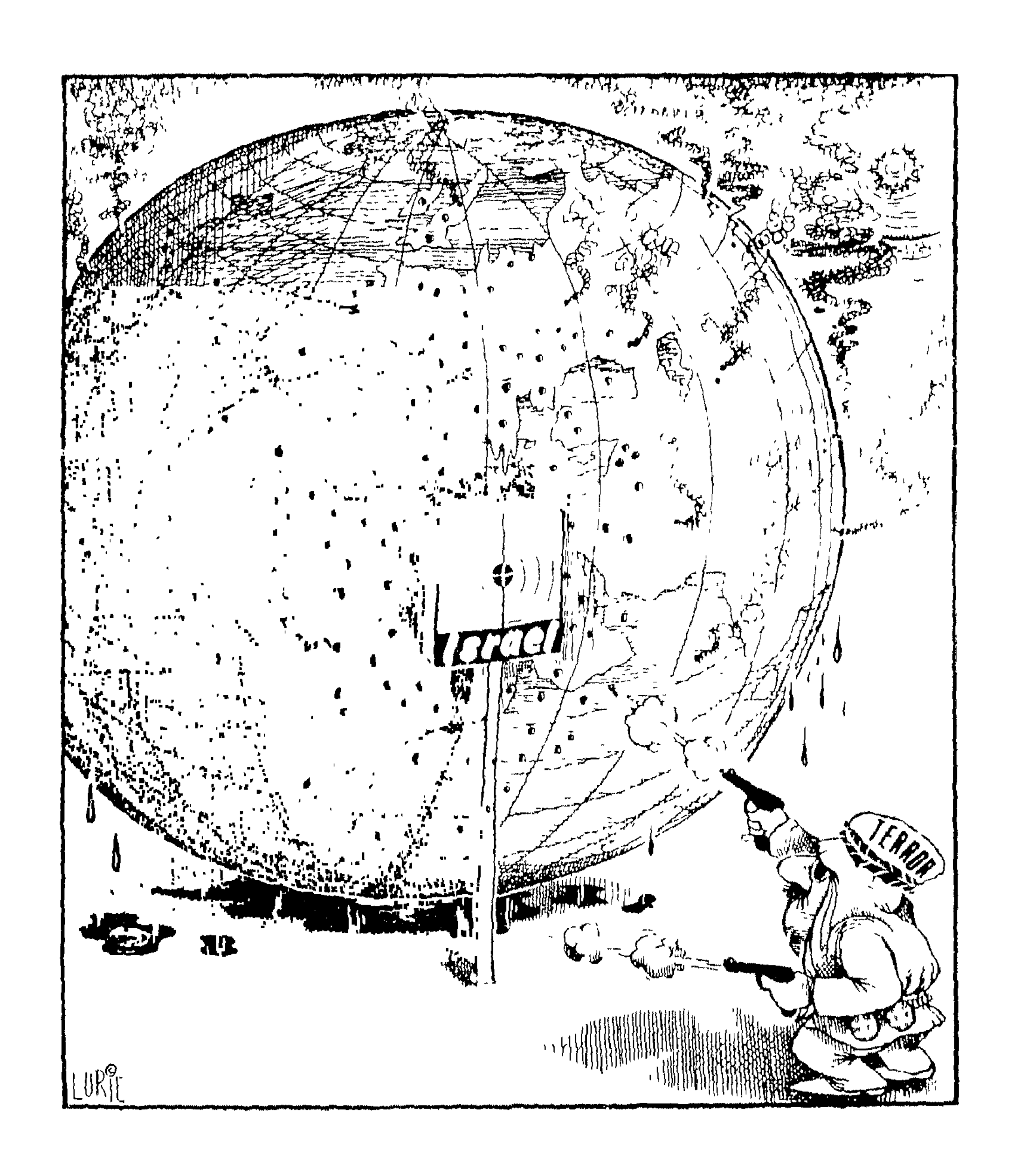
وهكذا نجد أن الصحافة الأمريكية تعتمد فى تغطيتها للمواضيع والأخبار التى تخص العرب إلى الحط من قدر العرب فى وقت لا تعتمد نفس التكتيك حينما تتعامل مع الجانب الصهيونى فيكون من نتيجة ذلك أن سيل الأحداث الجارية يتم مزجه بسيل آخر من الزيف عند العرب الذين يوضعون دائماً خلف مدفع الإرهاب لإبراز أنهم هم الإرهابيون الذين يهددون بإرهابهم لا إسرائيل فقط ، ولا امريكا معها . ولكن المعسكر الغربى بأكمله ، وحيث يقف العرب على نفس الجانب الذى كان يقف فيه السوفيت «الأشرار» قبل الإنهاء الرسمى للحرب الباردة بين المعسكرين الشرقى والغربى ، أما من هو فى مواجهة مدفع الإرهاب ، فهو دائماً وأبداً الاسرائيلى «الغلبان» و «المغلوب على أمره» ! وليس مهماً أن كان

العربى على حق والإسرائيلى على باطل ، فازدواجية العدالة الأمريكية أمر واقع ، وقد حدث سنة ١٩٨٥ أن قام بعض الفلسطينيين باختطاف السفينة (اكيلى لورا) فاهتزت مشاعر الصحافة الغربية وأشارت بحدة إلى الإرهاب العربى ، فلما اختطفت الولايات المتحدة خلال نفس الفترة الطائرة المصرية المتجهة إلى تونس فى قرصنة جوية لم يستبق لها مثيل إلا من جانب إسرائيل ، فإن الصحافة الغربية استدارت ١٨٠ درجة لتشيد بهذه القرصنة الجوية وترى فيها نوعاً من البطولة وراحت تشيد بقرار اختطاف الطائرة الحكيم(١) والصادر عن قيادة ذكية ومخابرات أذكى استطاعت تحديد الطائرة المصرية من بين عشرات الطائرات التى تمر بالممر الجوى فوق البحر الأبيض المتوسط ، مع أن القضية لا تحتاج مثل هذا الذكاء الذى يشاد به ، إذ أجبرت الولايات المتحدة دولة تونس على عدم استقبال الطائرة المصرية ، الأمر الذى اضطر الطائرة المصرية إلى الاستدارة للعودة ، وهكذا تم تحديد موقع الطائرة المصرية بعد متابعة رادارية مألوفة فى مثل هذه الحالات ، أنها الطائرة التى استدارت تحديداً من بين عشرات الطائرات التى تسير فى طريقها الاعتيادى .

وتتضح خطورة وسيلة استغلال الأحداث الجارية حين تعمد الصحافة الصهيونية إلى استغلال بعض التهديدات العربية والوعيد العلنى — الأجوف — بتدمير إسرائيل ومن عليها ، حيث تزايد وتهول وتضخم من التصريح العربى وتعود لتعزف على نغمة «إسرائيل» الجزيرة الصغيرة المحاطة ببحيرة من العرب الذين يحاولون ابتلاعها ورميها فى البحر ، ومع هذا العزف تنهمر دموع التماسيح الصحفية لتستدر العطف على الشعب اليهودى الذى عانى من اضطهاد النازى فى

---

(١) تجدر الإشارة إلى الناطق باسم البيت الأبيض «**لارى سبيكس**» قد أحال المراسلين الصحفيين الذين أرادوا الاستفسار منه عن خطف أمريكا للطائرة المصرية إلى قراءة عناوين الصحف الأمريكية مثل «**النيويورك بوست**» حيث صدرت الصحيفة أثر الحادث بالعنوان التالى : «**شكراً لله فقد كسبنا [والمقصود الأمريكيين أو نحن اليهود] جولة**» بينما كان عنوان «**نيوز داى**» : إخطفوهم .. وكان عنوان صحيفة ثالثة : أيها الإرهابيون ، باستطاعتكم الهرب ، ولكن ليس باستطاعتكم النجاة .. إلى آخر مثل هذه العناوين التى تمجد العمل البطولى الأمريكى . والغريب أنه لم يبق من خطف السفينة الإيطالية سوى صورة اليهودى العجوز المقعد تطلق فى رأسه رصاصة فيلقى قتيلًا ويقذف فى البحر لتأكله الأسماك ، وهى الصورة التى حفلت بها سائر صحف الغرب ، بينما ضاعت صورة الاختطاف والقرصنة الجوية لدولة مقابل قرصنة أفراد !



كاريكاتير عن الأثار السيئة للإرهاب العربى على العالم يتعرض له العالم كله ، والهدف اسرائيل !!

الماضى ـــ وهى أكذوبة سبق لنا وأن فندناها ـــ ويعانى اليوم من الاضطهاد العربى ، حيث يريد « الغول » العربى أن يبتلع « الحمامة » الإسرائيلية الوديعة ! العربى « البشع » يريد أن يدمر الإسرائيلى « المتمدين » ، وكلما زاد معدل انهمار دموع الأقلام الصحفية الغربية ، زاد انهمار المساعدات على الدولة الإسرائيلية التى تحاول الصحافة الغربية تجميل صورة أبنائها وجعلها أكثر اتساقا وتناسقاً . أما المساعدات فهى كثيرة ، مالية ، عسكرية ، سياسية ، ومعنوية .

وقد حدث أثناء أزمة الخليج أن استغلت الصحافة الغربية تصريحات حمقاء للرئيس الأحمق « صدام حسين » هدد فيها بإبادة نصف إسرائيل ، فراحت تتسابق فى التضخيم من قدرات العراق النووية ، وبشاعة الأسلحة الكيمائية التى يمتلكها العراقيون .

والدارس لنبض الإعلام الصهيونى قبل نشوب القتال الفعلى لمعارك حرب الخليج ، يجد أن الصحافة الغربية قد ضخمت عن عمد من قدر القوات المسلحة العراقية ووضعتها فى ترتيب رابع قوة مسلحة على مستوى العالم ، وذلك لإيجاد مبرر لضرب هذه القوات والنزول بها من مرتبتها الرابعة إلى مرتبة دنيا لا تهدد الأمن العالمى .. كما أنها ضخمت من حجم التيار الأمريكى المناهض لمشاركة الولايات المتحدة الامريكية فى مستنقع الخليج وذلك بهدف إعطاء الرئيس العراقى ـــ الأحمق(١) ـــ طعماً يدفعه إلى التمادى فى تحدى الولايات المتحدة اعتماداً على عدم قدرتها على الدخول فى نزاع مسلح ضد « صدام » .

هذا جانب .. من جانب آخر فقد راحت الصحافة الغربية خاصة الألمانية منها فى الهجوم العنيف على شخص صدام حسين وأمثاله من العرب ، وتشبهه بالدكتاتور النازى أودلف هتلر ، وراحت تلك الصحافة تعقد المقارنات غير العادية بين الشخصين هتلر وصدام حسين ، وكلاهما أصبح لعدة أسابيع ينشر جنباً إلى جنب فى إطار واحد ، وذلك قبل أن تنشر مجلة ديرشبيجل الألمانية صورة لصدام حسين وهو يمسح رءوس الأطفال وهى صورة أكدت المجلة أنها تنطبق

---

(١) تعرض صدام لحملة تضخيم غربية تناولت شخصه ونفخت فيه : أقوى رجل فى العالم . صاحب رابع جيش .. الرجل القادر على سحق جيوش كل دول الحلفاء الذين يفصلهم عن الكويت حائط رملى أقوى من « ماجينو » .. و .. ولأن صدام حسين أحمق ، فقد بلع الطعم ورفض الاستجابة لنداءات السلام .

بكل تفاصيل لغة الجسم البشرى على صورة هتلر وهو يداعب أحد الأطفال منذ خمسين عاماً .. وعلق عليها الصحفى الألمانى الشهير «انسين بيرجر» قائلاً بأن الخطوط متطابقة بين صدام وهتلر بحيث لا يعتبر صدام نموذجاً للطغاة فحسب مثل ماركوس وفرانكو وشاوشيسكو ، وإنما يعتبر تكويناً بشرياً قادراً على استنفار الشعب للموت بشرط أن يكون هو آخر من يموت ، وقالت المجلة أن كل من صدام وهتلر فى الواقع يتلذذ بالموت كأسلوب حياة وأسلوب حكم ، ويجد دائماً أساساً ، دوافع لتحقيق نزعة العدوان لديه ضد الجنس البشرى بأكمله .



صوره نشرتها المجلات والصحف الصهيونية تقارن فيها بين الديكتاتورية النازية والديكتاتورية العربية حتى فى ملاطفة الأطفال .

ولقد كان من نتيجة التضخيم والتقبيح الزائد عن الحد لصدام حسين ، حيث راحت جميع الرسوم الكاريكاتورية ترسم صداما بالملامح الرئيسية لهتلر — كالشنب وتسريحة الشعر — أن ساءت صورة العرب فى أمريكا ودول أوربا حتى أن المدارس والجامعات التى يدرس بها العرب أصبحت مجالاً للمعارك ضد العرب الذين لا تربطهم بوطنهم الأم أية صلة ، إضافة إلى كونهم ليسوا مسئولين عما جرى هناك . وحدث أن الغربيين أخذوا يتهجمون على العرب ويشتمونهم فى التليفون ويقاطعونهم ! وقد انعكست الحملة الصحفية الغربية الواسعة النطاق ضد كل ما هو عربى بدورها على الأطفال فى المدارس الغربية فأخذوا يعلقون شعارات على الجدران بسقوط الملونين والمسلمين مصدر الخراب والدمار ! وتعرضوا بالضرب لكل طفل يحمل اسم صدام[1] !

(١) ويجدر الاشارة إلى أنه تم تصوير الصراع بين صدام وبوش بالصراع بين فرانكشتين ورامبو . وفرانكشتين هو صدام حسين الذى يهدد شعوب العالم ، ورامبو هو أمريكا بقوتها الأليكترونية وأسلحتها المتقدمة . مما أعطى التشبيه بُعداً أقبح لصدام والعرب .

أما أثناء معارك حرب الخليج فقد وقف الإعلام الصهيونى والغربى بقوة إلى جانب دولة إسرائيل ، وذلك باستغلال العدوان العراقى على إسرائيل ، بهدف أنها تضحى بعدم الرد على الصواريخ العراقية حتى لا تضر بالتحالف الغربى والعالمى ضد العراق ، وأوضح الإعلام الصهيونى أن إسرائيل تضبط نفسها قهراً وغصباً ، وأنها ــ لو ترك الأمر لها ، أو الود ودها أن ترد ، ولكنها تضحى ــ وتلك أسطورة من أكبر أساطير حرب الخليج ــ من أجل الرغبة الأمريكية وعشان خاطر عيون أمريكا .. وقد كان من نتيجة ترويج الإعلام الأمريكى والصهيونى لهذه الأسطورة أن كسبت إسرائيل عطفاً كبيراً وتعاطفاً عظيماً من الرأى العام العالمى وخففت من صورتها كدولة عدوانية أمامه .

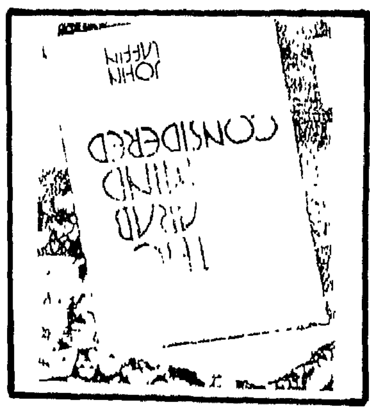
أما بعد الحرب فقد ركزت الصحافة الغربية والصهيونية على الإساءة إلى العقلية العربية مرددة الادعاء الإسرائيلى بأن العقلية العربية تساوم فى السياسة كما يفعل العربى فى البيع والشراء ، وبأنهم لا يأتون إلا بالضغط ، «اضغطوا عليهم يتراجعون» ! .. ولكن الخطأ فى هذه المقولة أنها أخذت من حالة شخص واحد ــ صدام حسين الذى كان يساوم للحصول على المزايا قبل أن يستسلم ــ وطبقتها على المجموع ــ أى أنها عممت السيئة وخصصت الحسنة وتلك قاعدة جد خاطئة .



العرب كما تراهم أمريكا

وإذا تركنا الكلمة المرئية والمسموعة والمقروءة بالصحف الإخبارية وانتقلنا إلى الكلمة المقروءة فى غيرها فإننا نفاجأ بسيل كبير من الزيف عبر الدراسات والمجلات والرسوم الكاريكاتورية والكتب المدرسية ، حيث تشكل جميعاً ، وكلاً على حدة ، صورة للعربى العابس ، القذر ، الخطر ، المعقوف الأنف ، الإرهابى ، الجبان ، البدوى المتخلف ، الهمجى الدون ، وما إلى ذلك من ألفاظ

كانت تنسحب قبل أقل من قرن على اليهودى ، فإذا باليهودى الصهيونى ، ومن ورائه المسيحى الصهيونى ، يقلب هذه الصفات ويلقى بها على الشخصية العربية ! ليذمها ذماً كان المسيحيون من قبل يذمون به اليهود الذين حل عليهم اليوم الرضا المسيحانى فبدأ يبث الإعجاب بالشعب اليهودى ! ويذم فى الإنسان العربى تخصيصاً والشعوب العربية تعميماً .



غلاف الكتاب الذى يسئ إلى العرب



صور كاريكاتورية تسئ إلى الشخصية العربية لأهداف صهيونية

ولعل أسوأ أنواع الذم ذلك الذى يتظاهر بالمدح ، وأشد ضروب الكراهية هو ذلك الذى يتخفى وراء قناع من الحب ، وأقوى أسلحة القتل هو ذلك الذى يدعى أنه يتسلح بسلاح العلم المجرد ! ونقصد بذلك الدراسات العلمية التى تنتشر فى الغرب وتحاول أن تعكس للقارىء الغربى صورة الشخصية العربية من منظور تدعى أنه مجرد من كل هوى بينما هو فى الواقع يهدف إلى محو جميع الصفات الجيدة من ذهن المواطن الغربى ليبقى فقط على كل رذيلة ونقص ليلصقه بالعرب .

ومن بين هذه الدراسات والكتب التى تسير وراء منطق الذم المغلف بالمدح والكراهية المختفية وراء الحب ، والدسيسة المقنعة بالعلم ، كتاب عنوانه « **العقل العربى تحت الفحص** »[1] وعنوانه الفرعى الذى ينبغى أن ننتبه إليه جيداً فهو « الحاجة إلى الفهم » وهذا العنوان الفرعى يعنى أن الكتاب أساساً موجه لقراء من غير العرب ، ويهدف إلى مساعدة هؤلاء القراء على فهم العقل العربى على نحو أفضل ، لكن القراءة الفعلية للكتاب تبين لنا أن المؤلف « جون لافين » كان يرسم خطة متعمدة لها هدف عكسى تماماً ، وأنه لم يترك فرصة للتشويه والتضليل واستغلها إلى أقصى حد[2] .

فى أول الأمر يبدو كل شىء طبيعياً ، فالمؤلف الذى يدعو إلى فهم صحيح للعرب يتخذ فى أول فصول كتابه موقف التعاطف معهم ، ومظهر هذا التعاطف فصل كامل يصف فيه بإسهاب تسامح الحكم العربى فى أسبانيا ، والأثر الثقافى والاجتماعى والاقتصادى الهائل الذى تركه العرب فى أوربا من خلال اتصالات حدثت فى جهات متعددة أهمها شبه الجزيرة الأيبيرية ، ويشير إلى ذلك الإنجاز الهائل الذى حققه العرب لأول مرة فى التاريخ ، وهو توحيد أقاليم تمتد من حدود الصين شرقاً حتى فرنسا غرباً ، وتكوين مجتمع واحد من ثقافات كانت من قبل متصارعة ، هى ثقافات البحر المتوسط والشرقين الأدنى والأوسط . على أن هذه

---

(1) John laffin: The Arab mind considered. A Need for understanding. Taphing Publishing company. New York, 1975.

(٢) انظر مقال : محاولة لفهم العقل العربى ، بقلم الدكتور فؤاد زكريا ، المنشور ضمن كتابه : « **خطاب إلى العقل العربى** » . منشورات كتاب العربى ـــ العدد ١٧ ـــ اكتوبر ١٩٨٧ ص ١١٢ ـــ ١٢٣ .

البداية التى تبدو متعاطفة ، سرعان ما تنقلب إلى أحكام متسرعة شديدة القسوة على العقل العربى ، والثقافة العربية وكل ما ينتمى إلى حاضر العرب بأية صلة ، وأغلب الظن أن هذا التعاطف الأول كان يهدف إلى تغطية الحملة الشعواء التى أعقبته ، بحيث يكتسب الكتاب ، فى نظر القارىء الذى يفتقر إلى الوعى الكافى ، مظهر الموضوعية . وتصبح الأحكام القاسية التى ستظهر فيما بعد أكثر قابلية للتصديق ، أى أن المدح هاهنا يهدف فى النهاية إلى زيادة فعالية الذم ، وأن هذا العسل الذى بدأ به الكتاب يختفى خلفه السم .

أما مصدر هذا السم ، باعتراف الكاتب نفسه ، والذى يقول عنه ناشرو الكتاب بأنه «اكتسب شهرة لدى كلا الجانبين (العربى والإسرائيلى) بأنه كاتب موضوعى» ـــ فهم العلماء الإسرائيليون المتخصصون فى الشئون العربية فى جامعات القدس وحيفا وتل أبيب ، حيث يصفهم بأنهم : « أحسن من يعرف العرب ، وأفضل من يعتمد عليهم فى ميدان المصادر الأكاديمية» !!

وأول صفة يحرص المؤلف على أن يلصقها بالعرب هى صفة العنف . وهو يحاول منذ البداية أن يثبت وجود جذور تاريخية قديمة لهذه الصفة ، فيخصص لطائفة الحشاشين الذين كانوا يستخدمون القتل وسيلة للضغط السياسى حيزاً كبيراً من تلك الصفحات القليلة التى عرض فيها موجزاً سريعاً لتاريخ العرب . وهو حيز لا يتناسب على الإطلاق مع الوضع الهامشى لتاريخ الطائفة فى إطار التاريخ العربى . ولكن الهدف من هذا الاهتمام الزائد واضح كل الوضوح ، وهو إيجاد رابطة بينهم وبين الفلسطينيين المعاصرين الذين لا يكف طوال كتابه عن تسميتهم بالإرهابيين حتى يقتنع قراؤه بأن العنف والقسوة طبع أصيل ، قديم العهد ، فى الشخصية العربية .

وهكذا يتحدث المؤلف عن العنف كما لو كان صلاة أو عبادة عند العرب ، ويقدم أوصافاً مسهبة لما يسميه بالفظائع التى ارتكبها العرب مع الجنود الفرنسيين الذين وقعوا أسرى فى أيديهم فى شمال افريقيا ، متناسياً بذلك بديهيات أولية يعرفها رجل الشارع العادى ، فالعالم كله يعرف أن الاستعمار الفرنسى فى شمال أفريقيا قد ارتكب ، طوال أكثر من ربع قرن ، من الفظائع ما لا تقاس إلى جانبه أية أعمال عنف يقوم بها المحاربون !!

على أن المؤلف لا ينجح على الإطلاق فى إخفاء هدفه الحقيقى من إلصاق تهمة العنف بالعرب بل أنه يصرح بهذا دون مواربة حين يعقد مقارنات مضللة بين العرب والإسرائيليين فى هذا الميدان ، فهو يخصص فصلاً كاملاً للحديث عن موقف العرب من إسرائيل ، مؤكداً أن الهدف الحقيقى للعرب هو «تصفية» إسرائيل وإبادتها مستعيناً فى ذلك بأقوال تنتمى كلها إلى الفترة السابقة لحرب أكتوبر ١٩٧٣ ومتجاهلاً التحول الجذرى الذى حدث فى موقف دول عربية كثيرة بعد هذه الحرب .

ومع أن المؤلف قد أشار فى فصل سابق إلى ولع العرب بالبلاغة والألفاظ الرنانة والمبالغة الكلامية والكفاح بالخطب بدلاً من الجيوش ، إلا أنه رفض أن ينظر إلى بعض تصريحات القادة العرب ـــ اتساقاً مع رأيه السابق ـــ على أساس أنها من قبيل المبالغة اللفظية أو على أنها تصريحات ذات أهداف وقتية سياسية غالبيتها للاستهلاك المحلى .

ويتصف العرب فى رأى «جون لافين» ـــ بمجموعة من الصفات السلبية التى يقوم بعرضها دون أية محاولة لتقديم دليل حقيقى على وجودها ، فالعرب كذابون بطبيعتهم ، إلا أن العربى ـــ كما يحاول أن يقول المؤلف متفهماً لهذه الصفة المرذولة ومفسرها لها ـــ «لا يعنى ما يقول إلا فى اللحظة التى يقول فيها . فهو ليس كذاباً بدافع الشر ، وليس فى العادة كذاباً متعمداً ، وإنما هو كذاب بطبعه» ! ثم يفلسف فكرته فيقول : «بالنسبة إلى العربى يمكن أن تكون هناك أكثر من حقيقة واحدة عن الشيء الواحد ، تبعاً لنوع اللغة المستخدمة» !

أما نظرة العرب إلى النساء فيلخصها المؤلف بقوله : «إن العربى خطر على النساء المنتميات إلى جنسيات أخرى . فكثير من الفتيات الغربيات اللاتى يعملن فى شركات كبرى لها فروع فى البلاد العربية ، قد تعرضن لاعتداءات همجية واغتصبن . ومن المستحيل على المرأة أن تسير ليلاً فى طريق عام دون أن تتعرض لخطر داهم ، بل أن قيادتها لسيارتها وحدها فيه صعوبة لا يستهان بها» !

ويقول المؤلف بأن العرب يتسمون بإحساس كاذب بالوقار . يحول بينهم وبين الاستمتاع بالحياة «إن الإحساس الحاد بالوقار يمنع العرب من إظهار أى نوع

من الطيش» ولذا فإن الضحك نادر . كما أن العربى إنسان حزين» .

وآخر هذه النماذج التى يحكم بها المؤلف على العرب تأكيده بأن العربى يفتقد إلى الشخصية الفردية نتيجة لاعتماده على أسرته ونظراً لأنه لم يستقل عنها بعد ، فإنه لا يعتمد على نفسه ولا يستطيع حل مشكلاته الخاصة . كما أنه لا يستطيع أن يفكر بنفسه أو يستخدم قدرته على التصرف المستقل ، فاستقلال الذهن ليست لذة عنده تمثل قيمة خاصة .

وهكذا يعتبر كتاب «العقل العربى تحت الفحص» نموذجاً لكتب أخرى كثيرة لكتاب غربيين يزعمون الموضوعية رغم تعمدهم تقديم مغالطات تنم عن افتقار شديد إلى هذه الموضوعية ، وليست مجموعة الأحكام التى عددناها فى هذا الكتاب إلا نموذجاً لنمط لا يمكن وصفه بأنه نادر بين هؤلاء الكتاب . فالكاتب حين يصف العربى بالكذب ينسى أن مجموعة أحاديث السياسيين فى بلاده ، ووعود المرشحين فى انتخابات أعرق البلاد «الديمقراطية» تشكل نموذجاً للكذب يندر أن نجد له نظيراً. وحين يتحدث عن خطورة العربى على النساء الأجنبيات ، يغفل الحقائق التى يعرفها الجميع عن المجتمعات الغربية والأمريكية بوجه خاص . حيث تحولت البيوت فى المدن الكبرى إلى قلاع محصنة وحيث تقوم المخاطر الجسيمة حول كل من يجازف بالسير فى الشوارع بعد الغروب سواء أكان رجلاً أم امرأة ، وينسى أن الأجنبيات هن أول من يعترفن بأن الإحساس بالأمان يزيد فى المجتمعات العربية عنه فى المجتمعات الغربية بكثير[1] . وحين يتحدث عن حزن العربى ينسى أن المرح الشرقى صفة مشهورة وإن علو الصوت فى الضحك الصادر عن القلب من الصفات التى تميز الإنسان العربى بوضوح وحين يأبى على العربى أن تكون له شخصية فردية معللاً ذلك بأن اندماجه فى الأسرة يقضى على استقلاله ينسى أن الاستقلال المبكر عن الأسرة قد خلق للإنسان الغربى مشكلات نفسية واجتماعية هائلة يشكو منها كل باحث فى نفس هذه البلاد . وأن التماسك والتكافل العائلى فى المجتمع العربى من أبرز السمات التى يتحسر عليها زوار هذه المجتمعات من الأجانب . ولكن ماذا نقول فى الرغبة فى الإساءة إلى العرب ؟!

---

(١) تشير آخر الإحصاءات عن وقوع ١٠٠ ألف حادث اغتصاب داخل الولايات المتحدة خلال عام ١٩٩٠ بمعدل ١٢ حادثة اغتصاب كل ساعة : (**الأهرام عدد ١٩٩١/٣/٢٣**) .

إن معزوفة «الإهانة» التى تعزفها الأوتار الصهيونية ضد الإنسان العربى لم تتوقف لدى كل ما مضى من إهانات سينمائية وتليفزيونية وكاريكاتورية وصحفية ، بل تعدت ذلك إلى قواميس اللغة حيث نجد أن تعريف العربى فى «موسوعة مريام وبستر» هو :

«متشرد ، ابن شارع ، منحرف ، فارغ ، زبالة ، وأزعر»(١) فهكذا ، بكل بساطة يتحول العربى بكل تاريخه وإسهاماته فى الحضارة الإنسانية وبكل الظلم الذى يحيق به فى هذه الموسوعة إلى مجرد إنسان قبيح جداً جداً .

والواقع أن الأمر لا يقتصر على موسوعة مريام وبستر ، إذ يتلاحظ لنا فى دائرة المعارف البريطانية تشويها للتاريخ العربى ، متمثلاً فى سيرة رسول الإسلام محمد (ﷺ) إذ تقول وتردد عنه الأخطاء التالية :

ــ أن محمد (ﷺ) مارس تعدد الزوجات لأنه كان يريد مولوداً ذكراً .

ــ أن المسلمين يعبدون محمداً (ﷺ) .

ــ أن محمداً (ﷺ) أراد أن يكون أعظم الأنبياء .

فإذا كان هذا هو حال الموسوعات ودوائر المعارف العالمية ، والكتابات العلمية الموسومة «بالموضوعية» فهل نتوقع أن تكون صفحة المجال الأدبى الروائى بيضاء ناصعة وخالية من أى إهانة للعربى ؟ . عن الإجابة يقول جانيس ج . تيرى(٢) : إن مؤيدى إسرائيل أدركوا مدى تأثير الرواية الجماهيرية كوسيلة لدعم التعاطف مع إسرائيل مثلما فعل ليون يوريس فى رواية «الخروج» التى تصور الكفاح فى سبيل تأسيس دولة إسرائيل وهذا مثال صارخ على قدرة الرواية على التأثير . فقد كان للصيغة الدرامية قوة الواقع فى التأثير على الرأى العام .

وفى المقابل فإن تصوير العرب والمسلمين ووصفهم بالتخلف والجشع

---

(١) مجلة كل العرب ، العدد ١٥١ بتاريخ ١٩٨٥/٧/١٧ ، الحرب النفسية الإسرائيلية ص ١١٨ .

(٢) نقلًا عن كتاب «الرؤية المشققة **split vision** شقوق فى صورة العرب عند الأمريكيين» للأستاذ أدموند غريب . مجلة العربى الكويتية العدد ٣٠٤ ــ مارس ١٩٨٤ ص ١٣٤ ــ ١٧٥ .

والشهوانية والشر وانعدام الإنسانية إنما يجعل منهم كبش فداء مريح فى الرواية المعاصرة التى تتناول موضوعات مستقاة من الشرق الأوسط .

Aquiculture n'syn HYDROPONICS, nutriculture aquiver adj. syn TREMULOUS, aquake, quaking, quivering, shaking, shaky, shivering, trembling, tremorous, tremulant

---

arab n syn VAGABOND, clochard, drifter, floater, hobo roadster, street arab, tramp, vag, vagrant //2 syn PEDDLER, // duffer, hawker, higgler, huckster, monger, mongerer, outcrier, packman, vendor

---

arable adj suitable for tilling and for growing crops — used their arable and intensively
syccultivable, cultivatable, tillable
rel fat, fertile, fruitful, productive
corbarren, sterile, unfertile, unfruitful unproductive abitter n syn JUDGE 1, arbitrator, referee, umpire remoderatoi arbitrary adj characterized by or given to willful and often unwise or irrational choices and demands - a ncoud fitfut arbitrarvnature

تعريف موسوعة ميريام ويبستر العالمية للعربى : متشرد ، فارغ ، منحرف ، أزعر ، زبالة .

ورواية سول بيلو «إلى القدس» مثال واضح على ذلك فهى رواية تفترض تفوق الثقافة الأوربية والإسرائيلية على الثقافة العربية ، وترفض فكرة أن إسرائيل دولة عنصرية استعمارية توسعية ، ولا تلتفت إلى التجانس الدينى فى المنطقة ، والتسامح التاريخى الإسلامى ، بل تقلل من شأن الإسلام ، كما توجه اللوم للعرب وحلفائهم السوفييت بسبب تصعيد العنف فى المنطقة ، هذا دون أى تشكك فى صحة الصورة النمطية التى ترتسم فى الأذهان عن العرب الأشرار ، مما يدلل على سلبية الموقف الغربى من العالم العربى .

إن مثل هذه الروايات الصادرة عن دور نشر صهيونية يمتلكها يهود ، ومنها دار نشر «راندوم هاوس» و «سيمون آند شوستر» و «بانتوم كامبانى» التى أصدرت كتاب «يوميات حول العالم» ـــ وهو كتاب خصص فصل كامل منه لتوجيه الإهانات إلى العربى ـــ أو الصادرة عن دور نشر أخرى لا يمتلكها يهود ، وإن كانت ، لاهداف صهيونية أ أممية ، قد ركزت إصداراتها على توجيه الإهانات إلى العرب ، **هذه الروايات تنقسم إلى ثلاثة أنواع : قصص المغامرات ، وروايات الجاسوسية ، والروايات التى تدور حول النفط العربى .**

. فى **روايات المغامرات** تتم المواجهة عادة بين قوى الشر وقوى الخير ، وهكذا تصور رواية اندرو شوجار : « الفدائيون الإسرائيليون » انتصار البطل على عقبات هائلة ، وتظهر الإسرائيليين على أنهم شجعان نبلاء والعرب جبناء همجيون ، وكذلك تعرض « الدورية الاردنية » التى كتبها « ايكال ليف » العرب بوصفهم قوى خارجية أجنبية تميل للعدوان فى حين يميل الإسرائيليون إلى حب السلام ، وإلى هذه النوعية تنتمى روايتا الوحى السام والأحد الأسود .

* **أما روايات الجاسوسية** فإنها تتناول الصراع فى الشرق الأوسط على خلفية دولية وتصور العرب أشراراً والإسرائيليين أبرياء ، وهذا هو الخط الذى نلمسه فى رواية بارى شيف « الهدف الفاتيكانى » و « الجهاد » لايسر هارى ، و « خطة الموساد » للينارد هاريس ، و « خمسين » لمناحم بريجانى و « طلاح الدين » لاندرو أزموند ، و « الفقهاء » لايلى لاندو وآموس اريكا . وليس من الغريب أن يبدو العرب والروس فى مثل هذه الروايات أشراراً والإسرائيليون متفوقين .

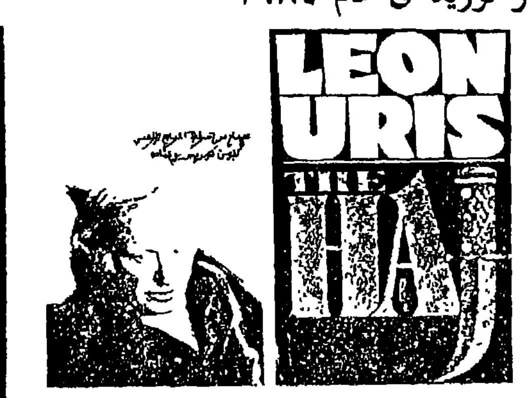
أما **النوع الثالث** ، ومن أمثلته « حافة الهاوية » لبنيامين وهربت ستاين ، و « الدبية الفضية » و « البليون دولار » لبول أردمان ، **فهو يتناول الاستثمارات المالية الدولية** ، ومقاطعة إسرائيل ، وزيادة النفط وما يصاحبها من تضخم ، والهدف الأساسى من هذا كله إحداث تأثير بأن العالم الإسلامى إنما يشن حربا اقتصادية شاملة ضد الغرب المسيحى ، وإلى هذه المجموعة أيضا تنتمى قصة **«Momo»** .

غير أن لدينا رواية واحدة تحتوى على النوعيات الثلاث السابق الحديث عنها ، وهى واحدة من أخبث القصص الصهيونية التى حيكت بحيث تبدو فيها الشخصية العربية فى أسوأ صورها ، بل هى أسوأ من السوء نفسه ! والرواية عنوانها « الحاج » ، للكاتب الصهيونى الأمريكى « ليون يوريس » . ومن غلافها تحمل هذه الرواية اتهاماً بالإرهاب والغدر ، لذا يحل محل حرف **«J»** فى كلمة الحاج **The Haj** صورة خنجر عربى ، كرمز للغدر والخناجر التى تنغرس فى الظهور فى عتمة الليل (انظر صورة غلاف الرواية المنشور ضمن صفحات هذا الكتاب)[1] .

---

(١) نقلًا عن مقال مازن البندك : الحاج إبراهيم ، هجمة جديدة على الشخصية العربية ــ مجلة الجيل ، العدد ١٢ الجمعة ٥ ــ ديسمبر ١٩٨٤ ص ١٨ ــ ٣١ .

ورواية الحاج رواية طويلة (٥٦٦ صفحة) ولا تزيد قيمتها الفنية على كتب « الألغاز » التى يقرؤها الأحداث ، بل إن بعض هذه الألغاز أكثر متعة وأكمل للقواعد الفنية . فهى رواية مسطحة تفتعل الإثارة افتعالاً ومضجرة فى أكثر فصولها ، ولكن لأنها من أولها إلى آخرها ذم وتشهير بالعرب والفلسطينيين فإن وسائل الإعلام والدعاية الصهيونية روجت لها أعظم ترويج حتى أنها أصبحت من الكتب الأكثر توزيعاً فى عام ١٩٨٤



الروائى الصهيونى الأول ــ الحائز على جائزة نوبل ليون يوريس وغلاف روائية « الحاج » التى يسئ فيها إلى العرب إيما إساءة (لاحظ حرف الـ J فى اسم الرواية)

والرواية خطيرة فى مراميها السياسية ، حيث توجه أسوأ كلماتها وأسوأ تلميحاتها للأردن والسعودية وتورد سمومها دون أى داع فنى ولكن لمجرد الشتيمة والتشهير ! وتحاول الرواية أن تؤكد أن العرب لا يملكون أى عزيمة للقتال وأن الدول العربية هى المسئولة عن إخراج الفلسطينيين من ديارهم ، وأن الحل هو التسليم بمطالب إسرائيل على طول الخط .

وبالنظر لأنه ليس بالامكان تلخيص هذه الرواية المتشعبة ، فإننا نركز فقط على المظهر السيىء للشخصية العربية داخل الرواية ، فالرواية تظهر العربى باعتباره متآمراً ، زائف الشجاعة ، كسولاً ، شكاكاً ، قذراً ، كذاباً ، حقوداً حيث ترتكز شخصيته على الانتقام والموت والجنون والخناجر التى تنغرس فى الظهور وحيث الغدر مصداقاً لما يدعيه المؤلف من أنه مثل عربى : إذا كان لك

مائة صديق تخل عن تسعة وتسعين وشك فى الأخير ! فى حين يصور الكاتب المقاومة الفلسطينية باعتبارها عصابات غوغائية وإرهابية غادرة . أما الإسلام فهو عالم غامض مخيف يدعو إلى الاتكالية والخمول .

والشخصيات العربية التى يعرضها المؤلف هى شخصيات مريضة ، متخلفة ، متناقضة ، مصابة بنوع من اللاعقلانية والشذوذ ، متعصبة ، حاقدة ! .. والشخصيات السوية الوحيدة فى الرواية والتى عاملها بنوع من العطف هما شخصية الدكتور مرحل ، الجاسوس لإسرائيل ، وإسماعيل ابن المختار (العمدة) الذى يحلم أن يصبح جاسوساً .

ويعتقد «البندك» أن الرواية كتبت بطريقة خاصة فى أجهزة المخابرات والحرب النفسية المعادية للعرب ، فقد بسطت أمام يوريس مختلف التصورات المعادية للشخصية العربية ، فى أسوأ ملامحها وعناصرها ، ثم تصرف يوريس بهذه الأنماط المعروضة عليه واصطنع منها روايته .

و «يوريس» صهيونى حتى النخاع ، ففى روايته الأخرى المعنونة الخروج (اكسودس) يبدو العربى متوحشاً ومتحدراً من جنس بربرى متدن (هابط) قياساً إلى الجنس اليهودى الراق ! ويعقد المؤلف فى «الخروج» المقارنة بين عقلية «هذا العربى» وعقلية اليهودى الغربية المتطورة ، حيث يحاول المؤلف أن يعمق الفرق بين العقليتين ومن ثم الحضارتين (لاحظ أنه لا توجد حضارة يهودية ولا جنس يهودى) والديانتين مما يجعل التعايش معهما مستحيلاً بل وممهداً بذلك لأعمال الوحشية والقتل الجماعى والإبادة التى تمارس ضد العرب لأنها تشبه عملية إبادة الهنود الحمر أو الوطنيين الاستراليين ، أو جواميس أمريكا الشمالية (البافلو) ! فالعرب فى طرح «يوريس» وأمثاله ليسوا أفضل من ذلك كله بكثير .

ويعنينا الآن أن نلقى نظرة سريعة على مضمون بعض روايات أمثال «يوريس» : —

ونبدأ بكتاب (أو رواية حيث يحتوى الكتاب على عدة مغامرات وروايات) «يوميات حول العالم» ..

وقد كتب كتاب « يوميات حول العالم » مضيفتان جويتان هما « ترودى باكر » ، « راشيل جونز » وموضوعه العام مغامرات هاتين المضيفتين فى أكثر من خمس عشرة مدينة ، وبلداً حول العالم ، وهى مغامرات ما كان لنا أن نهتم بما هو موجه فيها ضد العرب لولا أنها تعدت فى توزيع الكتاب الذى يحتويها ثلاثة ملايين نسخة داخل الولايات المتحدة الأمريكية وحدها . وقد تناولت المغامرات مدن عدة ، لندن ، برلين ، مونت كارلو ، كوبنهاجن ، موسكو .. فى إطار جميل مسل ، ومقبول الأمر الذى يدفع القارئ إلى التهامه دون أن يفطن لما قُصد فى أحد فصوله من توجيه الإهانات إلى العرب .

إن أحد فصول الكتاب عنوانه «أنا لا يهمنى ماذا تقول الأغنية ، اخرجى من خيمتى »[1] ، بعدها يبدأ الكتاب فى سرد مغامرة يفترض أن إحدى المضيفات الجويات الأمريكيات قامت بها فى مكان ما من العالم العربى يقع فى الصحراء ما بين سوريا والمملكة العربية السعودية ، وأبطالها الرئيسيون أربعة . زعيم قبيلة عربى ، وابنه ، ثم المضيفة الجوية الأمريكية ، وطيار بريطانى اسمه **« سترلنج »** . وكما تناولت الأفلام الغربية كثيراً من المغامرات المزعومة للرجل الأبيض فى أدغال أفريقيا ، فإن هذا الفصل يقدم لنا مغامرة الطيار البريطانى ومضيفته الأمريكية فى الصحراء العربية ، أننا أمام عرب همجيين وبربريين ومتوحشين من ناحية ، فى صراع ضد مغامرين غربيين متحضريين وشجعان وطرازانات من ناحية اخرى . نحن أمام فتاة جميلة وعذراء ، شاء لها سوء الحظ أن تقع ضحية اختطاف قامت به قبيلة عربية ، حيث لم يعد مفر أن يقوم رجل أبيض قادم من الغرب بإنقاذ هذة الفتاة المسكينة من براثن هؤلاء المتوحشين الذين يقودهم زعيم قبيلة لا يهتم بشئ إلا اقتناء الحريم ليرقصن له ويهززن بطونهن بينما هو فى واقع الأمر عاجز جنسياً ! ثم إنه من الجهل بحيث لا يعرف ما هى الطائرة وينظر لها على أنها طائر كبير ، ومن الجبن بحيث استطاع رجل واحد قادم من الغرب المتحضر ، أن يهزم قبيلة كاملة من العرب المتخلفين !

---

(١) قام الأستاذ محمود عوض بترجمة هذا الفصل المضاد للعرب فى كتابه « **يوميات حول العالم** » ضمن فصول كتابه : الحرب الرابعة « **سرى جداً** » مرجع سابق ، ص ٢٢٧ — ٢٦٠ .

ومع أن القصة بها الكثير من الفبركة ، بدليل أن زعيم القبيلة الذى بدأ فى أول الفصل أميا لا يعرف حتى معنى كلمة اختطاف ! نراه فجأة يتحدث الانجليزية إلى المضيفة الأمريكية مكرراً لها بشكل متعمد «أنه لشيء مكتوب» إيحاء بأنه مكتوب فى القرآن طبعاً ! وبدليل أن الأسماء التى ترد لأفراد القبيلة كلها ليست عربية ، ويكفى أن نقرأ أسماء مثل «ابن ناستوش» ، «ياشيد» ، «شالوم» هل حدث مطلقاً أن سمى عربى مسلم ابنه باسم «شالوم» !! رغم هذه الفبركة فالقارىء الأمريكى لن يتوقف عند هذه الفبركة وسيقرأ الكتاب على أن هذه واقعة محددة بأكثر مما هى صورة كاريكاتورية . إن القارىء الأمريكى بمعلوماته السطحية تماماً عن العالم العربى ، وباهتماماته الخفيفة فى القراءة وبولعه الشديد بقصص المغامرات والبطولة الفردية ، ستجوز عليه هذه الأكاذيب وهذه الافتراءات عن العرب المتوحشين ، القساة ، الهمج إلى آخر ما فى قاموس الدعاية الصهيونية ضد كل ما هو عربى .

وبعد رواية «**يوميات حول العالم**» تأتى رواية توماس هاريس الصادرة عام ١٩٧٥ «**الأحد الأسود**»[1]لتصف العرب بأنهم متعصبون دينياً ومجانين ، يستغلون التهديدات للوصول إلى أهدافهم التافهة ، وأنهم لا يحترمون الثقافة والحضارة حيث تتحدث الرواية عن مجموعة من الفلسطينيين الذين أرادوا الانتقام من أمريكا لمساعدتها إسرائيل ، فتعمد إلى محاولة نسف نيويورك ، وسلاحهم فى ذلك عبارة عن طيار بحرى أمريكى أسر فى حرب فيتنام ، وكان هو أيضاً يريد الانتقام لأنه عانى من المعاملة غير العادلة من حكومته ويحمل مشاعر الانتقام نفسها . وتزخر الرواية بأبشع الصفات التى تلتصق بالعرب كالعنف والخيانة .

إن نفس هذه الصفات السيئة تتكرر فى رواية «**الوحى السام**» لبيتر ديكنسون ، فتبرز العربى وتظهره فى صورة الإنسان المتوحش الذى لايعرف عاطفة الأبوة أو الأخوة .

أما رواية **E. Ajor** الصادرة عام ١٩٧٨ والمعنونة **Momo** **والذى سيعرف**

---

(١) الحرب النفسية الإسرائيلية ، مرجع سابق ص ١١٣ .

القارىء أنه ـــ أى العنوان ـــ اختصار ودلالة على اسم الرسول الكريم محمد (ﷺ) فتدور أحداثها حول امرأة يهودية تشرف على حضانة للأطفال غير الشرعيين ، من بينهم الطفل العربى محمد حيث ينشأ ويكبر ويعشق هذه المرأة التى احتضنته ، ثم تكتشف من خلال مجرى الأحداث أن والد محمد هو أمير نفط عربى يأتى ليبحث عن عشيقته القديمة ، وهى اليهودية حاضنة محمد ، فيتعرف على الوقائع الأخيرة بعد أن يرى ابنه ليختفى إلى الأبد حتى دون أن يدفع فاتورة حساب المطعم !! وجَلِيٌّ عن البيان التشويه المتعمد والبشع للمسلم والعربى على حد سواء ، كما تظهر الروابط والإشارات على نحو سافر مفضوح .

وإذا انتقلنا من الأدب إلى المسرح حيث تسيطر الصهيونية على عدد كبير من المسارح فى انجلترا والولايات المتحدة الامريكية . فمن المسرحيات التى تفوح منها رائحة الخبث الصهيونى فى مسرحية « القشعريرة » ـــ التى بدىء بتقديمها فى عام ١٩٨١ فوق خشبة أشهر مسارح « الوست إند » ـــ شارع المسارح الشهير فى لندن .

وتدور أحداث المسرحية حول تاجر عربى ثرى اسمه فى المسرحية « **محمد العربى** » يبذر أمواله الطائلة فى شراء أفخر الخمور ، وأغلى الهدايا لفتاة إنجليزية بغية التمتع بجسدها وإشباع شهواته الحيوانية ، إلى أن أنفق كل ماله **دون أن يظفر من** الإنجليزية اللعوب بشىء ، ثم لا يلبث أن يجد نفسه على قارعة الطريق ولم يعد فى جيبه فلس واحد .

إن إطلاق اسم « محمد » هنا ـــ كما هو الحال فى **Momo على بطل المسرحية ليس مجرد إطلاق اسم فقط ، بل قد اختير هذا الاسم بخبث شديد فى محاولة للتعرض لنبى الاسلام** (ﷺ) كما أن إطلاق اسم « **العربى** » كاسم لعائلته **يقصد** منه أيضاً التعريض بالعرب الجاهلين والمبذرين .. وهما صفتان من مجموع صفات أخرى تحويها المسرحية ضد العرب وتسمهم بالقبح[1] .

---

(١) النفوذ اليهودى فى الأجهزة الإعلامية .. مرجع سابق ص ٥٨ . وغنى عن البيان أن الكتب المدرسية الغربية تحتوى على كثير من المغالطات والتهجم على الإسلام والمسلمين وبالتالى العرب .

ومما سبق يتضح لنا أن الصهيونية العالمية . لم تترك وسيلة دعائية إلا واستخدمتها فى تثبيت صورة العربى القبيح . استغلت الإذاعة والسينما والتليفزيون والمسرح والصحف والكتب لتشويه صورة الإنسان العربى ، بيد أنها لم تكتف بذلك ، فبحثت فى جعبتها عن وسائل جديدة تتيح لها قدرة أكثر على صقل أسطورة العربى القبيح ، فكان أن ابتكرت ألعابا لتسلية ومتعة الصغار والكبار من جهة ، ودعم فكرة العربى القبيح من جهة أخرى ، واحدة من أكثر الألعاب خدمة للأهداف الصهيونية لعبة منزلية ظهرت مؤخراً واكتسحت العالم ، وأضحت اللعبة المنزلية الأولى ، إذ درت على أصحابها — الماكرين — مئات الملايين من الدولارات ، وفاقت مبيعاتها الألعاب المنزلية الأخرى مجتمعة ، وبينها ألعاب ذات تاريخ طويل وشعبية واسعة فى الغرب ، مثل سكرابل ، ومونوبولى الخ ..

وتقوم «انشغالات تافهة»[1] وهذا هو اسم اللعبة على مبدأ بسيط هو : المعلومات العامة ، فاللاعب الذى يمكن أن يتراوح سنه بين الثالثة عشرة والسبعين يلعب على خانات ملونة عديدة وعليه تحريك مركبته عبر هذه الخانات حسب الرقم الوارد فى النرد ، وكلما تحط مركبته على خانة يسحب غريمه بطاقة تحمل نفس لون تلك الخانة ، ويطلب منه الإجابة على سؤال وارد فى البطاقة ، علماً بأن الجواب الصحيح مطبوع عليها إلى جانب السؤال ، وتحتوى البطاقات على ستة آلاف سؤال منتقاة من الجغرافيا والتاريخ والسياسة والعلوم والرياضة والفنون والطبيعة وعالم التسلية . وقد أطلق واضعو اللعبة الأمريكان على لعبتهم اسماً يوحى بأنها فى عداد الهوايات أو الانشغالات التافهة القليلة الأهمية والجدية ، وذلك لتطمين الجمهور وإفهامه أن الأسئلة ليست من الوزن الثقيل ، وإنما هى خفيفة ومسلية ، ومثالية لتمضية أوقات الفراغ مع الأصدقاء .

بيد أن العربى الذى يطلع على الأسئلة فى النسخة الإنجليزية الأصلية (وهى التى ترجمت عنها النسخ الأخرى) سيجد أن عدداً لا يستهان به من هذه الأسئلة يتوخى ترويج أفكار مسبقة ذات طابع تلقينى بحت ، خاصة فيما يتعلق

---

(١) انظر مقال فارس المصورى : « عنصرية جديدة ، تحليل فى الدوافع والأهداف » مرجع سبق ذكره .

بالأسئلة المتصلة بإسرائيل وبالعرب ، فبالنسبة لاسرائيل نعثر على الأسئلة التالية :

ـــ ما هى عاصمة إسرائيل ؟ الجواب : القدس .

ولا يذكر واضعو اللعبة أن الدولتين الوحيدتين اللتين اعترفتا بالقدس عاصمة شرعية لاسرائيل هما كوستاريكا وليبيريا ، وأنهما فعلتا ذلك تحت وطأة الضغط الأمريكى الشديد .

ـــ من هو أول رئيس وزراء اسرائيلى ؟ فى أى البلاد يقع ميناء حيفا ؟ كم عدد الأشرطة فى علم إسرائيل ؟

ـــ كم عدد الرهائن الذين قتلوا فى غارة عنتيبى ؟ كم عدد الكومانـدوز الإسرائيليين الذين قتلوا فى غارة عنتيبى ؟

ـــ أين اختطف الكومانـدوز الإسرائيليين ادولف انجمان ؟ على أى عين كان موشى دايان يضع عصابته ؟

ـــ كم عدد الرياضيين الذين قتلوا أثناء دورة الألعاب الأوليمبية فىميونيخ ؟

ـــ أى رئيس وزراء إسرائيلى قضى سنتين فى معسكر اعتقال روسى ؟ الجواب : مناحيم بيجين .

ـــ .... ؟ .. ! الخ .

وفى مقابل هذه الأسئلة الموجهة التى تدور حول جغرافية إسرائيل وتتناول زعماء إسرائيل وبطولات إسرائيل نجد حفنة من الأسئلة تتعلق بالعرب :

ـــ بأى يد لا يأكل البدوى الذى يقطن الصحراء ؟

ـــ كم عدد الأنهار الموجودة فى العربية السعودية ؟ الجواب : لا توجد أنهار .

ـــ ما هى الدولة العربية الوحيدة التى بلا صحراء ؟ الجواب : لبنان .

ـــ أى دولة صحراوية تتاخم السعودية والعراق والخليج العربى ، الجواب : الكويت .

نرى فى هذه الأسئلة عزفاً واضحاً على الفكرة العنصرية القديمة التى تؤكد على صحراوية الوطن العربى وبداوة الفرد العربى ، واستكمالًا لهذه الصورة السلبية التى ترسمها الأسئلة للشخصية العربية ، نجد أسئلة أخرى تضيف تشويهاً للنضال الفلسطينى وإلى هذه الملامح الكئيبة للعربى :

ـــ من هو الشخص الوحيد الذى ألقى كلمة فى منظمة الأمم المتحدة وهو متمنطق بمسدس ؟

وطبعا الجواب معروف سلفاً ، فالشخص المقصود هو « **ذلك الارهابى السيىء الصيت** » ياسر عرفات الذى يوضع « **كإرهابى** » فى مقابل « **المناضل** » فى سبيل الحرية والديمقراطية الذى سجنه الروس فى معسكرات الاعتقال القاسية : ميناحيم بيجن !

ومن بين ستة آلاف سؤال تتناول شتى المواضيع فى التاريخ والجغرافيا والفنون والسياسة والعلوم والرياضة والطبيعة ، الأسئلة التى ذكرناها هى الوحيدة المتعلقة بالعرب والمسلمين . وليس من باب الصدفة طبعاً أن يفوز « ليون اوريس » مؤلف روايتى « الحاج » و« الخروج » اللتين أدانتا العرب بأبشع الصفات ـــ كما سبق وأن بينا ـــ بحصة الأسد بين أسئلة « انشغالات تافهة » فإنه الكاتب الوحيد الذى يتناوله أكثر من سؤال واحد ، وهو شرف لم ينله أدباء من وزن تولستوى وجوته وهوميروس وسرفانتيس ، رغم ما يشبه الإجماع على ضحالة موهبته الأدبية . وطبعاً أهم سؤال يدور حول كتب أوريس :

ـــ أية رواية من روايات ليون يوريس تتناول مولد إسرائيل ؟

لاشك أن خطورة « **انشغالات تافهة** » تكمن فى أنها تعمل فى الاتجاه المعادى المدروس والذى يرمى إلى النيل من سمعة العرب والمسلمين على صعيد العالم ، حيث صدرت هذه اللعبة فى نسخ فرنسية وأسبانية وألمانية وإيطالية وبرتغالية ويابانية وهندية إلى جانب النسخة الإنجليزية الأصلية . وفى كل نسخة من هذه النسخ التى تباع بالملايين تتكرر الصورة المعيبة للشخصية العربية ، صورة الشخصية الصحراوية التى تحيا وسط أجواء الإرهاب والاغتيال والتخلف الحضارى ،

ولاشك أن جيلًا كاملًا سينشأ فى العالم بشقيه الغربى والشرقى وهو على إيمان تام بأن القدس هى العاصمة التاريخية الشرعية المعترف بها دولياً لدولة إسرائيل الديمقراطية المحبة للسلام !!

على أن الأمر لا يتوقف عند حد خطورة الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل ، ولكنه يتعداها لما هو أدهى وأكثر خطورة من ذلك ، **فاستمرار بث الصور السينمائية والتليفزيونية المضادة للعرب يحمل فى طياته خطر تحطيم الجانب الحقيقى للشخصية العربية فى الوجدان الغربى بصفة عامة والأمريكى بصفة خاصة ، وكما قلنا فإن المشاهد الغربى أو الأمريكى العادى لا يقوى على التمييز بين الصورة التليفزيونية أو السينمائية ، والصورة الواقعية ، ومرد ذلك إلى أن التليفزيون ــ وكما يقول « جورج جيربز » عميد كلية وسائل الاتصال فى جامعة بنسلفانيا ــ يقوم الآن ، أكثر من أى مؤسسة ثقافية أخرى ، بتشكيل المعايير والقيم السلوكية الأمريكية** ، وكلما زادت مشاهدتنا للتليفزيون زادت معتقداتنا السائدة بما يقوله التليفزيون عن هذا العالم الخارجى على الرغم من أن معظم ما يعرض هو محض افتراء أو تضليل إعلامى دعائى وما يقال عن التليفزيون ، يقال ، بكثير من التحفظ ، على السينما التى تؤثر مع التليفزيون والصحافة فى شخصية العربى لتحيلها إلى « **مارد مخيف** » ترتد عن تأييد وجهة نظره جميع القوى السياسية العليا وممثليها السياسيين الذين لن يحملوا أية مشاعر إيجابية نحو العرب اعتماداً على الانطباعات التى تركتها وسائل الإعلام الصهيونية فى القاعدة الجماهيرية والتى تعبر عنها ــ بالتالى عملياً ــ المواقف العدائية المضادة للعرب داخل الكونجرس الأمريكى والتى تصل إلى قمتها حين يكون الأمر متعلقاً بصفقة سلاح مبرمة مع إحدى الدول العربية ، وتنحدر إلى أقلها حين يكون الأمر متعلقاً بمؤتمر صحفى يُزمع أى عضو بالكونجرس عقده ، اذ لا يتم ، عن عمد ، دعوة أى صحفى « **عربى ــ أمريكى** » أو أمريكى ذا أصول عربية ، لحضور مثل هذا المؤتمر ، وبالتالى حجب جانب كبير من المعلومات الصحفية ــ الغير قابلة للنشر ، وفقاً لرغبة المتحدث ــ عن الإعلام العربى الذى يبقى تابعاً لما تلوكه الاقلام الصحفية الغربية .

إن الأخطار التى يمكن أن تنشأ عن تحطيم الجانب الحقيقى بأسطورة فكرة « العربى البشع » لا تتوقف عند هذا الحد ، حد الارتداد عن تأييد وجهة النظر العربية ، ولكن تمتد لتصل إلى فقد التعاطف مع هذا البشع ، الأمر الذى يمهد لتقبل توجيه الضربات الإنتقامية ضده ، وهى ضربات مباحة يراد منها ـــ انطلاقاً مما تركته وسائل الإعلام « الأمريكية ـــ الصهيونية » فى وجدان المواطن الغربى ـــ دهس هذه « العقارب » المدعوة عرباً ، أو كبح جماح هذه « الخنازير » المسماة عرباً ، أو سلسلة وتقييد حركة هذا « الغول » الملقب بالعربى ، وطبيعى أن تكون دولة إسرائيل هى المخولة بتأديب هذا « المارد » وردعه وإيقافه عند حده ، ونفهم عند هذا الحد أن « فقدان التعاطف » تحول إلى « كراهية » !

وهكذا فإن المواطن الغربى أو الأمريكى الذى شاهد مادة دعائية مضادة للعرب على شاشة السينما ، أو التليفزيون ، أو استمع إلى إحدى المواد الإذاعية المضادة للعرب ، أو قرأ مقالًا عن هؤلاء العرب الهمج : عندما يتصفح جريدته فى اليوم التالى ، ويقرأ خبراً عن قيام إسرائيل بغارة ضد قواعد الفدائيين الفلسطينيين بجنوب لبنان ، أو أماكن تجمعهم بالأرض المحتلة ـــ وتسمى فى أمريكا بالأرض المأسورة ـــ أو ضد هذه الدولة العربية أو تلك ، فإنه سيكون ممهداً مقدماً لتقبل هذا الخبر فى إطار فهمه السابق لصورة العرب فى الشرق الأوسط : همجيون ، بربريون ، متأخرون ، يستحقون التأديب بين وقت وآخر ، وهذا هو ما سعت الدعاية الصهيونية إلى تأكيده وتثبيته حين اخترعت إسطورة « العربى القبيح » !



● أسطورة ضبط النفس

صواريخ صدام حسين استهدفت جر رجل إسرائيل إلى الحرب .

إسرائيل اعتمدت مخططاً ذكياً يتخطى ردود الأفعال السريعة والعشوائية .

* فى حرب الخليج استغلت إسرائيل الرغبة الأمريكية والغربية فى إبعادها عن الحرب .

لم تكن إسرائيل تستطيع الرد على العراق ولكن ادعت أنها استجابت للغرب .

* المنشار اليهودى يعرف من أين تؤكل الكتف الغربية والأمريكية .

مكاسب إسرائيل السياسية والمادية والعسكرية والمعنوية من إدعائها ضبط النفس .

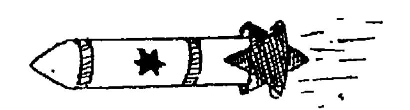
* دول أوروبا تتسابق فى منح إسرائيل معونات مادية وعسكرية .

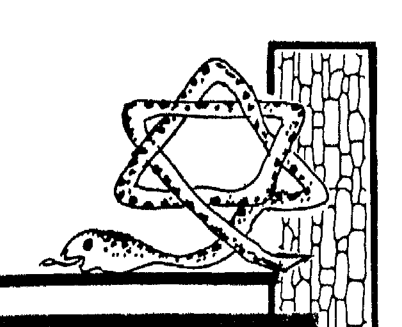
أمريكا تدعم إسرائيل بما يزيد عن ١٣ مليار دولار .

* رغم المعونات الأمريكية ، إسرائيل تنتقد أمريكا وتسفهها بشكل مخز .

* الصواريخ العراقية أعطت إسرائيل مكاسب داخلية كثيرة .

اسرائيل هى المستفيد الأول فى حرب الخليج والرابح دون أى مشاركة .





الفصـــل الخامـــس

أسطورة ضبط النفس

« إن الضرر العسكرى الذى لحق بالبلاد فى إسرائيل لا يعد شيئا يذكر .. قد تشعر الحكومة الإسرائيلية بأن المنفعة التى جنتها من ضبط النفس فى مواجهة المخاطر تستحق المجازفة »

صحيفة الاندبندنت البريطانية
(نقلا عن صحيفة الأخبار عدد ٢٩ من يناير ١٩٩١)

● أسـطورة ضبـط النفـس

عود على بدء ، فقد ذكرنا « أن الإعلام الصهيونى والغربى ، وقف إلى جانب إسرائيل ، وبقوة ، أثناء حرب الخليج ، وذلك باستغلال العدوان العراقى عليها ، بهدف إظهار أنها تضحى بعدم الرد على الصواريخ العراقية حتى لا تضر بالتحالف الغربى والعالمى ضد العراق ، وأوضح أن إسرائيل تضبط نفسها قهراً وغصباً ، وأنها لو ترك لها الأمر لكانت ترد على الصواريخ العراقية ، ولكنها تضحى من أجل الرغبة الأمريكية » .

فما هى قصة الصواريخ العراقية ؟

وهل حقاً إن إسرائيل قد ضبطت نفسها ؟ أم أنها عملت وفق استراتيجية صهيونية خبيثة ؟

وهل كان باستطاعة إسرائيل أن ترد على الصواريخ العراقية ؟

وما هى المكاسب التى جنتها إسرائيل من وراء إظهار ضبطها للنفس المزعوم أو من جراء أسطورة الإستجابة « القهرية » للرغبة الأمريكية فى عدم الرد على صواريخ العراق ؟

بداية قصة الصواريخ كان فى الثانى من أغسطس عام ١٩٩٠ حين غامر الرئيس العراقى ـــ الذى نكبت بتصرفات أمثاله الأمة العربية ـــ صدام حسين ، واحتل دولة الكويت تحت عدة دعاوى لا يصمد أيًّا منها أمام مبادىء الشرعية الدولية ، تلك الشرعية التى أكدها مجلس الأمن حين طالب بالانسحاب الفورى والعاجل للقوات العراقية من دولة الكويت . فى وقت أسرعت فيه الولايات المتحدة الأمريكية بإعلانها عن توجه قوة بحرية إلى الخليج ، وقرارها إرسال قوات وطائرات قتالية .

ورغم أن مجلس الأمن بدأ فى إصدار قرارات عقابية ضد العراق ، منها حظر

التجارة معها فى جميع السلع باستثناء الأدوية والسلع الغذائية لأسباب إنسانية ، إلا أن العراق ــ وبحسابات غبية ــ أعلن رسمياً ضم دولة الكويت باعتبارها إحدى محافظات الجنوب العراقى ، محاصراً بـ ١٢ دولة عربية ، من بينها ــ بل من أهمها ــ مصر ، إضافة إلى بريطانيا وفرنسا وعدة دول أخرى إلى إرسال قوات برية وبحرية وجوية إلى الأراضى السعودية ، لحمايتها من جهة ، ولتحرير الكويت من جهة ثانية ، وعرفت قوات هذه الدول باسم « **القوات المتحالفة** » ومع أن مثل هذه القوات المتحالفة كانت تشكل أكثر قوات العالم تسليحاً وكفاءة ، إلا أن العناد والغباء العراقى ، جعلتها تعلن عن احتجاز جميع الرعايا الأجانب لديها ، وذلك لاستخدامهم كدروع بشرية ضد هجوم هذه القوات ، الأمر الذى أثار انتقاد جميع شعوب العالم ، وأعطى للعالم قناعة على أن العراق تستحق كل ما سيجرى لها .

وراح مجلس الأمن يصدر العقوبات ضد العراق ، الواحدة وراء الأخرى ، ثم ترك له فرصة أخيرة هى انتهاء ليلة الخامس عشر من يناير بتوقيت نيويورك ، فإذا لم ينسحب حتى هذا الموعد فإن القوات المتحالفة ستتحرك لتحرير الكويت وطرد القوات العراقية منها . وكعادة الحسابات الغبية لصدام حسين ، فقد رفض الانصياع لجميع مبادرات السلام التى عرضت عليه خلال فترة المبادرات السلمية فيما قبل ١٥ من يناير ١٩٩١ ، فرفض جميع الوساطات الدولية التى تمت حتى من قبل سكرتير الأمم المتحدة ، واكتفى فقط بإطلاق سراح الرهائن الأجانب ، على اعتبار أن قوات التحالف جاءت للتهويش فقط .

وجاء السادس عشر من يناير ، وانتهت المهلة المقررة من قبل مجلس الأمن ، وحبس العالم أنفاسه حتى الثانية من صباح السابع عشر ــ بتوقيت القاهرة ــ حين هبت مئات الطائرات المتحالفة فى ليلة أسود من سواد أسود ليلة شهدتها الأمة العربية من قبل ، وبدأت فى قصف المواقع العسكرية والاستراتيجية العراقية فى موجات متلاحقة سبقها أكبر عملية خداع وتشويش إليكترونى استهدف تحييد الدفاعات الجوية العراقية ، فى التاريخ ، **ومع كل طلعة جوية حيث تعدى رقم الطلعات المائة ألف طلعة ، كانت الأسافين تدق فى حقل القدرة العربية ، وبدأت هذه القدرات تتهاوى وتنحدر .**

عند هذا الحد ، تصرف الرئيس العراقى ، وبحسابات حمار ، تصرفاً اعتمد على حسابات خاطئة ، حيث حاول أن يحول الصراع من صراع عراقى ــ دولى ، (حيث شاركت فى قوات التحالف قوات دولة عالمية) إلى صراع عربى ــ إسرائيلى وذلك بجر رجل إسرائيل فى الحرب حتى تجد قوات التحالف نفسها فى مأزق شديد نتيجة رفض الدول العربية المشاركة فى حرب تشارك فيها إسرائيل ضد دولة عربية .

أما كيف يجر صدام حسين رجل إسرائيل فى الحرب ؟ فقد بدأ وقبل حدوث الضربة الجوية الأولى فى التهديد بمهاجمة إسرائيل بنوع جديد من الصواريخ ، وبحرق نصف إسرائيل . وبالطبع لم يسكت الغرب أمام هذه التصريحات « النارية » ــ والتى ثبت فيما بعد أنها مجرد تصريحات « عنصرية » ــ فقابلها بالاستنكار الشديد وبشن حملة نفسية ضد العراق ، مع التوجه إلى إسرائيل لطلب عدم تدخلها فى أزمة الخليج ، حيث إن من شأن هذا التدخل أن يصيب التحالف الدولى بأضرار جسيمة ، خاصة وأن مصر ممثلة فى شخص الرئيس مبارك قد أعلنت صراحة بأنها ترفض أن تتدخل إسرائيل فى الحرب ، وأنها سوف تتخذ موقفاً مخالفاً فى حالة تدخلها .

ولكن ماذا إذا نفذ صدام حسين تهديداته بحرق نصف إسرائيل ؟ مثل هذا السؤال وجهته الدبلوماسية الصهيونية إلى دول التحالف ، فتكفلت الدول الثلاث الكبرى : أمريكا ــ بريطانيا ــ فرنسا ، بالرد عليه وطمأنة إسرائيل بأنهم سوف يتصرفون[1] ، وأن ما على إسرائيل سوى أن تضبط نفسها ولا تقوم بالرد الفورى ، وأن تتحلى برباطة الجأش إزاء الهجمات الصاروخية العراقية المتوقعة .

ومع بدء الضربة الجوية للتحالف ، راهن صدام حسين على حساباته الخاطئة وبدأ فى ضرب إسرائيل بصواريخه بعيدة المدى « **العباس** » وهى فى الأساس صواريخ سوفيتية الصنع ، بالستيكية النوع ، من طراز (سكود ــ بى) أرض

(١) نذكر فى هذا الصدد تعهد الرئيس بوش لإسرائيل بحمايتها من أى هجوم عراقى محتمل ، بشرط أن تنأى نفسها بعيداً عن التورط فى حرب الخليج إذا اندلعت ، وذلك بعدم شن حرب وقائية ، والامتناع عن الرد على أى هجوم عراقى وترك هذه المهمة للأمريكيين (**الأخبار ١٩٩١/١/١٣**) وهو ما سيتم توضيحه لاحقاً .

أرض ، قام خبراء ألمان بتطوير مداها وذلك بالتقليل من حجم المتفجرات التى يمكن أن تحملها[1] ، مما قلل كثيراً من قيمتها الاستراتيجية العسكرية ، وحولها إلى ما يشبه بمب الأطفال ، قياساً إلى قوة غيرها من الصواريخ ، أو جعل منها على حد وصف الرئيس مبارك صواريخ سياسية تحدث فرقعة إعلامية أكثر منها فرقعة تدميرية .

هنا بدأت إسرائيل فى تنفيذ مخططها الاستراتيجى ، الذى يتخطى ردود الأفعال السريعة العشوائية إلى النظر ــ بعين الاعتبار إلى المصلحة بعيدة المدى للدولة الصهيونية .

كان المخطط بسيطا فى إظهار تشددها إزاء الهجمات الصاروخية العراقية ، والتهديد بالرد على هذه الهجمات وعدم الاستجابة لنداءات قوات التحالف الغربى ، ثم مطالبة دول التحالف الغربى وغيرها بثمن ضبطها لنفسها ، وبثمن الاستجابة « قهراً » للرغبة الأمريكية والبريطانية والفرنسية بعدم الرد على صواريخ العراق .. أى أنها تبحث عن ثمن تضحية هى فى الأساس وهمية .. أما لماذا هى وهمية ، أو أسطورية ؟ فهذا هو ما سنبينه عقب الإشارة إلى الطرق التى اتبعتها إسرائيل لتأكيد أنها متشددة فى الرد على الصواريخ ، وإظهار أن خسائرها من جراء « بمب الأطفال العراق » لا يمكن احتمالها أو تعويضها والإشارة إلى الأسباب التى جعلتها لا تمارس الرد العملى على هذه الصواريخ رغم التهديد الفعلى بالرد .. وقبل الإشارة إلى : المكاسب المادية والمعنوية والعسكرية والسياسية التى جنتها إسرائيل من تمرير أسطورة ضبط النفس عن طريق إعلامها الإسرائيلى والإعلام الصهيونى الغربى . وهى مكاسب جد كثيرة . وتبدأ بالإشارة إلى أهم ملامح المخطط الاستراتيجى إبان حرب الخليج :

أولًا : التأكيد على أن إسرائيل قادرة على الرد ، بأكثر من طريقة ، من بينها تدمير الصواريخ العراقية نفسها فى الجو ، حيث أعلن دان شمرون ، رئيس الأركان الإسرائيلى أن لدى إسرائيل القدرة على اعتراض وتدمير الصواريخ العراقية « أرض ــ أرض » وأنها ــ أى إسرائيل ــ قامت خلال الأشهر القليلة الماضية

(١) لا تستطيع الصواريخ أن تحمل أكثر من ١٥٠ كيلو جراماً من المتفجرات ، بما لا يصل إلى حجم قنبلة متوسطة الحجم زنتها ألفا رطل .

بإنتاج وتطوير أسلحة قادرة على أداء هذه المهمة[1] ، يقصد الصاروخ « **جيتس** » الذى سنتحدث عنه لاحقاً ، والذى لم يخرج إلى حيز الوجود بعد !، والصاورخ « **باراك ـــ ٢** » وهو صاروخ لم يظهر له حس طوال فترة الحرب .

والطريقة الأخرى هى الهجوم على العراق ، باستخدام « **الذراع الطويلة** » **ـــ سلاح الطيران ـــ فراح الإعلام الإسرائيلى يزهو بأن يده الطويلة تستطيع أن تصل إلى كل مكان ، فقد وصلت من قبل إلى بغداد لقصف المفاعل النووى العراق ، وإلى تونس لقصف مقر منظمة التحرير الفلسطينية بالعاصمة تونس .**

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الملحمة الجوية التى قال الإعلام الإسرائيلى عقب انفجار المفاعل العراق ، أنه شارك فيها طائرات من طراز « إف ـــ ١٥ ـــ وإف ـــ ١٦ » قطعت آلاف الأميال متجنبة طائرات الأواكس السعودية ، ومخترقة حدود دول ثلاث : الأردن ـــ السعودية ـــ العراق ، حيث استطاعت تحييد أجهزة الرادار العراقية ، وانقضت على المفاعل النووى العراقى جنوب بغداد لتصيبه بدقة بالغة ، ثم تعود بعدها آلاف الأميال بعد التزود بالوقود فى الجو ، وهى ملحمة انتجت عنها بعد ذلك الأقلام والكتب التى كان من أهمها كتاب « **دقيقتان فوق بغداد** » ، هى ملحمة يمكن أن تكون كاذبة ، والأقرب إلى المنطق والحقيقة هو أن المفاعل النووى العراق قد تم تدميره من الداخل بواسطة عملاء عرب أو يهود أو أجانب ، وإن قصة الطائرات تلك ـــ ولم أجد أثناء تلك الأحداث وكنت بالعراق وقتها من رأى أى طائرات ـــ لم تكن إلا لتغطية هذا العمل ولتضليل المسئولين فى العراق ، ولتثبيت ـــ كما يقول الأستاذ/ محمد عبدالمنعم[2] ـــ صورة « **السوبرمان** » الإسرائيلى فى أذهان الرأى العام العربى المحروم دائما من الحقائق ومن الإعلام الموضوعى البعيد عن الأهواء .

أما بخصوص قصف الطائرات الإسرائيلية لمقر إقامة منظمة التحرير الفلسطينية بتونس ، فتجدر الإشارة إلى أن هذه الطائرات قد تحركت من على متن إحدى حاملات الطائرات الأمريكية بالبحر المتوسط أى أنها لم تمد يدها من إسرائيل ،

---

(١) الأخبار عدد ١٣ يناير ١٩٩١ .

(٢) مقال « **حجاب بوب وود وارد وأساطير ويليام كيسى** » الأهرام عدد ١٩ أكتوبر ١٩٨٧ .

ولكن مد غيرها يده لها بالمساعدة لتحقيق أهدافها .. والنتيجة أن يد إسرائيل ليست طويلة كما تدعى وكما حاول الإعلام الإسرائيلى أن يزعم قبل بدء حرب الخليج .. **على أن إسرائيل لم تنس قبل بدء الحرب ، وقبل الأيام الأخيرة على انتهاء المهلة المحددة ، أن ترفع حالة التأهب بين قواتها المسلحة ، وخصوصاً القوات الجوية والمخابرات ؛ والدفاع المدنى ، وأن تذكر أنه فى حالة اشتراك إسرائيل فى الحرب ، فإن العبء الأكبر سيقع على سلاح الجو[1] .**

ثانياً : التركيز على التصريحات الإعلامية التى يدلى بها مسؤولون إسرائيليون يحاولون أن يؤكدوا للعالم ، أن إسرائيل مستعدة للتورط فى حرب الخليج ، أو أن صبرها قد نفد إزاء ما تتعرض له من خسائر ، أو التعويل على رغبتها فى التملص من القيد الأمريكى الذى يطالبها بعدم الرد .. وفى هذا الصدد نذكر التصريحات التالية :ـــ

• « لقد أعلنا صراحة وأخطرنا الولايات المتحدة بأن إسرائيل سوف ترد إذا تعرضت للهجوم .. ولقد تعرضنا للهجوم بالفعل » .

« **موشيه ارينز** » وزير الدفاع الإسرائيلى

• « إسرائيل سترد فوراً على أى هجوم تتعرض له »

« **اريل شارون** » وزير الإسكان الإسرائيلى

• إن الرد الإسرائيلى يجب أن يصيب إصابة بالغة قدرة العراق على إطلاق صواريخ أخرى »

« **إسحاق رابين** » وزير الدفاع الإسرائيلى السابق

• « لم يعلن مجلس الوزراء الإسرائيلى متى سترد إسرائيل على العدوان ، أو كيف سترد ، ولكن من المهم أن يعلم العالم كله أن إسرائيل سترد بلاشك ، ومن حقها اتخاذ ما تراه ضروريا لحماية مواطنيها والحكومة والجيش الإسرائيلى لن يسمحا باستمرار هذه المقامرة اليومية التى يتعرض لها المواطنون فى إسرائيل »

« **منيامين متاياناهو** » نائب وزير خارجية إسرائيل

(١) الأهرام عدد ١٠ يناير ١٩٩١ .

• « الهجوم العراقى لا يمكن أن يمر دون عقاب ، وإسرائيل ستختار الوقت والأسلوب الملائم للرد على الهجمات العراقية » .

« **دان مريدور** » وزير العدل الإسرائيلى

• « الهجوم العراقى بالصواريخ جعل الرد الإسرائيلى أمراً محتوماً ، إننا فى حالة حرب بالفعل »

« **ايهود اولمرت** » وزير الصحة الإسرائيلى

• « إسرائيل سوف ترد على الهجمات الصاروخية العراقية ، ويجب أن يفهم أن لإسرائيل الحق فى الدفاع الشرعى عن نفسها وأنها وحدها هى التى تقرر إسلوب الرد »

« **آفى بارنر** » المتحدث باسم رئيس الوزراء الإسرائيلى

• « لابد من تأكيد حق وواجب إسرائيل فى اتخاذ الخطوات اللازمة من أجل الدفاع عن نفسها »

« **ديفيد ليفى** » وزير الخارجية الإسرائيلى

• « إن إسرائيل تمتلك القدرة ولها الحق فى الرد على العراق ، إننا نحتفظ بقرارنا المستقل ، ونحن مت .ون شعباً وأمة فيما يتعلق بمسألة الأمن عندما يكون هناك تهديد عسكرى أو مشكلة عسكرية »

« **شيمون بيريز** » زعيم حزب العمل الإسرائيلى المعارض

• « إن الهجوم العراقى يوضح نوع الخطر الذى تتعرض له إسرائيل باقتناعها عن توجيه ضربة وقائية ضد العراق »

« **يورام اريدو** » المندوب الإسرائيلى لدى الأمم المتحدة

• « إن إسرائيل دفعت أغلى ثمن بين جميع دول الشرق الأوسط باستثناء الكويت ، فى الحرب ضد العراق ، بعد تعرضها للصواريخ العراقية »

« **زلمان شوفال** » سفير إسرائيل فى الولايات المتحدة

• « إن المسئولين الإسرائيليين يأملون فى أن يتمكنوا من القيام بعملية تقضى على هذا الخطر القادم من العراق »

« **يهودا باراك** » نائب قائد القوات المسلحة الاسرائيلية .

• « أن إسرائيل لديها رغبة صريحة فى دخول الحرب ضد العراق ، ولكنها مضطرة للابتعاد حتى تضمن الانتصار لقوات التحالف الدولى »

« **إسحاق شامير** » رئيس وزراء اسرائيل

• « إن إسرائيل مستعدة لخوض الحرب ضد العراق مع القوات المتحالفة إذا وجد لها دور »

« **راديو إسرائيل** » بتاريخ ١٠ فبراير ١٩٩١ .

ثالثاً : الإشارة عن طريق مصادر دولية ذات صلة وثيقة بها إلى الاحتمال الكبير لتورط إسرائيل . فى الحرب ، وفى هذا الصدد ننقل ما ذكرته « **هيئة الإذاعة البريطانية (بى . بى . سى)** من أن مشاورات مكثفة تجرى حاليا بين القدس وواشنطن ولندن لاتخاذ قرار حول الأهداف التى ستضربها إسرائيل فى العراق انتقاماً للهجوم العراق على التجمعات السكنية فى إسرائيل بالصواريخ[1] وماذكرته شبكة (**سى . ان . ان**) نقلا عن مصادر وزارة الدفاع الأمريكية عن أنه من الصعب توقع امتناع إسرائيل عن القيام برد انتقامى ضد العراق الصاروخى الجديد عليها[2] وننقل أيضا ما رددته وكالات الأنباء من إسرائيل قد رفضت خلال زيارة « **لورنس ايجلبرجر** » مساعد وزير الخارجية الأمريكية لإسرائيل الإلتزام بعدم القيام برد انتقامى ضد العراق ، مما يحمل فى طياته احتمالًا لهذا الرد الوقائى فى أى لحظة .

رابعاً : النقاش العلنى لموضوع الرد على الصواريخ العراقية ، سواء على مستوى القمة فيما يسمى بالحكومة المصغرة ، أو داخل الكنيست الإسرائيلى ، مع أن إسرائيل كانت تحرص دائماً على إحاطة مثل هذه القضايا الأمنية بأقصى

(١) جريدة الجمهورية عدد ٢٤ يناير ١٩٩١ .

(٢) الأهرام عدد ٢٠ يناير ١٩٩١ .

درجات السرية ، مما يعطى للعالم الخارجى فكرة طازجة عن إمكانية هذا الرد ، وعن احتمال حدوثه بين لحظة وأخرى .

خامساً : التضخيم من خطة الانتشار الواسعة التى قام بها الجيش الأردنى تحت اسم « خطة القدس » وإبراز التصريحات العراقية الهادفة إلى إزالة إسرائيل من وجه الأرض ، مما يعطى لإسرائيل ، مبرراً مشروعاً للقيام بالعمل الانتقامى بدعوى الدفاع المشروع عن النفس ، كما يمهد لها الطريق لاحتلال الأردن وترحيل فلسطينى الضفة الغربية إلى شرقها ، وفى هذا الصدد ننقل التراشق الإعلامى بين الجنرال « ناشمان شاى » قائد القوات الجوية الإسرائيلية ، وبين ولى عهد الأردن ، حيث صرح الأول بأن بلاده وهى تستعد لحرب طويلة لا ترى مانعاً من عبور الطائرات أو الصواريخ الإسرائيلية أجواء الأردن للرد فى الوقت المناسب على العراق ، فيرد ولى عهد الأردن ، الأمير حسن ، بأن الأردن لم توقف الصواريخ العراقية لعدم وجود أى إمكانيات لديها للتصدى إلى تلك الصواريخ ، فيرد الجنرال ناشمان بأن عدم وجود وسائل مضادة للصواريخ بالأردن لا يمنع على الأقل من إظهار الاحتجاج وإدانة وانتهاك حرمة أجواء الأردن ؟ .. والجنرال ناشمان يريد بهذا ان يقول للأردن ، إن اسرائيل تحتفظ بنواياها فى الرد المناسب على العراق ، حتى وإن تم ذلك على حساب الاردن(١) .

سادساً : رفض الكشف عن مواقع سقوط الصواريخ العراقية ، ولا عن حجم الخسائر الحقيقية التى أحدثتها الصواريخ ، وذلك لا بهدف عدم إعطاء العراق أية أدلة على مدى فعالية هجماته الصاروخية ، ولكن بغرض التعمية الإعلامية عن حجم الخسائر وبالتالى إمكانية مخاطبة المنظمات الإنسانية بشأن هذه الضحايا التى لا ذنب لها فى الحرب ، مما يؤهلها للعزف على وتر « العامل الانسانى » .

سابعاً : التهويل من القيمة الاستراتيجية للصواريخ العراقية ، وتأكيد أنها

(١) وفى هذا الصدد تجدر الإشارة إلى الحرب النفسية التى مارستها إسرائيل ضد الأردن ، حين كانت تطالب الإسرائيليين المقيمين فى المناطق الواقعة على الحدود بين إسرائيل والأردن بعدم التوجه إلى العمل أو الحقول ، مما يعطى انطباعاً بأن إسرائيل تعتزم — وكان هذا يتم لأكثر من مرة — القيام بعمل انتقامى ضد العراق عن طريق الأردن.

يمكن أن تحمل رؤوساً نووية أو غازية وأن الصواريخ التقليدية التى سقطت على عدة أماكن خاصة تل أبيب وحيفا ، إنما كانت توطئة لاستخدام أنواع غازية أو نووية من الصواريخ العراقية ، مع أن الصواريخ العراقية التى تشبه بمب الأطفال ، بالمقارنة لأنواع المتفجرات الأخرى ، إنه لا يمكن لها حمل رؤوس ، لا غازية (كيمائية) ولا نووية ولا غير ذلك من أسلحة الدمار الشامل .

كانت تلك جوانب من الخطة الاستراتيجية التى اتبعتها الحكومة الاسرائيلية فى حرب الخليج ، وهى خطة تكتيكية أخذت بنصيحة بنيامين نتانيا هو الذى صرح بأن « أى قرار يجب يتخذ نتيجة للفكر وليس للعاطفة » . وواضح منها أن اسرائيل وقد كانت تعلم مسبقاً أن صدام حسين سوف يلجأ لاستخدام الصواريخ بعيدة المدى ضدها اذا ما نشب قتال مسلح ضده فى منطقة الخليج ، قد أعدت عدتها مقدماً لتمهيد السبيل لتحويل إصابة بعض أهدافها بصواريخ ــ نقلت لها اجهزة مخابراتها ، وأجهزة المخابرات الغربية ، أنها صواريخ بدائية ، ولن يترتب عليها اضرار مخيفة أكثر من مجرد إثارة الرعب فى الشارع الإسرائيلى لعدة ساعات ــ إلى مكاسب سياسية ومعنوية ومادية وعسكرية سوف يتم حلبها من الضروع الغربية اعتماداً على أن هذه « الضروع » ترغب وبشدة فى بقاء « الثور » الإسرائيلى بعيداً عن « حلبة » الصراع الخليجى ، وهى رغبة شدد عليها كثيراً الرئيس الأمريكى جورج بوش حين تعهد لإسرائيل بحمايتها من أى هجوم عراقى محتمل ، شريطة أن تنأى بنفسها بعيداً عن التورط فى الحرب اذا ما اندلعت ، وذلك بعدم شن حرب وقائية ، والامتناع عن الرد على أى هجوم عراقى ، وترك هذه المهمة للامريكيين !

كما شدد عليها كذلك حين أرسل نائب وزير خارجيته « لورنس ايجلبرجر » فى زيارة سريعة إلى إسرائيل لمطالبتها بعدم الرد على الصواريخ العراقية ، إضافة إلى الاتصالات التليفونية المتتالية بينه وبين اسحاق شامير حيث يطلب فيها من الأخير مزيداً من ضبط النفس .

بل أن هذه الرغبة أكدها أيضا جون ميجور رئيس وزراء بريطانيا الذى دافع عن حق اسرائيل فى الدفاع عن النفس ، ولكنه يطلب منها ضبط النفس فى

هذه الظروف الدقيقة ، كما سبق وان أكدتها « مارجريت تاتشر » رئيس وزراء بريطانيا السابق ، وأكدها كذلك توم كينج وزير الدفاع البريطانى الذى حذر إسرائيل من مغبة التدخل فى أزمة الخليج لأن هذا من شأنه أن يصيب التحالف الدولى بأضرار جسيمة .

كذلك أكدها الرئيس الفرنسى « فرانسوا ميتران » حين أعرب عن إدانته الشديدة للصواريخ العراقية وأشار إلى أن « أمن اسرائيل » من المسائل الأساسية للسياسة الفرنسية ، وطلب من الرئيس الاسرائيلى « حايم هيرتزوج » التمسك بضبط النفس .

كما أكد هذه الرغبة وزير الدفاع الفرنسى « جان بيير شيفينمان » حين طالب إسرائيل وبشدة أن تستمر فى موقفها بعدم الرد ، على الرغم من حقها فى الدفاع عن نفسها .

أيضا فإن مثل هذه الرغبة أبداها « جيرهارد ستولتنبرج » وزير الدفاع الألمانى حين طالب إسرائيل بعدم الرد على الهجمات العراقية حتى لا تضعف التحالف الدولى ، حيث أن بقاء القوات الاسرائيلية خارج نطاق العمليات العسكرية من شأنه تقوية موقف القوات المتحالفة والعربية .

وقد وردت هذه الرغبة أيضاً فى طلبات « بيريز دى كويار » السكرتير العام للأمم المتحدة ، حيث أعرب عن أمله فى أن تحجم اسرائيل عن الرد على هذه الضربات العراقية وأن تتحلى بالصبر قدر الإمكان ، وكذلك فى طلبات المجموعة الأوروبية التى ناشدت إسرائيل الامتناع عن التورط فى حرب الخليج ، وفى طلب « بريان مولرونر » رئيس وزراء كندا الذى اتصل بالحكومة الاسرائيلية وأعرب لها عن أمله فى ألا تتدخل فى حرب الخليج وأن تتمسك بسياسة ضبط النفس .

وهكذا فإن جميع « الضروع » الغربية ناشدت اسرائيل الاستجابة لرغبتها الملحة فى أن تتمسك بضبط النفس . فهل رضخت إسرائيل للطلبات الغربية واستجابت لسياسة « ضبط النفس» من تلقاء ذاتها أم أن استجابتها تلك لم تكن سوى أسطورة أرادت من خلالها أن تحلب هذه الضروع ؟

لدينا الكثير من الأدلة والبراهين التى يمكن بها أن نثبت أن اسرائيل لم تستجب لا للرغبة الأمريكية ولا للرغبة الغربية ، ولكنها اضطرت للتمسك بما أسمته « ضبط النفس » لأنها لم تكن قادرة على الرد على الصواريخ العراقية ، ولهذا لجأت إلى الاسلوب « الاستراتيجى » المدروس بعناية « خاصة » حتى يمكنها أن تحلب ضروع الراغبين فى « ضبطها لنفسها » .

وقبل أن نشرع فى عرض هذه الأدلة والبراهين، علينا أن نشير إلى أن مصطلح « ضبط النفس » هذا ، سبق لاسرائيل وإن عملت به لأكثر من مرة .
ففى كل مرة كانت إسرائيل تشن عدواناً على أى دولة عربية ، كانت الولايات المتحدة الأمريكية تسرع وتطلب من كلا الطرفين : المعتدى ، والمعتدى عليه أن يتمسك بضبط النفس . وإذا كنا لا نفهم كيف يتمسك الطرف العربى الذى هو فى الأساس « الضحية » بضبط النفس ويتقبل العدوان عليه بصدر رحب ؟! فإننا نفهم أن زعماء اسرائيل كانوا يتقبلون النصيحة ويعملون بأسلوب « ضبط النفس» حتى صار مصطلح ضبط النفس عندهم وكأنه رتبة على أكتافهم ، ودليل أكيد على تحقيقهم لانتصارات باهرة على العرب .

غير أن هذه المرة هى المرة الأولى التى تطالب فيها إسرائيل بضبط النفس وهى فى موقع الضحية ، لا موقع « الجانى » كما اعتادت . غير أن هذا لا يمنع ، وقد ألفت هذا الأسلوب ، أن تتمسك به هذه مضطرة ، لأنها — وكما يقول المثل العربى : مجبر أخاك لا بطل — لا تستطيع إلا أن تفعل هذا ، حيث حال كثير من الأسباب دون أن تقوم « برد الصاع صاعين » كما اعتادت من قبل . لذا فقد لجأت مُجبرة لإظهار أنها قبلت بأسلوب ضبط النفس لأجل خاطر سواد عيون أمريكا ودول أوروبا ، وذلك قبل أن تشرع فى المطالبة بثمن هذا القبول .

ومن بين الأسباب التى يمكن أن نسوقها على استحالة قيام إسرائيل برد الضربة العراقية ما يلى :

— وفقا لما نشرته وكشفت عنه صحيفة لوس أنجلوس تايمز[1] فإن أمريكا قد امتنعت عن إعطاء إسرائيل الشفرة السرية لطائراتها القاذفة والمقاتلة التى ستحارب

(١) عدد ٢٢ يناير ١٩٩١ .

العراق ، كما رفضت أن تترك للقاذفات والمقاتلات الإسرائيلية مساحة من سماء العراق لفترة زمنية معينة . ومعروف أن كل طيار يدخل المجال الجوى العراقى يبلغ أجهزة الرادار أو يبلغ العقل الأليكترونى فى طائرات التحالف بالشفرة السرية فلا يهاجمه أحد . ولذلك فقد كان من الصعب على سلاح الطيران الإسرائيلى والمعروف باليد الطويلة ، أن يدخل المجال الجوى العراقى دون معرفة الشفرة حيث لن تتمكن الطائرات الإسرائيلية من التمييز بين الطائرات العراقية والطائرات « المشتركة » التابعة لقوات التحالف ، ومن جهة أخرى فإن الطائرات الإسرائيلية ستكون عرُضة للقصف بطريق الخطأ من قبل الطائرات « المشتركة » فى القوة الدولية المتحالفة .

ـــ وبفرض أن القوات الجوية الإسرائيلية قد استطاعت التخلص من المعوقات التى تحول دون تنفيذها لمهامها بالأجواء العراقية ، فما الذى يمكنها أن تضربه ، ولم تنله غارات طائرات الحلفاء ؟

ـــ نحن نعرف أن إسرائيل لا تمتلك من الصواريخ البالستيكية أرض ـــ أرض سوى الصاروخ « أريحا » وهو صاروخ رغم أن مداه ١٠٠٠ كيلو متر ، إلا أنه غير دقيق بالنسبة للتصويب ، ثم إن حمولته المتفجرة لا قيمة استراتيجية تذكر لها فى ظل القصف الشرس واللا أخلاق على العراق من قبل قوات التحالف . علماً بأن الصاروخ الإسرائيلى « ارو » أى السهم **Arrow** ـــ لم يدخل فى مجال الخدمة الفعلية بعد ، فالتجربة الأولى التى أجريت على الصاروخ فى التاسع من أغسطس ١٩٩٠ ، بالماشية ، جنوب تل أبيب أثبتت فشلها ، إذا أدت إلى تحطم الصاروخ بعد ٤,٨ دقائق من إطلاقه . أما التجربة الثانية التى تمت فى ٢٥ مارس ١٩٩١ فإنها لم تنجح كلياً حيث تم تعديل مسار الصاروخ بعد أن تعرض لفقد السيطرة عليه بعد دقيقة واحدة من إطلاقه . وعلى هذا فهو فى قيد التجارب ولم يدخل الخدمة بعد .

ـــ لقد دمرت طائرات الحلفاء ومنذ الضربة الجوية الأولى كل ما يمكن وصفه بأنه هدف استراتيجى ولم يبق من هذه الأهداف سوى بعض قواعد إطلاق الصواريخ العراقية ، وقد حجبت الإدارة الأمريكية عن إسرائيل المعلومات

المتعلقة بها حتى لا تسدد إسرائيل ضربة إجهاض لها ، علماً بأن صانع القرار الإسرائيلى كان يعلم أن استمرار العراق فى توجيه الصواريخ ضد إسرائيل . يحقق فائدة مهمة وهى أنها تكشف عن محطات إطلاقها وتسهل لطائرات التحالف مهمة تدميرها بعد ذلك .

ـــ لم تكن إسرائيل تستطيع أن تجازف وترد على العراق ، حتى لا تجد نفسها فى مواجهة سياسية مع الولايات المتحدة الأمريكية التى ضغط عليها بشدة لمنعها من الرد ، وذلك تجنباً لتفكك بعض الروابط فى التحالف الدولى ضد العراق نتيجة لتغير مشاعر القوات العربية والإسلامية المشتركة فى التحالف الدولى .

وقد وضع صانع القرار الإسرائيلى نصب عينيه أن الولايات المتحدة الأمريكية هى الشريان الرئيسى الذى يمد إسرائيل بالحياة حيث يدعم الاقتصاد الإسرائيلى بعدة مليارات كل عام ـــ حصلت إسرائيل عام ١٩٩٠ على ٤ مليارات دولار ، أى بمعدل ألف دولار لكل مواطن فى إسرائيل سواء كان رجلًا أو امرأة أو طفلا ـــ ثم أنه كان يأمل فى مزيد من المساعدات والمعونات من الولايات المتحدة نتيجة لإظهار قبوله بضبط النفس المزعوم ، وهى مساعدات كانت ستسير إلى زوال لو خالف التعليمات الأمريكية حيث إن الولايات المتحدة طلبت من إسرائيل إبلاغها رسمياً ومسبقاً عن أى عملية حربية توجه ضد العراق حتى يمكنها التدخل فى الوقت المناسب لمنعها .

ـــ لم تكن إسرائيل تريد أن تخسر المعونات المادية التى بدأت تهل عليها من الدول الغربية التى لم تكن على علم بالحقيقة الأولى ـــ عدم منح إسرائيل الشفرة السرية ـــ والتى استنزفتها إسرائيل مقابل التمسك بضبط النفس الأسطورى .

لم تكن القيادة السياسية الإسرائيلية تستطيع أن تتجاهل رغبات رجل الشارع الإسرائيلى حيث أثبت استطلاع للرأى أجرته صحيفة يدعوت احرونوت الإسرائيلية أن ٨٦٪ من الإسرائيليين يؤيد سياسة ضبط النفس ، وعلى هذا فإن المغالاة التى كانت القيادة السياسية الإسرائيلية تبديها أمام العالم ، كانت للاستهلاك العالمى ، بينما عملت داخلياً على تهدئة مشاعر رجل الشارع .



استطاعت إسرائيل عن طريق صواريخ صدام حسين كسب تعاطف الرأى العام العالمى عندما أخذت تذرف الدموع على البيوت الثلاثة التى دمرتها الصواريخ والنقالات التى تحمل المصابين



كاريكاتير عربى يدلل على مدى إستفادة إسرائيل من وراء صواريخ صدام حسين

كان الرد الإسرائيلى إذا ما حدث سيجر إسرائيل إلى مواجهة مع الأردن التى نشرت قواتها بطول حدودها فى خطة أسمتها « خطة القدس » ، خاصة وأن الطائرات الإسرائيلية التى ستقوم بالرد ستضطر إلى اختراق الأجواء الأردنية ، مما سيترتب عليه مزيد من التعقيدات والمشاكل فى المنطقة التى تمر بظروف غاية فى التعقيد . وقد أخذت إسرائيل فى حسابها هذا العامل الذى سيؤدى إلى تكاتف جميع الدول العربية مع الأردن ، لذا فقد امتنعت مضطرة عن الرد ، ولكن لو قامت إسرائيل بالرد على القصف العراقى دون التورط فى مواجهة مع الأردن كما يقول رئيس مركز الدراسات الاستراتيجية فى تل أبيب « اهارون ياريف » فالرد الإسرائيلى أمر كان وارداً ومشروعاً بشهادة كل الأطراف » !

لم تأت الصواريخ العراقية بما كان يرجى منها من دمار بحرق « نصف إسرائيل » وبتسوية إسرائيل بالأرض فهى صواريخ تقليدية تحمل شحنة ناسفة صغيرة تم تقليل وزنها لزيادة المدى الذى يمكن أن يصل إليه الصاروخ بعد « التطوير ! » ، مما قلل من الخسائر البشرية التى تعرضت لها إسرائيل فهى لم تزد بعد ضرب ٣٧ صاروخا على إسرائيل ، لم تزد عن قتيل واحد ، ونحو ١٠٠ جريح* .. ويعود السبب فى انخفاض عدد الضحايا أيضاً إلى عدم دقة ضبط توجيه الصاورخ ، الأمر الذى جعل معظم الصواريخ تسقط فى مناطق غير مأهولة بالسكان ، فقد سقط ، من بين سبعة صواريخ أطلقت على إسرائيل يوم ١٧ يناير ١٩٩١ صاروخ واحد على تل ابيب ، وآخر قرب اريحا ، والخمسة الباقين فى البحر ! .. هذا عدا أن الأضرار المادية ليست بالغة . لذا فإن القيادة الإسرائيلية لم تكن تستطيع أن تجازف بالرد .

ــ لم تكن القيادة الإسرائيلية راغبة فى تحقيق أهداف صدام حسين من جر رجلها إلى الحرب ، حيث سيؤدى ذلك إلى تخفيف الضغط الذى يواجهه ، بعد أن يستفز التدخل الإسرائيلى مشاعر المسلمين والعرب الذين سيرفضون تدخلها فى الحرب حتى وإن كان دفاعاً عن النفس ، علماً بأن المسئولين الإسرائيليين كانوا

(*) تجدر الإشارة إلى أن أول ٨ صواريخ أطلقت على إسرائيل لم تسفر إلا عن إصابة ١٣ شخصاً بجراح طفيفة ، ووصفت المصادر الطبية حالة المصابين بأنها لا تثير القلق !

يدركون أن قدرات الرئيس العراقى تقل تدريجياً يوماً بعد يوم خاصة بعد الضربات الجوية المؤثرة التى كانت تتعرض لها يومياً منصَات الصواريخ العراقية الموجودة فى غرب العراق ، والتى يتم من خلالها إطلاق صواريخ [سكود - بى] على إسرائيل . وقد تلاحظ هذا الانخفاض بوضوح بعد مرور عشرة أيام على بدء حرب الخليج ، فالأيام التسعة الأولى من الحرب شهدت سقوط ٢٥ صاروخاً على إسرائيل ، بينما لم يطلق عليها فى الأيام التسعة التالية سوى ٦ صواريخ .

ـــ وأخيراً فإن القيادة السياسية الإسرائيلية كانت فى حالة خوف مستمر من فشل أى ضربة يمكن أن توجهها ضد العراق ، فسيكون هذا الفشل بمثابة « ميتة وخراب الديار » حيث ستتوقف جميع المساعدات الغربية ، وتتدخل ضدها فى الحرب قوات عربية لا تضع فى تصورها ـــ كالقوات المصرية ـــ أنها ستدخل فى حرب معها خلال هذه السنوات .

وهكذا فقد تضافرت العوامل السابقة فى منع إسرائيل من الرد على صواريخ العراق ، ولم يبق لها أن تتظاهر بضبط النفس حيث أدركت أن الغرب يرغب فى بقائها بعيداً عن الحرب ، وفى ضبطها لنفسها ، وانطلاقاً من هذا الإدراك الإسرائيلى دارت عجلة « المنشار » الإسرائيلى ، فإسرائيل قد علمتنا فى السابق أنها منشار يأكل فى الطالع وفى النازل ، فهى عندما يختطف العرب طائرة مدنية لها ، تذهب لتساوم الولايات المتحدة الأمريكية على سرب طيران حربى بأكمله ! وعندما يغرق لها العرب مركبة حديد ، تمد أمريكا لها يدها بمدمرة أو فرقاطة لإسرائيل الغلبانة والمغلوبة على أمرها ! وحين يقتل فرد إسرائيلى تمحو إسرائيل مدينة عربية بأكملها ثأراً له ! .. نشترى نحن بندقية فيعلنون أن أمنهم مهدد ، وغدهم غير مؤمن ، ويتحرك المنشار ـــ كما يقول محمد الحفناوى(١) ـــ فيلتهم فى مقابل البندقية العربية تكنولوجيا أشعة ليزر وكمبيوترات ومحطات نووية من الغرب !

والمنشار اليهودى يعرف جيداً من أين تؤكل الكتف ، وقد حدث أيام كان البابا يبيع صكوك الغفران للناس الطيبين ، فيدفع كل واحد مبلغاً من المال لكى

(١) مقال نحن والمنشار ، الوفد ـــ عدد ١٨ فبراير ١٩٩١ .

يدخل الجنة ، ويحصل على قطعة من الأرض على قدر فلوسه ، حدث أن ذهب تاجر يهودى إلى البابا ليشترى جهنم ، وأمام إصرار هذا التاجر باع له البابا جهنم بسعر رمزى وراح يروى هذه النكتة لكل الناس وبعد سنوات سأل البابا عن التاجر اليهودى ، فقالوا له : عقبالك ، إنه يملك السفن والعمارات والحدائق ومحلات الذهب والماس . فاستدعاه البابا ليسأل وكيف كان ذلك ؟ قال التاجر أبداً ، لقد مررت على المسيحيين الطيبيين أقول لهم : كم تدفع وأنت لا تدخل جهنم[1] ؟

وقد ظهر هذا التاجر اليهودى مرة أخرى ليطلب من آمريكا ودول أوربا : كم تدفعون وإسرائيل لا تدخل الحرب ؟ .. كم تدفعون مقابل أن نكون ضباط نفس أمام هجمات العرب البربر ؟ .. كم تدفعون ثمناً لسكوتنا عن صواريخ العراق ؟ .. كم تدفعون مقابل استجابتنا القهرية للرغبة الغربية ؟ فدفعت أمريكا وأوربا عشرات المليارات من الدولار فى شكل مساعدات عسكرية ومادية وإنسانية والأكثر فى شكل دعم معنوى لا يقدر بمال ، لتصبح الصواريخ العراقية بمثابة « نعمة » حلت بإسرائيل فهبت معها رياح المكاسب من شكل :

مكاسب مادية. ومكاسب عسكرية

ومكاسب سياسية ومكاسب معنوية .

وحتى تزداد هذه المكاسب يوماً بعد آخر فقد كان مهماً أن تعتمد الدعاية الصهيونية على فكرة أن العراق يوجه صواريخه إلى تجمعات مدنية — وركزت كثيراً على كلمة مدنية ، وكأنه لا يوجد مدنيين إلا فى إسرائيل ، وكأن العراقيين الذين تعرضوا لمئات الآلاف من الأطنان من القنابل التى ألقتها عليهم طائرات التحالف ، ليسوا هم مدنيين ، بل ليسوا هم بشر ! كما كان **مهماً أيضاً أن تركز على أن الصواريخ تسقط على بلد لم يشارك أصلاً فى الحرب — مع أن هذه الحرب تمت كخدمة مباشرة لها ..** وأن تركز على ذكر كلمة **الإرهاب** حين عرضت قضيتها داخل الدول الغربية التى رأت فى ذلك عملاً من أعمال « جرائم

---

(١) أنيس منصور : مواقف . الأهرام عدد ٣ مارس ١٩٩١ .

الحرب» .. ولم تنس إسرائيل أن تنقل لهم صور الرعب البادى على الوجوه اليهودية من جراء الصواريخ التى يطلقها العربى الإرهابى البشع ، حيث إن هذه الصور أجدى فى استدرار العطف من مئات النداءات الإنسانية .. **والأهم من كل ما سبق أنها أرادت أن تجعل العالم يعيش على أعصابه : إسرائيل قد تتدخل اليوم فى الحرب ..** وذلك برفضها منح أى تعهدات كتابية للولايات المتحدة بعدم الدخول فى الحرب ، فكان لها بعد أن نفذت تكتيكاتها المشار إليها سابقاً أن كسبت من مرحلة الصمت المزعوم ، دون أن تخسر فرصة التصدى للعراق من جهة ومن جهة أخرى دون أن تخسر خسائر مادية وبشرية جسيمة ، **حيث لم تخسر إسرائيل سوى تهدم بعض المنازل ، وأربعة قتلى وعشرات الجرحى ، ومثل هذه الخسائر يمكن أن تخسر أضعافها فى حادث أتوبيس ، أو سقوط طائرة ، أو تصادم شاحنتين ، أو خروج قطار عن خطه الحديدى ..**

وإذا أردنا أن نحصر المكاسب والمزايا التى حصلت عليها إسرائيل بفضل صواريخ صدام حسين التى أتاحت بدورها لإسرائيل فرصة التظاهر بضبط النفس الأسطورى ، وهى مهمة فوق طاقة كل من يتصدى لها ، فلنا أن نعرض أمثلة على المكاسب المادية والعسكرية والمعنوية والسياسية التى كسبتها إسرائيل من الدعم الغربى المباشر لها ، ثم نعرض لمكاسبها غير المباشرة والتى حازت عليها بسبب الخسائر العربية التى مُنى بها العرب من جراء مغامرة صدام حسين الرعناء :

* **من المكاسب التى حصلت عليها إسرائيل من دول المجموعة الأوربية** تذكر موافقة المجموعة الأوربية على استئناف التعاون مع إسرائيل . ووفقاً لما قاله «صوت لندن»(١) ، كان هذا التعاون قد أوقف مع إسرائيل عام ١٩٩٠ احتجاجاً على الأوضاع السيئة التى يعانى منها الفلسطينيون فى الضفة الغربية وغزة .

* **من المكاسب التى حصلت عليها إسرائيل فى إيطاليا نذكر**(٢) تحول اتجاه الرأى العام الايطالى لصالح إسرائيل **حيث تحركت التحركات** الشعبية من أجل السلام إلى تحركات من أجل التضامن مع الشعب الإسرائيلى ، وأخذت الصحف الإيطالية

---

(١) مساء يوم ٢٥ يناير ١٩٩١ .

(٢) مجلة المصور ، عدد أول فبراير ١٩٩١ .

تستخدم فى مقالاتها عبارة «إسرائيل الدولة المسالمة»(!) واضطر رئيس الوزراء الإيطالى «اندريوتى» إلى استقبال رئيس الجالية اليهودية فى إيطاليا ليعرب له عن تضامن حكومته ، وحتى زعيم الحزب الشيوعى «اوكيتو» ـــ الذى دأب على مناصرة القضية الفلسطينية والفلسطينيين ـــ وجد نفسه يستنكر الضربات «العشوائية» للصواريخ العراقية ، وقدم ٥٠ نائباً فى البرلمان الايطالى طلباً للحكومة الإيطالية بضرورة السعى لدى الفاتيكان للاعتراف رسمياً بإسرائيل ، بل إن البابا «يوحنا بولس الثانى» نفسه ، وجه بياناً يواسى فيه المدنيين الإسرائيليين المصابين من جراء الصواريخ العراقية ـــ الطائشة واستخدم اسم «دولة إسرائيل» لأول مرة فى هذا البيان ، مما مهد الطريق لقيام الفاتيكان بالاعتراف بإسرائيل .

* **من المكاسب التى حصلت عليها إسرائيل من هولندا** ، نذكر قيام الحكومة الهولندية بإرسال ٨ بطاريات صواريخ من نوع «باتريوت» الذى هو عبارة عن صاروخ امريكى مضاد للصواريخ ، كمساعدة منها فى صد الهجوم الصاروخى «الغاشم» الذى تتعرض له حياة المدنيين فى إسرائيل . مع العلم أن بطارية الصواريخ الواحدة من هذا النوع تتكلف أكثر من مائة مليون دولار ، بينما يبلغ سعر الصاروخ الواحد ١,١١ مليون دولار .

* **من المكاسب التى حصلت عليها إسرائيل من النمسا وبريطانيا** ، قيام وفد بريطانى ـــ نمساوى بالتوجه لإسرائيل يضم ممثلين من أعضاء الحزب الاشتراكى وحزب الشعب الحاكمين ، وأيضاً ممثلين عن الحزب الديمقراطى الحر المعارض ، بهدف إبداء تضامنهم مع الشعب الإسرائيلى ، وبحث إمكانية المساعدات «الإنسانية» (!) التى يمكن أن تقدمها النمسا وبريطانيا لإسرائيل تعاطفاً معها بعد الهجوم العراقى .

* **من المكاسب التى جنتها إسرائيل من الاتحاد السوفيتى** ، نذكر قيام الاتحاد السوفيتى ـــ المعروف بصداقته للعراق ـــ بإدانة الهجمات الصاروخية العراقية على إسرائيل ، ثم قيامه بعد ذلك بالإعراب عن استعداده لإقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل ، وقد تلا ذلك تطور مهم حيث عرضت موسكو ـــ حسب زعم

مسئولين إسرائيليين[1] — بيع صواريخ مضادة للصواريخ لإسرائيل لمواجهة أنظمة الصواريخ العربية .

من المكاسب التى حصدتها إسرائيل — كعادتها — من ألمانيا — وهى جمة وكثيرة نذكر :

— تقديم المستشار الألمانى « هيلموت كول » مساعدات مادية فورية فى شكل مساعدات إنسانية مقدارها ٢٥٠ مليون رك (١٦٥ مليون دولار) (!) .

— توجه « هانز ديتريتش جينشر » وزير خارجية ألمانيا وبرفقته رؤساء الأحزاب الرئيسية فى ألمانيا إلى إسرائيل للوقوف إلى جانبها وإظهار تضامن ألمانيا معها[2] .

— تقديم ألمانيا عدد من دبابات « فوكس » التى تعتبر من أحدث أنواع الدبابات حيث إنها محصنة ضد الحروب الكيماوية ومحصنة ضد أشعة الليزر ، إلى إسرائيل .

— منح إسرائيل أربعة أنظمة من نظم الدفاع الجوى هى بطاريات صواريخ باتريوت ورولأند وهوك وجيبارد التى تعد من أحدث وسائل الدفاع الجوى .

— إهداء إسرائيل دبابات من نوع « جيبارد » المزود بمدفع مضاد للطائرات عيار ٣٥ ملم ويبلغ وزنها ٤٧ طناً وتستطيع إطلاق ٥٥٠ قذيفة فى الدقيقة الواحدة لتصيب الهدف بدقة متناهية ومن على بعد ٢,٥ كيلو متر ، وهى بذلك أحدث ما فى سوق السلاح .

إعطاء إسرائيل تعهداً — تم تنفيذه فعلاً — بإعداد مشروع قانون يجعل تصدير السلاح للدول العربية مستحيلاً .

— دفعت صواريخ العراق ، النظام الألمانى — وريث النازية (!) لتقديم منحة مالية كبيرة ، ستشترى بها إسرائيل التجهيزات الجديدة لغواصتين نوويتين يجرى بناؤهما حالياً فى ألمانيا — وكانت ألمانيا قد تبرعت بهما لإسرائيل قبل عامين — حاملة للصواريخ من طراز « كروز » ذات الرؤوس المجهزة للقذائف النووية أو الشديد الانفجار أو الكيماوية .

---

(١) صحيفة الوفد عدد ٢٢ يونيو ١٩٩١ نقلاً عن وكالة « رويتر » .

(٢) والغريب أن جينشر قد تعرض لنقد شديد داخل إسرائيل بسبب دور الألمان فى مساعدة العراق .

ـ بحثت الحكومة الألمانية طرق منع المؤسسات الألمانية من التوقيع على بنود بمقاطعة إسرائيل فى التعاقدات مع الشركات العربية ، حيث كانت الأخيرة تشترط من قبل التزام الشركات الألمانية لبنود اتفاقية المقاطعة العربية لإسرائيل التى تنص على أن الدول العربية لن تتعامل وبصفة إجماعية فى أى مجال من المجالات مع المؤسسات والشركات الأجنبية التى لا تحترم القواعد المرعية والخاصة بمنع التعامل فى أى مجال من المجالات مع الحكومة الإسرائيلية أو الشركات الإسرائيلية التابعة لها .

ـ طالب النواب الألمان الحكومة الألمانية بفرض ضريبة تخصص حصيلتها لإسرائيل إعراباً عن تضامن الشعب الألمانى مع إسرائيل فى مواجهة الهجمات الصاروخية العراقية .

*** أما عن المكاسب التى حصلت عليها إسرائيل من الولايات المتحدة الأمريكية ، وهى تفوق الحد والوصف ، فنذكر :**

ـ تعهد أمريكا رسمياً بحماية أمن إسرائيل من خطر الصواريخ العراقية ، التى راحت تتعقب منصات إطلاقها فى غرب العراق ، حتى أجهزت عليها تقريباً .

ـ منحت أمريكا لإسرائيل عدداً كبيراً من بطاريات صواريخ باتريوت للدفاع عن نفسها ضد صواريخ سكود «وليس هذا فقط ، فقد أصبحت أمريكا مسئولة مسئولية كاملة عن وليدها الرضيع ـ إسرائيل ـ حيث لم تكتف بإرسال الصواريخ باتريوت وبطارياتها ، ولكن أرسلت معها الأطقم اللازمة للعمل على الصواريخ ، مما يعنى فى طياته اعترافاً رسمياً ببنوة أمريكا لإسرائيل ، وقد انعكست هذه البنوة على أطقم الصواريخ التى أرسلت لتشغيل البطاريات حيث صدرت إليهم تعليمات بالعمل تحت الإشراف التكتيكى لرئاسة الأركان الإسرائيلية ، بمعنى ـ كما أوضح ذلك مسئول بوزارة الخارجية الأمريكية(1) ـ إن الإسرائيليين هم الذين يقررون كيفية مواجهة الصواريخ العراقية ، ويختارون كيف يستخدمون صواريخ باتريوت ، أى بمعنى أصبح أن الضباط والفنيين الأمريكيين سيعملون تحت

---

(1) نقلًا عن جريدة الجمهورية عدد ٢٤ يناير ١٩٩١ .

إمرة السادة الإسرائيليين ليتحولوا من سادة إلى عبيد (!)

ــ استطاعت إسرائيل بفضل الصواريخ العراقية أن تستغل الأقمار الصناعية الأمريكية للإنذار المبكر حيث لم يكن باستطاعة إسرائيل أن تملك ذلك فى الماضى . الأمر الذى وفر لإسرائيل عدة دقائق من الإنذار المبكر قبل وصول الصواريخ إلى إسرائيل ، بما يكفى لتفادى الخسائر فى الأرواح ، فيما يعد الاستغلال الإسرائيلى الأول لمبادرة الدفاع الاستراتيجى ، حرب النجوم ، بين أمريكا وإسرائيل :

ــ تعهدت أمريكا بمنح إسرائيل مبلغ ١٣ مليار دولار ، ثلاثة منها كتعويض فورى عن خسائرها فى مجال السياحة وارتفاع مدفوعاتها عن الواردات النفطية ، أما العشرة مليارات الباقية فهى لتمويل استيعاب المهاجرين اليهود الجدد إلى إسرائيل (مشروع المليون مهاجر) تسدد على خمس سنوات .

ــ منحت أمريكا لإسرائيل مبلغ ٦٥٠ مليون دولار كمعونة إضافية لتعويض الأضرار التى لحقت بها فى أثناء حرب الخليج[١] . هذا إلى جانب المعونات الأصلية التى تقدمها أمريكا لإسرائيل وبلغت ٤ مليارات دولار عام ١٩٩٠ ، إضافة إلى مبلغ ٤٠٠ مليون دولار كمنحة لتوطين المهاجرين اليهود السوفيت .

ــ حصلت إسرائيل على مزيد من الطائرات الأمريكية الحديثة طراز «إف ــ ١٥» كانت أمريكا تؤجل تسليمها لإسرائيل منها عشر طائرات من طراز «إف ــ ١٥» إيجل قيمتها ٦٥٠ مليون دولار . ومن المعلوم أن إسرائيل تمتلك ٤٨ طائرة من هذا الطراز حسب التقرير العسكرى الصادر من مركز الدراسات الاستراتيجية[٢] .

ــ منحت أمريكا ، وبموافقة الكونجرس ، مبلغ ٧٠٠ مليون دولار كمنح عسكرية إضافية لإسرائيل خلال حرب الخليج .

ــ تحسنت العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل ، فعادت العلاقات إلى دفئها السابق بعد أن كانت هذه العلاقات بالغة السوء بشكل لم يسبق

---

(١) اعتمد الكونجرس هذه المعونة الإضافية فى السادس من مارس ١٩٩١ .

(٢) تسلمت إسرائيل هذه الطائرات العشر فعلًا فى شهر أغسطس ١٩٩١ .

له مثيل من قبل، وكان «إسحاق شامير» رئيس وزراء إسرائيل قبل الصواريخ العراقية ، يعانى من معاملته على قدم المساواة مع رؤساء ليبيا والعراق وإيران وفلسطين ، وكلهم تصفهم أمريكا « بالإرهاب » .

ـــ أصبحت أمريكا ـــ كما يقول المراقبون الأمريكيون أنفسهم ـــ مدينة لإسرائيل ، لذا فستكون ملزمة دوماً بمكافئتها فى المستقبل لأنها مارست ضبط النفس (الاسطورى) ولم تتعجل الرد الفورى على الهجمات العراقية (!) .

ـــ بالإضافة إلى تنشيط العلاقات الامريكية الإسرائيلية بعد أن كانت تمر بمرحلة فتور ، فإن الصواريخ العراقية ، والجميل الذى حملته أمريكا فى عنقها لإسرائيل ، كان ذريعة لمزيد من التشدد الإسرائيلى والمغالاة فى الطلبات الإسرائيلية من أمريكا ، فنجد أن السفير الإسرائيلى فى واشنطن ، يخاطب الولايات المتحدة وكأنها هى التابعة له وليس العكس ، ويؤنبها بلهجة متعالية على تأخيرها فى سداد ٤٠٠ مليون دولار ، كانت أمريكا قد تعهدت بدفعها لإسرائيل شريطة الحصول على ضمانات بعدم استخدامها فى توطين المهاجرين اليهود الجدد فى الضفة الغربية وغزة .. ورغم رفض أمريكا لهذا الأسلوب ، إلا أنها استجابت لإسرائيل فى توريد المبلغ المذكور دون حصولها على تأكيدات فعلية بعدم استخدامه فى الضفة الغربية وغزة .. بل ورغم علمها المسبق أن المبلغ يمكن أن يستخدم فى إسكان المهاجرين داخل إسرائيل نفسها ، فى حين تتجه الميزانية الإسرائيلية التى كانت مرصودة للاسكان فى إسرائيل إلى الإسكان فى الضفة الغربية وغزة ، أى أن الميزانية انتقلت من الأذن اليمنى إلى الأذن اليسرى ، على غرار «ودنك منين ياجحا» !

وقد بلغ هذا التعالى قمته حين راحت «تل أبيب» تنتقد الصاروخ الأمريكى الاعتراضى باتريوت الذى أخذته كمنحة مجانية من واشنطون (!) فتولى «موشى ارينز» وزير الدفاع الإسرائيلى مهمة تسفيهه والنيل منه بشكل مُخز أدى إلى السخرية منه ، هكذا على رؤوس الأشهاد وبجرأة لم تستطعها أية دولة أخرى . بل بدا الأمر وكأن إسرائيل تخاطب الدولة التى تحميها ـــ لا على أساس ندى بحت ، بل أكثر من ذلك من مركز تفوق[1] (!) وذلك على غرار الاستجداء

(١) رأى الأهرام ، عدد ٢٨ فبراير ١٩٩١ .

بأسلوب : «هات وأنا سيدك» ، وهو أسلوب تجيده إسرائيل ، معتمدة فى ذلك على أذنابها الصهيونية فى مراكز الثقل الإستراتيجى الأمريكى ، استخدامه ، مما حدا بالدولة الذليلة (أمريكا) أن تستجيب لكل الانتقادات الموجهة إليها من الدولة الأكثر تفوقاً ، فتوافق على مشاركة إسرائيل فى مهمة تطوير صاروخ «باتريوت» المنتقد !!

وقد تجاوز هذا التعالى حدة ، حين شد «رحبتام زئيفى» الوزير الإسرائيلى بلا وزارة ، ومعه الإعلام الإسرائيلى حملة على الرئيس الأمريكى جورج بوش ووزير خارجيته جيمس بيكر ، اتهمه فيها بالكذب والعداء لاسرائيل ومناهضة السامية ! كما سبق وأن أوضحنا فى الفصل السابق .

*** ومن المكاسب السياسية والعسكرية الأخرى التى حصلت عليها إسرائيل نذكر :**

ـــ بعد ضرب إسرائيل بالصواريخ العراقية تلاشى الجدل الذى كان دائراً داخل الحكومة الإسرائيلية حول تطوير الصاروخ الإسرائيلى جيتس المضاد للصواريخ ، والذى كان يحتاج إلى تضامن أمريكى ـــ أوربى من أجل تمويله وتسويقه ، فقد أصبحت الولايات المتحدة متكفلة تماماً بمساعدة إسرائيل على حل المشاكل التى تعترض صناعة وتطوير هذا الصاروخ الباهظ التكاليف ـــ مثله مثل كل الأسلحة المتطورة ـــ فتعهدت بدفع ٨٠٪ من تكاليف إنتاج الصاروخ ، بالإضافة إلى تسويقه ، أما نسبة الـ ٢٠٪ الباقية من التكاليف فسوف تدفع أيضاً لإسرائيل فى إطار برنامج «حرب النجوم» . وهكذا فقد أعطت صواريخ صدام حسين فرصة العمر لكى يتحول مشروع «الجيتس» من مشروع مهجور إلى واقع مدمر .

وتجدر الإشارة إلى أن الخلاف بين الولايات المتحدة وإسرائيل كان يدور حول مدى حاجة إسرائيل إلى هذا الصاروخ ، ولكن ضرب إسرائيل بالصواريخ أضعف الحجة الأمريكية ، فوافقت على تكملة مراحل إنتاج الصاروخ حيث شاركت أمريكا من قبل ومولت ٨٠٪ من تكاليف المرحلة الأولى ، فى حين وافق الكونجرس الأمريكى على تقديم ٤٢ مليون دولار من أصل ٢٤٠ مليون دولار كتكاليف للمرحلة الثانية ، بينما تتكلف المرحلة الثالثة ٢٥٠ مليون دولار تقريباً

ووافق التكفل الأمريكى بإنتاج الصاروخ فقد أصبحت أمريكا ملزمة بسداد ما قيمته ٣٩٨ مليون دولار لإسرائيل . للانتهاء من المرحلتين الثانية والثالثة[١] ، وقد أشارت الأنباء الأخيرة إلى أن أمريكا سوف تمنح إسرائيل قريباً مبلغ ٢٠٠ مليون دولار من أصل المبلغ المخصص لتطوير الصاروخ[٢] .

ــ أتاحت الصواريخ لإسرائيل فرصة التشدد أمام الرأى العام الداخلى والخارجى ، ووجدت مبرراً لرفع ميزانية الدفاع الإسرائيلية بمقدار ١٢٠ مليون دولار ، وذلك لتغطية نفقات الأشهر الثلاثة الأولى من أزمة الخليج التى بدأت فى ٢ من نوفمبر ١٩٩٠ ، فى حين زادت الميزانية الجديدة لعام ١٩٩٢ بمبلغ ٢١٢ مليون دولار توجه بكاملها لشراء أسلحة جديدة للمحافظة على التفوق التكنولوجى على الدول العربية ، ولأغراض الدفاع .

كما أقدمت اسرائيل على تعيين اليمينى المتطرف ، والمنادى بطرد العرب « رحبتام زئيفى » فى محاولة منها لتعزيز موقف حرب الليكود ضد أى حل وسط يتعلق « بصيغة الأرض مقابل السلام » التى يريد العالم بأجمعه اتخاذها كمبدأ أساسى لحل المشكلة العربية ــ الاسرائيلية .

ــ اعطى ضرب « إسرائيل » بالصواريخ ذريعة سياسية لوضع حد لمفهومها السابق عن « الحدود الآمنة » ومن ثم فهى ستطالب « بحدود أكثر أمنا » تتناسب مع مايملكه العرب من أسلحة يتعدى مداها حداً معيناً كالصواريخ العراقية التى يصل مداها إلى ٩٥٠ كيلو متر ، ومعنى ذلك أن إسرائيل كفيلة بأن تصر على حدود « أمنية » تتفق واسطورة أرض الميعاد التى تمتد من النيل إلى الفرات ؟.

ــ تسلمت إسرائيل أسلحة ومعدات عسكرية من كثير من دول العالم خاصة الولايات المتحدة الأمريكية التى قامت بتزويدها بالأسلحة فى أكبر جسر جوى منذ حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وألمانيا التى منحتها صفقة هائلة تعد الأولى من نوعها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، تفوق احتياجاتها الفعلية حيث أن الترسانة

(١) عن الصاروخ جيتس يمكن مراجعة الأهرام عدد ٣٠ يناير ١٩٩١ .
(٢) الأهرام عدد ٣ يونيو ١٩٩١ .

العسكرية الإسرائيلية متكدسة أصلاً بأسلحة كثيرة متشابهة ، الأمر الذى يعنى أن الغرب قد قدم لإسرائيل بضاعة حربية جاهزة ، يمكن إعادة تصنيعها أو إبقائها كما هى ، أو تطويرها ، ووضع أسماء عبرية عليها وإعادة تصديرها للنظم العسكرية فى آسيا وأفريقيا وبأسعار لا تنافس لأنها أتت لإسرائيل مجاناً ، وبلا أسعار أصلاً !

ـــ يمثل وصول هذه الأسلحة إلى إسرائيل ، فى « ظل أجواء من الرضاء العالمى » وأحد من أهم المكاسب التى تستحق التأمل ، وظاهرة تحدث لأول مرة فى تاريخ إسرائيل ، فبعد أن كانت الدول العربية تسعى جاهدة للضغط على الولايات المتحدة لتقليص إمداد إسرائيل بالأسلحة ، فإن وصول صواريخ « باتريوت » وغيرها إلى إسرائيل لم يواجه بأى معارضة بالمرة ، بل أن بعض الدول العربية ـــ ومن بينها مصر ـــ أيدت حق إسرائيل فى الرد على صواريخ مضادة لصواريخ « صدام حسين » دفاعاً عن نفسها وفق مبادىء الشرعية الدولية ! وهذه سابقة تحدث لأول مرة فى تاريخ الصراع العربى ـــ الإسرائيلى .

ـــ أملت الظروف الناشئة عن تحسين العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل ، بفعل الصواريخ العراقية ، قيام الأولى بتطوير اتفاقية التعاون والدفاع الاستراتيجى مع الثانية ، فأصبح بموجب هذا التطوير الحق للأولى فى تخزين أسلحتها بالثانية ، حيث تم الاتفاق بين كليهما على تخزين الأسلحة الأمريكية لدى هذا الحليف المضمون (!) مما يجعل من دولة إسرائيل بؤرة مركزة ومكدسة لنشوب التوترات والقلائل فى منطقة متوترة ومقلقلة أصلاً . هذا عدا أن الولايات المتحدة قد دفعت لإسرائيل مبلغ ٣٠٠ مليون دولار مقابل تخزين الأسلحة الأمريكية ، مما يكسب إسرائيل مزيداً من القدرة الاقتصادية على إحداث التوترات .

ـــ حصلت إسرائيل بفضل الصواريخ العراقية على أموال تقدر بعدة مليارات من الدولارات ، استفادت منها فى توطين المهاجرين اليهود السوفيت الذين كانوا يعيشون فى خيام قرب تل أبيب والقدس بعد أن تزايدت أعداد القادمين منهم إلى أرقام فلكية وصلت إلى ٢٠٠ ألف مهاجر يهودى روسى عام ١٩٩٠ .

ـــ عطت أنباء الصواريخ العراقية على أعمال القمع التى يمارسها الإسرائيليون ضد

الفلسطينيين بالأراضى العربية المحتلة بصورة لم يسبق لها مثيل ، إذ تحولت المؤشرات الإعلامية بكاملها نحو أحداث حرب الخليج ، وتركت لإسرائيل الفرصة فى ممارسة حظر التجول الكامل على الفلسطينيين فى الضفة والقطاع لمدة زادت عن أربعة أسابيع ، مما حول الضفة والقطاع إلى سجن كبير حدوده هى «الحدود الخضراء» ، وأضحى فيه المسجونون سجناء فى بيوتهم وخيامهم لا يستطيعون كسب قوتهم أو ممارسة حياتهم العادية تجارة كانت أو زراعة . هذا عدا تعرض بعضهم لقرارات الترحيل إلى خارج الضفة والقطاع تحت سمع وبصر العالم المشغول بأزمة الخليج عن أزمة الفلسطينيين !

ـــ أتاحت الصواريخ فرصة دعائية جيدة لإسرائيل ، فظهرت بمظهر : الداعى إلى السلام ـــ حامى الحضارة ـــ ضابط النفس ـــ العاطف على خصمه الفلسطينى ، وذلك حين قامت فى حملة إعلانية كبيرة بتوزيع ٧٢ ألف كمامة من الأقنعة الواقية من الغازات على الفلسطينيين المقيمين بالضفة الغربية . الأمر الذى أكسبها قطاعاً أكبر من الرأى العام العالمى ، كان قد تحول عنها سابقاً . صحيح أن هذا العالم قد خُدع فى هذه الحيلة الدعائية الإسرائيلية حيث ثبت فيما بعد أن هذه الأقنعة كانت غير صالحة للاستخدام ، وذلك باعتراف الصحف الإسرائيلية التى بررت توزيع هذه الأقنعة رغم أنها تالفة ، بقول «فوشيه ارينز» : أن المستوطنين الإسرائيليين هم السبب فى توزيع هذه الكمامات الفاسدة[1] ، لكن الصحيح أن نشر هذا الخبر لم يتم بنفس الطريقة الإعلامية التى استخدمت فى توزيع الأقنعة ، وبالتالى ظل الجانب الأكبر من قطاع الرأى العالمى «المخدوع» غافلاً عن هذه الحقيقة .

ـــ بفضل الصواريخ تحولت إسرائيل فى نظر العالم أجمع إلى ضحية من ضحايا الإرهاب العربى ، **حيث «ثبت» صدام حسين «بغبائه» الشديد و «عناده» الأشد ، أسطورة «العربى القبيح» فتم موازاته بالديكتاتور الألمانى النازى «ادولف هتلر» والروسى «جوزيف ستالين» رغم كل ما يملكه الغرب من عداء نفسى ضد كليهما .. الأمر الذى أعطى إسرائيل مكاسب معنوية تمثلت فى الحصول على أكبر قدر من التعاطف والتأييد الغربى معها ولها !**

---

(١) الأخبار عدد ١١ من أبريل ١٩٩١ .

ــ أوقفت الصواريخ العراقية إسرائيل فى صف واحد مع العرب المتضررين من صواريخ العراق ، خاصة السعودية .

ــ ففى مقابل ٢١ صاروخاً سقطوا على السعودية فى الفترة من ١٩ يناير حتى ٢٦ يناير فقط سقط على إسرائيل خلال نفس الفترة ١٣ صاروخاً فقط[١] ــ وكان من نتيجة ذلك تردد الأنباء عن مراجعة بعض الدول العربية لموقفها تجاه إسرائيل ، خاصة السعودية ، التى نفت ذلك فيما بعد[٢] ، أيضاً فقد كان رفع صدام حسين لشعار : الربط بين قضية الكويت وقضية فلسطين ، سبباً جديداً لالتقاء الآراء العربية مع الآراء الإسرائيلية فوقف الجانبان ضد شعار صدام الزائف والمراوغ ، واستفادت إسرائيل سياسياً !

ــ أصبح العدوان العراقى على الكويت ورفض الانصياع لقرارات الأمم المتحدة شهادة لإسرائيل فى محكمة المجتمع الدولى على أنها ــ ستظل فى خطر التعرض للاعتداء من جانب العرب الذين لا يتورعون عن قتل بعضهم بعضاً والاستيلاء على أراضى الغير وترويع أمنهم ، بل وترويع أمن غيرهم ــ إسرائيل ــ التى لا ناقة لها فى الحرب ولا جمل (!) . فإذا كان تصرف العرب حيال العرب هكذا ! فما بالك بإسرائيل المصنفة عدواً عندهم .

ــ أعطى احتلال الكويت من قبل العراق ، وتأكيد الأخير على « حقوقه التاريخية الثابتة بالكويت » ــ أعطى لإسرائيل ، لفترة من الوقت ، أساساً لما تنفرد به من ضم الأراضى بالقوة ، وإخفاء أطماعها وراء قناع الحقوق التاريخية .

وهكذا ــ وكما هو واضح من المكاسب السابقة ، ومن غيرها ــ قد خفى عنا ــ حصلت إسرائيل على مجموعة من المكاسب السياسية والعسكرية والمادية والاقتصادية والمعنوية أضعاف ما كانت ستحصل عليه لو دفعها انفعالها إلى الرد الفورى ومحاولة الانتقام العسكرى من العراق ، لذا فهى لم تستجب للضغوط الأمريكية بأبعادها عن حلبة الصراع لأنها مقتنعة بذلك ، ولكن لأن مصلحتها الواضحة من الابعاد كانت وراء ذلك ، وهى لم تتمسك « بضبط النفس المزعوم »

---

(١) صحيفة المساء عدد ٢٦ يناير ١٩٩١ .

(٢) الأخبار عدد ١١ أبريل ١٩٩١ .

لحرصها على احترام المخاوف الأمريكية من أن يؤدى تورطها فى الحرب إلى انشطار التحالف ضد العراق . ولكن — كما تقول وكالة «الاسوشيتدبرس» فى تقرير لها من القدس[1] — لأن إسرائيل تحقق عدة أهداف من وراء سياسة «ضبط النفس» . وما «ضبط النفس» هذا إلا أكذوبة أحسنت إسرائيل تجميلها لتصبح أسطورة من أساطير إسرائيل السياسية التى تكسب دائماً من ورائها .. تماماً مثلما كسبت من وراء الصراع فى حرب الخليج ككل ، حيث تعددت مكاسب إسرائيل من وراء الصراع عامة ، مكاسبها من وراء سقوط الصواريخ العراقية ، **فإذا كانت الصواريخ «الصدامية ، الفشنك» قد نجحت فى تعزيز كيان إسرائيل وجعلته أشد وأقوى وأعظم بأساً وأكثر خطورة على أمتنا العربية ، فإن حرب الخليج قد حققت لإسرائيل مكاسب أكبر وأخطر وأكثر من ذلك ، ومن هذه المكاسب نذكر :**

* **إضعاف الآلة العسكرية العربية، بيد غير يد إسرائيل، ودون أن تخسر إسرائيل شاقلاً واحداً** ، إذ تكفلت قوات التحالف بتحقيق الأمنية الإسرائيلية ، وهى تدمير آلة الحرب العراقية ، مما يخفض حجم وقدرة القوات العربية بنسبة الثلث تقريباً ، حيث كانت الترسانة العسكرية تمتلك ما يزيد عن خمسة آلاف دبابة وثلاثة آلاف عربة مدرعة ونحو ٥٠٠ صاروخ بعيد المدى ، وما يزيد عن ٦٠٠ طائرة حربية ، أدت حرب الخليج إلى تدمير ما يزيد على ثلاثة أرباعها جميعاً . الأمر الذى يخل بميزان القدرة العربية .

* **إضعاف أحلام مضاعفة القدرة الاقتصادية العربية عبر توظيف الثروة العربية لصالح التحديث والتقدم والتحرر فى إطار التكامل العربى** ، إذ وأدت حرب الخليج هذه الأحلام حين تكفلت الدول العربية بالجانب الأكثر من نفقات الحرب ، فى حين أن الحرب موجهة أيضاً إلى جانب عربى ، وتلك هى الآفة الكبرى ، الضارب والمضروب عرب ، وقد أشارت تقديرات الخبراء الاقتصاديين إلى أن خسائر البلدان العربية من جراء حرب الخليج بلغت ٤٣٨ مليار دولار ، مما يعنى احتياج العالم العربى إلى جهود ضخمة على مدى عدة أجيال لتعويض هذه

---
(١) الأهرام عدد ١٥ فبراير ١٩٩١ .

الخسائر[1] ! .. والغريب أن الولايات المتحدة الامريكية رغم قيامها بالجانب الأكبر من العمليات الحربية خرجت من الحرب وفى جيبها مبلغ ٣٣ مليار دولار أرباحاً صافية (!)[2] .

* **انهيار أحد أعمدة العرب الرئيسية التى كانوا سيعتمدون عليها فى المرحلة القادمة للوصول إلى إحدى حالتين :**

ــ **منطقة منزوعة من أسلحة التدمير الشامل** (الأسلحة غير التقليدية) فى الشرق الأوسط ، بما فى ذلك دولة إسرائيل .

ــ « **تعادل الموت** » حيث يسمح امتلاك الطرفين العرب وإسرائيل لأسلحة الدمار الشامل بحدوث توازن فى قوى الدمار .

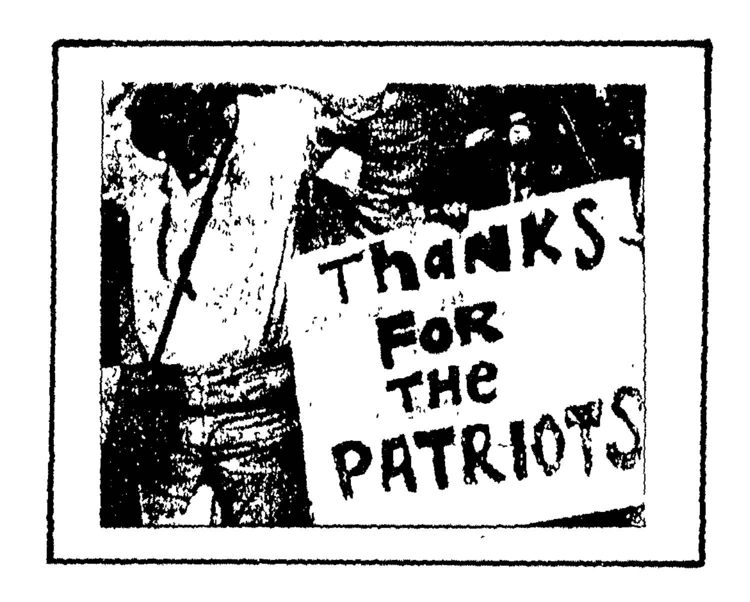
ولكن انهيار القدرة العراقية نووية أو كيمائية أو صاروخية بفضل الضربات الجوية والصاروخية التى قامت بها قوات التحالف ضد أماكن تواجدها ، جعل إسرائيل تنفرد بامتلاك مثل هذه النوعية « القذرة » من الأسلحة ، والغريب أن بعثات التفتيش الدولية مازالت حتى بعد مرور ثمانية أشهر على حرب الخليج تجوب أنحاء العراق بحثاً عن أى رائحة يشتم منها امتلاك العراق لقدرات نووية ، فى نفس الوقت تركت إسرائيل التى أعلنت على لسان رئيس دولتها امتلاكها الرسمى للأسلحة النووية ، تركتها لحال سبيلها !

* **انهيار الدعم المالى الذى كان يسند « زير » منظمة التحرير الفلسطينية** ، والفلسطينيين الذين يعانون شظف العيش فى الضفة الغربية وغزة وذلك بتوقف الدعم المالى الذى كانت دولة الخليج تقدمه لمنظمة التحرير الفلسطينية ، نتيجة تأييد رئيسها « **ياسر** » عرفات ، لموقف صدام حسين ، وتوقف تحويلات أقارب الفلسطينيين بالضفة والقطاع ، والموجودين فى دول الخليج بسبب اعتبارهم طابوراً خامساً للنظام البعثى العراقى ، **وعند هذه النقطة (التأييد الفلسطينى**

---

(١) صحيفة الوفد عدد ٢٤ أبريل ١٩٩١ .

(٢) صحيفة أخبار اليوم ٢١ سبتمبر ١٩٩١ ، حيث ذكرت تقارير مكتب الإدارة والميزان الأمريكى بأن الدول المشتركة فى التحالف تعهدت بدفع ٤٨ مليار دولار فى حين أن تكاليف عمليتى درع الصحراء وعاصفة الصحراء كانت حوالى ١٥ مليار دولار ، وبالتالى فإن أمريكا حققت ربحاً قدره ٣٣ مليار دولار .



يهود يشكرون أمريكا على إرسالها صواريخ باتريوت إلى إسرائيل لقد مثلت هذه الصواريخ أحد أهم مكاسب إسرائيل من حرب الخليج التى أدعت فيها ضبط النفس قهراً وضد رغبتها . لقد كان العراق ــ على حد قول إسحاق رابين ــ رئيس الوزراء السابق ــ وراء مضاعفة القوة العسكرية الإسرائيلية فلولا الحرب ما استطاعت إسرائيل أن تحصل على صواريخ باتريوت .



صاروخ باتريوت ينطلق فى سماء تل أبيب لصد صاروخ عراقى رغم كل ما حققه الصاروخ لإسرائيل . عادت إسرائيل فانتقدته !

لديكتاتور العراق) يهمنا أن نركز على الأسباب التى دعت إلى مثل هذا التأييد وقادت قيادة الانتفاضة إلى الاعتماد على الخارج لانهاء الاحتلال الإسرائيلى لفلسطين ، وهو أمر حدث فى بعضه لاشعورياً نتيجة تراكم الصراع العربى ـــ الإسرائيلى على مدار نصف قرن من الزمان ، وفى بعضه الآخر تم دفع الفلسطينيين من قبل إسرائيل إليه دفعاً . فمن جهة ، فإن الفلسطينيين ، ونتيجة لتصريحات صدام الخاصة بقدرته على حرق نصف إسرائيل ، وجدوا لأول مرة بطلاً يستطيع أن ينقذهم من جحيم العصابة الصهيونية الحاكمة فى إسرائيل ، خاصة وأن صدام حسين ظل طوال عدة شهور سابقة على أزمة الخليج يتحدث باعتباره الناطق باسم فلسطين ، والمدافع عنها ؛ بل والوحيد المؤهل لضرب عمق إسرائيل ، مثلما ضرب عمق إيران .

ومن جهة ثانية فقد دفع الإعلام الإسرائيلى الفلسطينيين دفعاً لتأييد حاكم العراق ، فاتبعت الدعاية الإسرائيلية مع الفلسطينيين أسلوباً معقداً وبالغ البشاعة لدفع الفلسطينيين إلى هذا الموقف . بل حاولت الحكومة الإسرائيلية جاهدة قطع الطريق أمام بلورة رأى عام فلسطينى يعارض حاكم العراق ويعارض احتلاله للكويت ، فقامت على سبيل المثال باعتقال السيد «نسيبة» الذى أدان الغزو العراقى للكويت ! وذلك **كجزء من استراتيجية صهيونية تهدف إلى :**

ـــ**تشويه صورة الفلسطينيين أمام الرأى العام العالمى،** مما يمنحها فعلًا الذريعه الدعائية ، على الأقل ، لكى تعاملهم معاملة قاسية دون أن تجد أى احتجاج عالمى . وهذا ما حدث فعلاً عندما قامت إسرائيل بفرض حظر التجول عليهم طوال شهر الحرب الأول دون أن تراعى ظروفهم المعيشية السيئة ، وحركتهم الاقتصادية الراكدة واحتياجاتهم الماسة إلى المواد الغذائية الأساسية التى تقيم أودهم خلال تلك الفترة ، مما اضطر الحكومة المصرية إلى طلب رفع حظر التجول عن هذا السجن الكبير الذى صنعته إسرائيل للفلسطينيين .

ـــ **إحداث القطيعة والفرقة بين الفلسطينيين والعراقيين من جانب ، وباقى العرب من جانب آخر ، وللحقيقة فقد تكفلت حرب الخليج بإحداث انقسام عربى حاد ، مما جعل إسرائيل مطمئنة ولعدة سنوات قادمة إلى أن أحداً لن**

يزعجها ، فى حين تكفلت صواريخ صدام بصنع أسطورة ضبط النفس ، وخدعة الإستجابة القهرية للرغبة الغربية ، والتى لولاهما لما تدفق على إسرائيل هذا السيل الهائل من المكاسب السياسية والمادية والعسكرية والمعنوية . فالفضل الأول لهذه المكاسب هو أسطورة الاستجابة القهرية للرغبة الغربية لضبط النفس ، والفضل الأول لهذه الأسطورة هو صواريخ صدام حسين الغبية ، التى لم تصنع شيئاً واحداً هاماً للعرب سوى أنها هزت نظرية الأمن الإسرائيلى . وهذا حديث آخر .



● أسطورة الأمن الإسرائيلى

ـــ الأمن أحد المشاعر التى لا تدخل فى إطار القياس .

ـــ الأمن القومى الإسرائيلى خلافاً للقاعدة لا يرتبط بأمن الدول المجاورة !

ـــ استغلال أسطورة المساواة للتوسع على حساب العرب .

ـــ التفسير الحقيقى لرفض إسرائيل قيام الدولة الفلسطينية هو حاجتها إلى المياه .

ـــ ثوابت ومتغيرات المفهوم الأمنى الإسرائيلى .

ـــ الردع النووى الإسرائيلى يتحرك من نظرية « القنبلة فى القبو » إلى نظرية « هاهى القنبلة » !

ـــ صواريخ صدام حسين رغم أنها طائشة وبدائية إلا أنها هزت أمن إسرائيل الداخلى .

ـــ الهجرة ليست عماد الأمن لأنها وسيلة توسع .

ـــ ليس لليهود تراث واحد ولا ثقافة واحدة .

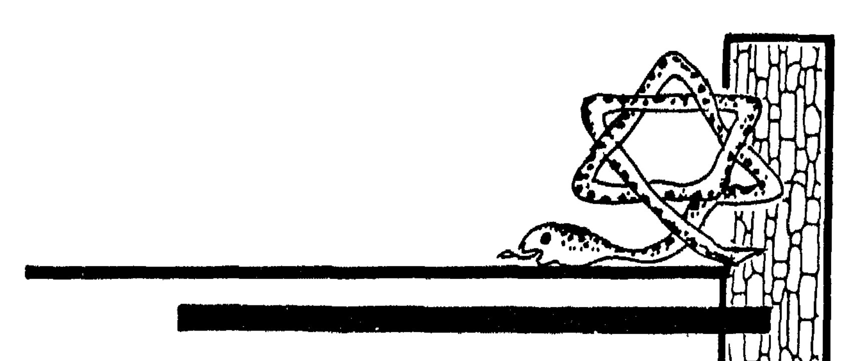
ـــ أثبتت الحروب مع إسرائيل انهيار مفهوم الحدود الآمنة والحرب الخاطفة والحرب الوقائية .

ـــ الردع النووى الإسرائيلى سلاح ذو حدين .

ـــ فشلت المخابرات الإسرائيلية فى تحقيق هامش الأمن بالزمان .

ـــ مخاوف إسرائيل الأمنية لا أساس لها إلا فى مخيلة مريضة .

ـــ السلام هو عماد الأمن ، ومثلما لا أمن لإسرائيل ، لا أمان لها .

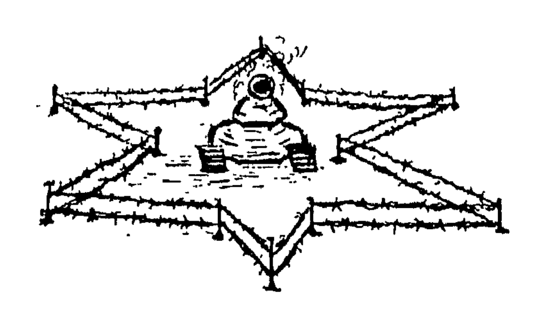


الفصل السادس

أسطورة الأمن الإسرائيلى

«إن الدرس القاسى الذى تعلمناه هو أن الجغرافيا وحدها لا يمكنها أن تضمن أمن إسرائيل ، وأن القوة العسكرية وحدها لا يمكنها أن تضمن أمن إسرائيل ، أن إسرائيل وجيرانها سوف يتمتعون بالأمن الحقيقى والدائم عندما يصلون إلى مصالحة حقيقية»

الرئيس الأمريكى جورج بوش
فى خطاب لإحدى المؤسسات اليهودية بلوس
إنجلوس بتاريخ ١٧ يونية ١٩٩١



● أســطورة الأمــن الإســرائيلى

ذكرنا أن الصواريخ العراقية التى سقطت على إسرائيل لم تصنع شيئاً واحداً هاماً للعرب سوى أنها هزت نظرية الأمن الإسرائيلى ، وقد حان الوقت لنسأل :

ـــ ما المقصود بالأمن الإسرائيلى ؟

ـــ ولماذا تهتم إسرائيل أكثر من اللازم بالقضية الأمنية ؟

ـــ وماهى ركائز نظرية الأمن الإسرائيلية ؟

ـــ وهل نظرية الأمن الإسرائيلى ، نظرية ثابتة أم متغيرة ؟

ـــ وماهى ثوابتها وماهى متغيراتها ؟ وكيف هزت الصواريخ هذه النظرية ؟

ـــ وهل هى نظرية سليمة غير قابلة للاهتزاز ، أم أن ركائزها وثوابتها ومتغيراتها ، وليدة الفكر الأسطورى ولاتصمد أمام المعطيات الفعلية للصراع العربى ـــ الإسرائيلى ؟

ـــ وإذا كانت لا تصمد ، فما هى الركائز التى تصمد وتصلح قياساً لضمان الأمن الإسرائيلى ؟ .

بداية نشير إلى أن **تعريف الأمن يخرج عن إطار التحديد** ، شأنه فى ذلك شأن كل أمر معنوى يرتبط بالمشاعر والأحاسيس ، فعلى خلاف الأشياء المادية التى تقاس بالمساحة أو الكتلة أو الزمن أو الكثافة قياساً دقيقاً . فإن أحداً لم يستطع وضع قياس أو تعريف للحزن أو الوجد أو السرور أو الأسى أو البؤس أو السعادة أو الرضا أو الغضب أو الأسف .. إلخ . لأن تلك المدركات ـــ كما يقول د . أحمد جلال عز الدين الحاصل على دكتوراة فى الاستراتيجية القومية ـــ تعبر عن تصورات ذهنية وخلجات للنفس هى أبعد ما تكون عن القياس المادى الجامد والمحايد أو عن التعبير الموضوعى المجرد .

فالأمن أحد المشاعر التى لا تدخل فى إطار القياس ، ولا تعبر عنه إحصاءات ، ويقتصر دور الإحصاء فيه على طرح مؤشرات قد يصدقها الشعور عندما يتفق الاحساس مع الواقع . وعلى الرغم من اختلاف الأهداف القومية للأمم ، وتنوع وتدرج مطالب وطموحات الإنسان الفرد ، يظل الأمن والرفاهية أولى الأهداف الأساسية التى يترتب على توفرها كل أساسيات الحياة ، وتلك حقيقة قالها الحق فى كتابه الكريم ﴿**الذى أطعمهم منْ جوع وآمنهم من خوف**﴾ .

ولما كان الأمن معنى مدركاً إدراكاً كلياً ، فقد اختلط على كثيرين ممن تعرضوا لموضوع الأمن القومى بالدراسة والتحليل ، الفارق بين تعريف الأمن القومى وبين مفهوم الأمن القومى . فتعريف الأمن القومى — كما يقول د . أحمد شوقى الحفنى[1] — يمكن القول عنه أنه الإطار التنظيمى أو النظرى ، بمعنى أن معظم التعاريف له تقدم الوجه المثالى أو القريب من ذلك ، فهى تحاول أن تفسر أو تعرف الأمن القومى .

وبكلمات أخرى يمكن القول أن تعريف الأمن القومى هو عبارة عن الدلالة الاصطلاحية ، أى تفسير المصطلح والتعريف به ، أو أنه عبارة عن المفهوم الوصفى **Dercriptie** ، أما مفهوم الأمن القومى فهو الإطار الحركى ، أو هو فكرة الدولة **Concept** فى تحقيق أمنها القومى ، أى أنه الإطار العملى أو الإجرائى الذى تتبناه الدولة لتحقيق أمنها القومى الذى يطلق عليه البعض المفهوم التحليلى **Anabytic** ، ويمكن القول بأن مفهوم الأمن القومى هو الجانب التطبيقى ، ومن ثم يصعب التعرف على مفهوم الأمن القومى لدولة ما من خلال تعريفها للأمن القومى أو من خلال ما تقدمه من نظريات أو كتابات دون الرصد والمتابعة لتكون الأحكام عليها أقرب إلى الصواب .

وينبع الأمن القومى لأى دولة من أمن المواطن بها ، وهو أمن أقرته له حقوق الإنسان ، ولما كان الأمن القومى لأى دولة كثيراً ما يصطدم مع متطلبات الأمن

---

(١) مقال : كيف تفكر إسرائيل فى أمنها القومى ، بقلم د . أحمد شوقى الحفنى . مجلة المنار — العدد ٤١ — ص ٩٢ .

القومى لدولة أخرى ، لزم أن يكون أمن الدولة أو الأمن القومى ، مرتبط بالأمن الدولى الشامل أو الجماعى ، الذى يتسع لأكثر من دولة فى آن واحد . والأخير لا يتركز على الأمن القومى أو « الداخلى » لدولة بعينها ، بل على المشاكل الأمنية التى تثيرها العلاقات بين الدول ذاتها ، ومبرر طرحه هو تحاشى معالجة هذه المشاكل بطريق العنف أو الحرب . وهو مفهوم يفترض استبعاد الحرب سبيلا لمعالجة المنازعات ، ويستمد مشروعيته من أن مصالح الدول تزداد تداخلاً ، وأن ظاهرة الاعتماد المتبادل بينها تزداد تدعماً مع تعدد وتنوع صور التدويل فى العلاقات الدولية المعاصرة(١) .

وانطلاقاً من هذه القاعدة ، يجب أن يكون الأمن القومى لدولة إسرائيل مرتبطا بالأمن القومى لمجموعة الدول المحيطة بها من جهة ، وهى مجموعة دول الشرق الأوسط ، ومن جهة ثانية بالأمن الدولى الشامل الذى تمثله الدول الكبرى والقوى العظمى .

غير أن الأمن القومى لدولة إسرائيل ــ على غير هذه القاعدة ــ يقوم على عدم التطابق مع المفهوم الدولى للأمن الذى هو بالأساس يقوم على السلام لا الحرب ، إذ لا يشعر الأمن القومى الإسرائيلى ، بمدى الحاجة إليه ، إلا سكان إسرائيل ، الذين تقرر احتياجاتهم الأمنية من منطلق خاص بهم ، لا يضع فى الاعتبار المنطلقات الموضوعية الأخرى التى تضعها الدول المحيطة بها ، أو حتى الدول الصديقة لها ، ــ بما فى ذلك أقرب أصدقائها ــ وهى منطلقات تعتمد كلياً على الرغبة فى السلم والسلام .

وقد يعود السبب فى تفرد المنطلق الإسرائيلى للأمن إلى أن مفهوم الأمن الإسرائيلى هو نتاج تاريخ بعيد وقديم ، فلا يمكن فصل المفهوم الإسرائيلى المعاصر للأمن ، عن بعده التاريخى الذى شكل تراثه وحضارته على مر سنين متعاقبة . **فالتاريخ الإسرائيلى يلعب دوراً كبيراً فى تشكيل المفهوم الإسرائيلى للأمن ، فمن الثابت أن الشعوب أو الدول التى لاقت كثيراً من العنت أو الاضطهاد تكون حساسة بدرجة كبيرة لمسائل الأمن فهى مليئة بمركبات من العقد نتيجة تاريخها**

(١) مقال أمن الدولة وأمن المواطن ، بقلم محمد سيد أحمد . الأهرام عدد ٢٥ أبريل ١٩٩١ .

الحافل بالاضطهاد والتشتيت والتنكيل والتعذيب ، وإذا ما استعرضنا تاريخ اليهود لوجدناه حافلاً بمثل هذه المسائل ، **الأمر الذى طبع إسرائيل بطابع الخوف والقلق وجعل منها جيتو Ghetto** على نمط وشكل جديد فى المنطقة العربية ، كذلك أيضاً الدول التى نشأت بالاغتصاب والاستيطان وترتبط بعلاقات صراعية مع جيرانها تكون أيضاً حساسة بالنسبة للأمن ، وهذا وضع آخر ينطبق على إسرائيل ، لذا تنظر إسرائيل إلى كل ما يدور حولها بمنظور الأمن ، وينطبق عليها وصف « دانيل يارجن» بأنها **دولة الأمن Security State** أى أنها الدولة التى تجعل من الأمن محركاً لسياستها الخارجية ، كما أنها تذكرنا بالوصف الذى استخدمه « هارولد لاسول» فى التعبير عن الدولة التى تستخدم أساليب العنف وحدها لتحقيق أمنها القومى على حساب الآخرين ، فوصفها بأنها «**دولة بوليسية» Garrison** . وتتميز هذه الدولة بسيطرة المتخصصين فى العنف[1] .

وفى تقدير كثير من الخبراء والمختصين أن هناك عدة عوامل أخرى تجعل من لافتة «أمن إسرائيل» هى أعلى لافتة مرفوعة فوق سارية المجتمع الاستيطانى الصهيونى ، وتجعل « القضية الأمنية» تبدو للعين كما لو كانت تسبق ماعداها من القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، **ومن هذه العوامل :**

١ ــ أن المفهوم الشائع للأمن ، مفهوم واسع يشمل كل ما يتصل بوجود إسرائيل من الجوانب العسكرية والاستراتيجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

٢ ــ أن التركيز الدعائى على « عنصر الأمن» يفيد إسرائيل فى كسب تعاطف ومؤازرة الرأى العام ــ وبالأخص الغربى ــ مع هذا الكيان الصهيونى « الصغير»[2] ومن المعروف أن الإنسان كثيراً ما يشفق على من هو فى حالة دائمة من التهديد من قبل من هم أقوى منه . وهو إشفاق تحسن الدعاية الإسرائيلية تضخيمة لدى الرأى العام العالمى بالتضخيم من حجم التهديدات العربية « بإلقاء إسرائيل فى البحر» رغم أنها فى مضمونها تهديدات جوفاء لا تخرج عن كونها قد

---

(١) كيف تفكر إسرائيل فى أمنها القومى . مرجع سابق ص ٩٨ .

(٢) د . السيد عليوة : منشورات مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية «**قرار الحرب فى السياسة الإسرائيلية**» . بالأهرام ــ القاهرة ١٩٧٧ ــ ص ٦٥ ــ ٦٦ .

صدرت للاستهلاك المحلى للدولة الصادرة منها .

٣ ــ إن الحديث المتكرر عن «الأمن المهدد» يساعد فى تنشيط الحركة الصهيونية لجذب اليهود من الشتات ، واستقطاب رؤوس الأموال والتبرعات .

٤ ــ إن الالحاح الدائم على قضية الحرب يساهم أساساً فى توحيد المجتمع فلا ريب أن تاريخ الصراع العربى ــ الإسرائيلى ــ يشير إلى أن المجتمع اليهودى فى فلسطين قد استثمر تجربة الحرب أو التهديد بالحرب لصالحه كثيراً ، حيث إنها ساهمت فى عمليات التعبئة السياسية وتحقيق الدمج الاجتماعى وحل مشاكله الاقتصادية .

٥ ــ إن إسرائيل تعتبر نفسها جزيرة محاطة ببحر من العرب الأعداء ، وهو ما يشكل خطراً داهماً ويزيد للأمر خطورة بالنسبة لها أن التجمع العربى البشرى والعسكرى لا يقبل إسرائيل كدولة وغير راغب فى قبولها كعضو فى النظام الإقليمى ، الأمر الذى ينتظر معه أن تتعرض إسرائيل فى أى وقت للهجوم من قبل العرب ، أو على أقل تقدير يظل الخوف مسيطراً على الإسرائيليين لمدة طويلة كرد فعل لهذا الشعور العربى الرافض لوجودها كدولة احتلال ، والغير متقبل لها .

وفى تقدير الخبراء أيضاً أن «الأمن القومى الإسرائيلى» يرتكز على عدة ركائز أساسية نذكر منها :

● **المرتكز الأول هو التوسع إلى حدود «أرض الميعاد»** ، وهو توسع يستند إلى مقولة «أن فلسطين هى أرض الميعاد» وهى مقولة جد خاطئة إلا أنها وجدت خلال هذا القرن من يحييها ويغذيها برافد من التنميق حتى صارت هى الرابط الذى يجمع بين الصهاينة ، وهى النهر الذى يشكل بزخمه البشرى عماد الدولة فى إسرائيل ، حيث إنها «العامل الروحى» الوحيد الذى يجمع بين كل اليهود فى العالم ، لذلك ترى الصهيونية أن كل من يجترىء على حلم «العودة إلى أرض الميعاد» فإنه يجرد الصهيونية من مقوم الوحدة بين يهود العالم المنتشرين فى شتى دوله وأرجائه ، وبين أرض صهيونية . ويكون هذا المجترىء مناهضاً ومقوضاً لأركان الأمن الإسرائيلى .

ثم أن التوسع فى حد ذاته يقى إسرائيل من «الاختناق» .. ووفقاً للمعتقدات اليهودية ، فإن الاختناق معناه الانتحار . وهم يضربون مثلاً بما حدث لهم فى «قلعة ماسادا» .. فعندما شبت الثورة اليهودية عام ٧٣ ميلادية ، تقدمت الجيوش الرومانية لسحق اليهود الذين هربوا إلى إحدى القلاع المطلة على البحر الميت . القلعة اسمها ماسادا ، عالية ، فوق صخرة ، ولها جدران عالية ووراء الجدران أخرى . وراءها جدران ثالثة ، ودارت القوات الرومانية حول القلعة ، وراح الرومان يرمون القلعة المنيعة بالأخشاب الثقيلة والأحجار . ويتسلقون جدارها العالى على سلالم طويلة ، وكان يقود اليهود فى هذه القلعة أحد زعمائهم واسمه «اليعازر بائير» . ونجح الرومان فى تحطيم الجدار الخارجى ، وتساقطت الحجارة تتراكم على الجدار الذى يليه ، فأصبح الجدار الثانى أقوى من الجدار الأول . وشدد الرومان الحصار ، وأمسك المؤرخ اليهودى يوسيفوس ، الذى اختار أن يكون جاسوساً على قومه لقاء مبلغ من المال على كل رأس يهودى — بالبوق يطلب من اليهود التسليم . ثم راح الرومان يلقون المشاعل على القلعة ، فأحترقت الأعواد الخشبية وارتفع الدخان الذى حملته رياح مواتية إلى الداخل حيث المحصورين بالقلعة . أما ما الذى حدث فى داخل القلعة ، فقد روته عجوزان وخمسة من الأطفال ، يقول المؤرخ يوسيفوس إن القائد اليهودى «اليعازر» قد طلب إلى رجاله أن يقتلوا زوجاتهم وبناتهم وأطفالهم أولاً .. فأقبل الرجال وفعلوا ذلك .. ثم طلب إليهم أن يختاروا عشرة ، وتقدم عشرة منهم . وطلب إلى كل واحد من العشرة أن يقتل عشرة آخرين .. وأن يختاروا من العشرة واحداً ليقتل التسعة الباقين .. ثم أن يقتل نفسه فى النهاية . ويقال إن الرجل قد فعل ذلك .. فلما دخل الرومان القلعة لم يجدوا واحداً .. الكل مات إلا هاتين العجـوزين والأطفال الخمسة الذين هربوا من إحدى الفتحات .

أن ما حدث فى قلعة «ماسادا» هذه فى يوم عيدهم سنة ٧٣ ميلادية، — يقول أنيس منصور[١] — هو البعبع الأكبر فى تاريخ اليهود فى كل بلد ، فهم يخافون أن يحاصروا حتى الموت . وإسرائيل اعتباراً على «أسطورة ماسادا

(١) أنيس منصور : الصابرا . مرجع سابق ص ١٥٩ .

المزعومة» تخاف أن تختنق إذا ضاقت ، لذا فهى تبحث عن الاتساع لأن الاتساع يعطيها الأمن ، ولذا فهى تبحث كل يوم عن «الحدود الآمنة» ، وهى نقطة معناها أن يوسع اليهود أرضهم خوفاً من العرب .

وعلى هذا يجب أن يبتلعوا الضفة وغزة حتى تكون إسرائيل أعمق ، ويكون الحصن ذا أسوار أبعد ويجب أن يبتلعوا مصر والأردن وسوريا والعراق ولبنان حتى يأمنوا على أنفسهم من المصريين والأردنيين والسوريين والعراقيين واللبنانيين .

ويجب أن تكون دولتهم بناء على آراء «مخرفيهم» من المحيط الأطلسى غرباً إلى الخليج العربى شرقاً ضماناً لإسرائيل من أى عدو عربى ، وحرصاً على أمنها فى الاختناق فى قلعة صغيرة تشمل حدود ما قبل عام ١٩٦٧ .. إنها عقدة «قلعة ماسادا» هكذا تزعم الركيزة الأمنية الإسرائيلية !

• **والمرتكز الثانى هو إقامة المستوطنات اليهودية باعتبارها قلاعاً أمامية ، داخل القلعة الكبيرة إسرائيل** ، وفى هذا الصدد يذكر «آلان دييكوف» فى كتابه مجالات إسرائيل[1] ، منشورات دار الدفاع الوطنى بفرنسا ، إن إسرائيل كانت قبل عام ١٩٦٧ ترى أنها كانت تفتقر إلى العمق الاستراتيجى ، وبالتالى كان لابد لها من «تأمين» هذا العمق بحجة «الحفاظ على أمنها» ، (وعلى غرار الأسلوب القديم فى بعثرة المستوطنات بين ربوع وأرجاء فلسطين) كانت خطة «إيجال آلون» وزير الخارجية الإسرائيلى فى حكومة «إسحاق رابين» (١٩٧٤) تشكل مشروعاً رسمياً يرمى إلى إقامة استراتيجية أقليمية تقوم على الاعتبارات العسكرية وحدها» .

لقد كانت إقامة المستوطنات بعد حرب يونيو ١٩٦٧ تمثل أحد نقاط الارتكاز فى سياسة التوسع والاحتلال ، حيث يقوم الجيش وبصفة دورية بمصادرة الأراضى الفلسطينية باعتبارها مناطق عسكرية مخصصة «للقيام بأعمال التدريب» ثم تتحول هذه الأرض إلى مستعمرة تتحول بدورها إلى مستوطنة .

وهكذا لا ترمى عملية بناء المستوطنات والمستعمرات الاستيطانية إلى تثبيت

---

1) Alain Dieckhoff: les Espaces D' Israel, Fondation pour les Etudes de Defense Nationale, Paris, 1987.

مفهوم الاستيطان الصهيونى فحسب ، وإنما ترمى أيضاً إلى « جعل المستعمرات تلعب دور الحدود » . إذ يتلاحظ أنه قد أقيم على الضفة الغربية « حاجز من المستعمرات على طول نهر الأردن وعلى ضفاف البحر الميت » ونفس الأمر على شواطئ غزة أو فى هضبة الجولان مما أدى إلى « إقامة سد بشرى على محيط الأراضى التى احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧ .

ويبدو بوضوح من خلال النمطين اللذين يتم إقامة المستعمرات على أساسها ، أن الهدف الرئيسى منهما مزدوج الاستيطان والدفاع .. وهذان النمطان هما : « الناحال » و « الكيبوتز » .. والناحال هو مجموعة من شباب الجيش ينضم إليهم شباب تمت دعوتهم للخدمة العسكرية ، يقوم أولاً بتشكيل نواة . وبعد فترة من التكوين تجمع بين التدريب العسكرى والتعليم الزراعى ، يتمثل دورهما ، إما فى تدعيم مستعمرة مدنية قائمة من زمن ، وإما تشكيل موقع متقدم ذى أهمية استراتيجية » . أما « الكيبوتز » فقد حدد « ايجال آلون » الدور الذى لعبته منذ منتصف سنى الثلاثينيات بدفع من المؤسسات الصهيونية الرائدة إذ كان يلبى منذ البداية حاجات « سياسية — إستراتيجية » فاختيار موقع المستعمرات مثلاً كان لا يخضع لاختبارات اقتصادية فحسب وإنما أيضاً وبشكل رئيسى لاحتياجات الدفاع المحلى ، وللاستراتيجية الشاملة للاستيطان ، وللدور الذى يمكن لهذه الكتلة من المستعمرات أن تلعبه فى الصراع مستقبلاً ، أى أنه أمن ، واستيطان ، وفرض لسياسة الأمر الواقع لمنع أى تحركات عربية من الوصول إلى سلام حقيقى باستعادة الأرض العربية ، حيث ستشمل هذه المستوطنات المشكلة المستعصية على الحل ، وتكون بمثابة ورقة إسرائيلية رابحة فى أى مفاوضات قد تجرى بين إسرائيل والعرب .

• **والمرتكز الثالث هو عدم رد الأراضى العربية ، وبالتالى عدم قيام دولة فلسطينية . وعلى هذا المرتكز تلتقى جميع الحكومات الإسرائيلية** . والتفسير المباشر الذى تقدمه هذه الحكومات هو أن الدولة الفلسطينية ستكون بمثابة ملجأ للإرهاب . وإثارة للقلاقل فى المنطقة ، لأنها ستكن كل عداء لإسرائيل لتجر المنطقة إلى الصراع والحرب مرة أخرى بدلاً من حلول السلام الذى تنشده جميع دول المنطقة !

غير أن التفسير الحقيقى لرفض إسرائيل قيام دولة فلسطينية هى حاجتها لتأمين شيئين : العمق الجغرافى ومصادر المياه .

وفيما يخص **العمق الجغرافى** فإن إنشاء دولة فلسطينية بالضفة الغربية معناه أن تعود إسرائيل إلى حدود ما قبل عام ١٩٦٧ ، حيث كانت إسرائيل مثلثة الشكل وتفتقر إلى العمق من اتجاه سوريا والأردن والضفة الغربية حيث كان يبلغ العمق من القدس حتى أشدود أو تل أبيب على البحر المتوسط ١٨ ــ ٢٠ كيلو مترا. ومن المنظور العسكرى فإن أى قوة عسكرية متفوقة تنطلق من القدس يمكنها شطر إسرائيل نصفين خلال يوم قتال ناجح ، وهذا أمر يقتضى من وجهة النظر الإسرائيلية تأمينه بزيادة هذا العمق كى تتجنب شبح التهديد الذى كانت مهددة به فى حرب عام ١٩٦٧ .

وفيما يخص مصادر المياه ، فمن المعروف أن إسرائيل ما قبل عام ١٩٦٧ تفتقر إلى مصادر المياه الدائمة ، وباستثناء الأنهار الموسمية ، فلا توجد أى أنهار ثابتة يمكنها من خلالها استثار مواردها المائية فى أغراض الزراعة والشرب ، وعلى العكس تقع جميع الأنهار التى تغذى إسرائيل بالمياه الجوفية خارج حدود ما قبل عام ١٩٦٧ ، وهذه الأنهار هى نهر الحاصبانى الذى يصب فى بحيرة طبرية ونهر الأردن الذى يصب فى البحر الميت ونهر اليرموك الذى يصب فى نهر الأردن ، إضافة إلى نهر الليطانى . وبالنظر لأن نهر الأردن ونهر الحاصبانى يمران فى أراضى الضفة الغربية ، وبالنظر لأن مختلف التقديرات تشير إلى أن إسرائيل ستواجه فى التسعينات نقصاً حاداً وخطيراً فى مواردها المائية قد يصل ــ على حد أحدث تقرير قدمته مراقبة عام الحكومة الإسرائيلية مريام بن بوريث إلى الكنيست فى ٩ يناير ١٩٩١ ــ إلى حد الكارثة خصوصاً فى توفير مياه الشرب العذبة . لذا فإن رفض قيام دولة فلسطينية تفرض سيطرتها على مصادر المياه التى «تعيش» عليها إسرائيل الآن يمثل ركيزة أساسية فى المنظور الأمنى الإسرائيلى .

تلك كانت الركائز الثلاث التى يرتكز إليها «الأمن القومى الإسرائيلى» ، بيد أن المفهوم الأمنى الإسرائيلى يشتمل فى محتواه على نوعين من المفاهيم .

الأول مفاهيم أمنية ثابتة ، والثانى مفاهيم أمنية ديناميكية متغيرة .

والمفاهيم الأمنية الإسرائيلية الثابتة هى :

١ ــ ضمان تيار الهجرة إلى إسرائيل وزيادة معدلاتها .. وبشأن هذا الموضوع ، كانت ولا تزال رؤية كل زعماء إسرائيل ، وكل المهتمين بشئونها ، أن الهجرة تقف على قمة الأولويات الأمنية الإسرائيلية . وفى هذا الصدد كانت رؤية بن جوريون ، أن مشكلة إسرائيل الرئيسية هى الأمن ، وأن هذا الأمن لا يمكن أن يحققه «أى جيش مهما بلغ تسليحه» . ولكن تحققه «هجرة اليهود المستمرة والمتدفقة إلى أرض إسرائيل حتى يفد إليها جميع يهود العالم .. وقد قالت جولدا مائير أيضاً فى هذا الشأن» إنى لا أستطيع أن أفصل أمن إسرائيل عن تعمير النقب والجليل . وترى(جولدامائير) أن تعمير إسرائيل لن يتم إلا بواسطة المهاجرين من اليهود ، وإذا ما ظل حماس اليهود ودعمهم لإسرائيل بالمال وهم خارجها فستبقى النقب خالية ومهجورة . ومؤخراً أعلن أحد مسئولى الوكالة اليهودية يقول : «إذا نضب ينبوع الهجرة فلن نستطيع الحفاظ على الدولة حتى وإن عقدنا تحالفاً سلمياً مع كل جيراننا . أن المحيط العربى سيبتلعنا دون أن يترك لنا أى أثر»[١] .

إذن فالهجرة هى الحل الوحيد للقضاء على الخطر الديموجرافى الذى تخشى إسرائيل منه إذا ما ظلت محتفظة بالضفة الغربية ، حيث تبلغ نسبة خصوبة المرأة الفلسطينية أضعاف مثيلتها الإسرائيلية ، أو حتى إذا ردتها للعرب الذين يبلغ تعدادهم ضعف تعداد إسرائيل بما يصل إلى ٤٠ مرة . وانطلاقاً من هذا تنظر إسرائيل بعين القلق إلى ضعف معدلات الهجرة إليها ، أو إزدياد حركة الهجرة المضادة فيها ، خاصة هجرة الأدمغة . وترى أنهما من عوامل تهديد الأمن القومى الإسرائيلى الذى تجند له كل قواها الداخلية والخارجية وجميع الجهات المتعاونة معها . فهى تعمل فى الداخل على زيادة القدرة الاستيعابية للمهاجرين الجدد إدارياً واقتصادياً واجتماعياً ، ولا تدخرفى سبيل ذلك جهداً ، كما أنها تعمل فى الخارج على اتباع سياسة «الجذب والدفع» ، وفى الأولى ــ الجذب ــ تعمل الدعاية والإعلام الصهيونى جاهدة على ترغيب اليهود فى الهجرة إلى إسرائيل ، وفى الثانية

---

(١) كيف تفكر إسرائيل فى أمنها القومى ، مرجع سابق ص ٩٤ .

ـ الدفع ـ تعمل نفس الدعاية على إحياء صور الاضطهاد والعنت التى لاقاها اليهود فى مختلف العصور فى بلاد الشرق والغرب خاصة «المحرقة المزعومة» التى نصبها لهم هتلر فيما يعرف بالهولوكوست ، وهى لفظة استهلكت تماماً عبر ما يقرب من نصف قرن من الزمان ، لذا ابتكرت الصهيونية تعبيراً جديداً هو الـ «**بوجرومز**» التى تعنى المذابح بالجملة . والمقصود المذابح التى يمكن أن يتعرض لها اليهود السوفيت إذا ما ظلوا فى مكانهم ولم يهاجروا إلى إسرائيل .

على أن أحد أساليب «الدفع» الصهيونية الأخرى هو تدبير حوادث تقود إلى مثل هذه المذابح ، مما يجبر ملايين اليهود على الرحيل والهجرة إلى إسرائيل .

٢ ـ **المحافظة على الثقافة والتراث اليهودى** . وينبع هذا المفهوم من أن سبيل الهجرة وتدفق المهاجرين على إسرائيل ، يخلق كثيراً من المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، فاليهود العائدون إلى إسرائيل من أوربا وآسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية ، لا يربطهم أى رابط سوى العقيدة الدينية ، بل إن هذه العقيدة ليست ذلك الرابط المتين الذى يمكن أن يجمع أناسا مختلفين فى اللغة والعادات والتقاليد ، فالحركة الصهيونية فيها يهود متدينون ذوو عقيدة يهودية ، ويهود علمانيون لا عقيدة لهم . ثم إن الفارق الثقافى الهائل بين يهودى قادم من أوربا وآخر قادم من الهند أو اليمن يجعل التعايش بينهما يكاد يكون مستحيلاً[1].

وإزاء هذه الحقيقة تستخدم إسرائيل أسلوباً دعائياً تحاول به أبواق الدعاية الصهيونية أن تزيل هذه الفوارق ، نظرياً ، إذ تقول الدوائر الصهيونية فى تحليلها لهذا الوضع نقلاً عن دراسات أعدها إلياهو ايلات ـ رئيس الجامعة العبرية :

إن الفجوة الكبيرة بين الشرق والغرب وأساليب حياة العصور الوسطى والحياة العصرية قد سدت بوساطة عامل واحد . فأفواج الوافدين إليها من أوربا ومن آسيا ومن أفريقيا برغم اختلافهم الشاسع وتناقضهم الواضح فى كل شئ تقريباً قد اتفقوا فى المثل الأعلى المشترك وهو العودة إلى صهيون !

وعملياً حاولت القيادة الإسرائيلية دمج الوافدين الجدد وصهرهم فى بوتقة واحدة وذلك بتعليم اللغة العبرية للمهاجرين الجدد فى أسرع وقت ممكن . وتعتبر

(١) إسرائيل بعد الزلزال ، مرجع سابق ، ص ٤٥ .

المعاهد الخاصة الليلية «اولبان» من آشهر وسائل «الصهر» حيث يتعلم فيها المهاجرون الكبار مقابل مصاريف رمزية برامج واسعة فى اللغة ، والأدب العبرى ، والفكر الصهيونى مع التركيز على أن لليهود جميعاً ثقافة واحدة وتراثاً واحداً .

كما يساهم الجيش أيضاً فى عملية الادماج عن طريق تنظيم معسكرات الاستقبال و «المعابروت» ، هذا إضافة إلى «حركة أطفال وشباب علياء» التى أسستها الحركة اليهودية الأمريكية لتكوين جيل متمازج من المهاجرين فى إسرائيل .

٣ ــ **تحجيم الخصم العربى** ، وينبع هذا المفهوم الأمنى من قاعدة بسيطة ، كلما قلت قدرات خصمى ، أصبحت أقوى . وفى هذا الصدد تبذل إسرائيل وأذنابها الصهيونية جهوداً جبارة لمنع الولايات المتحدة من بيع أى أسلحة متقدمة إلى الدول العربية من جانب ، ومن جانب آخر دعم إسرائيل بأحدث الأسلحة مجاناً ودون مقابل .

وغالباً ما يتم تحجيم وإضعاف الجانب العربى عن طريق السياسة الاستعمارية القديمة : فرق تسد . وفى هذا الصدد تعمل إسرائيل على استمرار تفرق العرب ، ذلك أن التضامن العربى يخلق مناخاً غير ملائم لها ، ولا تجد لها فيه متنفساً ، كما أنه يضيق عليها الخناق فلا تجد لها مجالاً إقليمياً كافياً للحركة . لذلك فهى تعلى من شأن الصراعات والانقسامات فى المنطقة كما هو حادث فى لبنان ، بغية إنشاء دويلات وطوائف تضفى على إسرائيل صبغة شرعية كدولة يهودية ، كما تجعل إسرائيل فى تجاور مع دويلات ضعيفة لا تشكل خطراً عليها ، كما أنها تكون دويلات فى حاجة إلى المساعدات الإسرائيلية[1] .

كما أن التفرق العربى يأتى أيضاً من مد الصراع أو مساعدته أو إشعاله بين الدول العربية وجيرانهم من غير العرب بغية استنزاف الجهود العربية وإبعاد النظر عن إسرائيل . وكذا شق الصف العربى بين مؤيد ومعارض كما كان الحال فى الحرب العراقية ــ الإيرانية . والحرب الليبية ــ التشادية ، والخلاف السودانى الأثيوبى .

---

(١) كيف تفكر إسرائيل فى أمنها القومى : مرجع سابق ص ١٠١ .

كما تتعاون إسرائيل مع الأطراف الدولية لردع أى قدرة عربية نووية أو كيمائية يمكن أن تهدد أمنها ، مثلما حدث أخيراً فى الحرب التى شنها التحالف بقيادة أمريكا ضد القدرة النووية العراقية . هذا عدا الإبراز الإعلامى «الصهيونى» للخلافات العربية وإظهار المحاور العربية التى شكلتها اتفاقية كامب ديفيد ، أو أفرزتها الحرب الخليجية .

هذا عن الثوابت التى تحكم المفهوم الأمنى الإسرائيلى . أما المتغيرات التى تحكمه فهى :

١ ــ **الحدود الآمنة المعترف بها** . وتنطلق فكرة الحدود الآمنة من جغرافية إسرائيل ، ما قبل عام ١٩٦٧ . فحدود هذه الدولة لم تكن آمنة بنفس القدر الذى أصبحت فيه بعد عام ١٩٦٧ . ذلك أن العمق الجغرافى القليل قبل عام ٦٧ كان أحد أهم مصادر القلق النفسى لدى حكومة وشعب إسرائيل . كما أن الحدود كانت مفتوحة بمعنى أنه لا يوجد أى مانع جغرافى يحول دون تقدم الجيوش فيها . من هنا كان التوسع الإسرائيلى فى حرب ١٩٦٧ مدفوعاً إلى حد ما برغبة فى الوصول إلى حدود ذات طبيعة جغرافية آمنة . فوصلت إلى قناة السويس فى الشرق . بل وأقامت على طول القنال ساتراً دفاعياً (خط بارليف) على غرار « خط ماجينو » القديم فى محاولة لتدعيم وتأمين هذا المانع الطبيعى الذى يصعب اجتيازه . ووصلت فى الغرب إلى حدود نهر الأردن الذى يمثل هو الآخر حداً طبيعاً قوياً ، كما وصلت إلى مرتفعات الجولان السورية التى كانت تمكن سوريا من التحكم فى السهل الإسرائيلى أسفل المرتفعات ، والسيطرة على المستعمرات الإسرائيلية فى منطقة الحولة ، إضافة إلى التحكم فى عدد من المداخل إلى قلب إسرائيل والجليل الأعلى . فلما استولت هى على المرتفعات أصبحت على العكس من مُهدِّدة (بفتح الدال) إلى مُهدَّدة (بكسر الدال) فأصبح السهل السورى أسفل المرتفعات تحت المدى المباشر للنيران الإسرائيلية فى حين أصبحت الأراضى السورية حتى مدينة دمشق فى مدى نيران المدفعة الإسرائيلية .

أما عن الشمال حيث دولة لبنان « الضعيفة والمسالمة » فلم تفكر إسرائيل فى تأمين حدودها إلا بعد عقد ونصف العقد من عام ١٩٦٧ حيث عمدت إسرائيل بعد غزوها للبنان عام ١٩٨١ إلى إنشاء شريط حدودى يمتد إلى عمق ٣٣ كم داخل

الأراضى اللبنانية . وقد تم تزويد هذا الشريط الحدودى بمجموعة مزدوجة من الأسلاك الشائكة ، وبالغام اليكترونية ، وبخندق عمقه ثلاثة أمتار وعرضه مثل ذلك .. كل هذا للوصول إلى حدود آمنة التى لم يعترف بها أحد حتى الآن رغم أن إسرائيل تحوز على الشرعية الدولية من قبل ما يزيد على ١٥٠ دولة .. وتجدر الإشارة إلى أن المشروع الإسرائيلى الخاص بحفر قناة بين البحرين المتوسط والميت عن طريق صحراء النقب يهدف بالإضافة إلى توليد الكهرباء إلى إقامة حاجز مائى طبيعى فى الجنوب لحماية المناطق الوسطى والمأهولة بالسكان من أى هجوم خارجى (على ناحية مصر) أو أى هجوم قد يحدث من الجبهة الشرقية (من ناحية الأردن ، فى المسافة ما بين البحر الميت وقرب مدينة العقبة الإسرائيلية) .

٢ ــ الحرب الوقائية والحرب الخاطفة ونقل المعركة إلى أرض الخصم

والحرب الوقائية هى الحرب التى تحاول فيها إسرائيل اتقاء شر خصم عربى بتدمير قوته قبل أن تبدأ فى التنامى . وكأمثلة لهذه الحرب نجد أن تدمير المفاعل النووى العراقى « تموز » سواء باستخدام الطيران الإسرائيلى ، أو عملاء من الداخل ، هو أفضل مثال تطرحه إسرائيل فى هذا الأمر ، كما أن تدمير القوات المسلحة المصرية فى حرب يونيو ١٩٦٧ قبل أن تتقدم هذه القوات لضرب إسرائيل ، هو مثال آخر على الحرب الوقائية . أما أحدث حرب وقائية خاضتها إسرائيل فهى حرب لبنان التى أرادت إسرائيل من خلال تدمير القوة الفلسطينية المستقرة على الأراضى اللبنانية .

وبالنسبة **للحرب الخاطفة** فإن الضعف الديموجرافى الإسرائيلى والاعتماد على نظام الاحتياط يدفعانها إلى حسم الحرب بسرعة لأنها لا تتحمل أن تحتفظ لمدة طويلة بقواتها معبأة لأن ذلك ينعكس بشكل مباشر على أوجه النشاط الأخرى فى الدولة مما يؤثر على نواحى الإنتاج أو الخدمات المختلفة . فالبنيان الاقتصادى والعسكرى الإسرائيلى مهيأ فقط لاستراتيجية الحرب السريعة الخاطفة التى تأخذ المبادأة فيها القوة الإسرائيلية . وتنهيها فى أقصر وقت . ومن ثم فإن احتمال فرض حرب استنزاف طويلة الأجل على إسرائيل يفقد كلا البنائين توازنه ويفرض عليه أعباء باهظة لا يقدر عليها . كما أن طول مدة الحرب يمنح الفرصة لدخول أطراف

عربية أخرى إلى الحرب ، أو يمنح الأطراف الدولية فرصة التدخل وإفساد النتائج التى يمكن أن تكون تحققت لصالح إسرائيل .

أما عن العمل خارج الحدود أو نقل المعركة خارج أرض إسرائيل ، فإنه مفهوم تمليه مساحة الدولة . فإسرائيل دولة صغيرة المساحة ، وأى اختراق ولو بسيط يصل إلى كثير من المراكز الحيوية ويشكل تهديداً لباقى أجزاء الدولة نظراً لعدم التمتع بالمساحة التى توفر العمق الاستراتيجى وتمكن من الدفاع بعمق. أما إذا كان الاختراق عميقا، فقد يعنى هذا القضاء على الدولة . لذلك يلاحظ أن إسرائيل خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ أولت اهتماماً كبيراً بالقوات السورية المتقدمة من الجولان نظراً لقربها من العمق الاستراتيجى والمراكز الحساسة فى الدولة . فى حين أنها لم تول الهجوم المصرى نفس القدر من تركيز الجهود إلا بعد أن فرغت من القضاء على خطورة الهجوم السورى وحولت الموقف لصالحها[1] .

٣ ــ **الردع الاستراتيجى والهيمنة العسكرية** . وهى استراتيجية تستند على خلق انطباع لدى العرب بأن إسرائيل تمتلك قوة عسكرية لا تقهر وأنها لن تتردد فى استخدامها عند اللزوم لمواجهة أى تهديد لأمنها الجارى والذى يستدعى شن ضربات انتقامية موجعة .. أو تهديد لأمنها السياسى ، أى ما يمس كيان الدولة ويفرض الحرب الشاملة . ويتوقف ذلك على بضعة خطوط حمراء استراتيجية لا تسمح الدولة الصهيونية معها للحرب ، مثل اقتحام الجبهة الشرقية ، أو دخول قوات عربية إلى الأردن ، أو ضرب إسرائيل بالطائرات أو الصواريخ .

ويعتمد الردع فى أقوى جوانبه على امتلاك أحدث الأسلحة التكنولوجية ، فالتكنولوجيا هى الوسيلة التى يمكن بها تعويض التفوق الكمى للعرب . وإسرائيل لا تبغى من استغلال التكنولوجيا إحداث تفوق عسكرى فى مجال السلاح فقط ، ولكن تبحث عن امتلاك جانب التفوق التكنولوجى فى الصناعة والزراعة حتى تصبح الدولة الإسرائيلية «منارة» التقدم فى المنطقة .

وقد تطور منظور الردع الإسرائيلى تطوراً مذهلاً فى السنوات الخمس الأخيرة ، فبعدما كانت إسرائيل تعمل على تحقيق الردع الإيجابى عن طريق خلق .

---

(١) المرجع السابق ص ٩٩ .

قوات مسلحة قوية فى مجال الطيران والمدرعات بحيث تكون متفوقة تكنولوجيا على القوات العربية ، بشكل يمنع الأخيرة من التفكير فى شن حرب ضد إسرائيل ، ويدمر هذه القوات فى حالة خرقها لحالة اللا سلم واللا حرب التى تعيشها المنطقة الآن .. بدأت فى السنوات الأخيرة تتحدث عن «الردع النووى» أى امتلاك إسرائيل للقدرة النووية مع سلب هذه القدرة من العرب بتدمير الخطوات الأولى للوصول إلى قدرة نووية عربية بغرض انفرادها وحدها فى المنطقة بامتلاك القدرة النووية حتى تكون منفردة بأسباب الردع والقوة التى تجعل منها القوة الإقليمية العظمى ، حتى أنها أصبحت الدولة رقم واحد فى العالم فى الإنفاق العسكرى[1] .

وقد بدأت الإشارات الأولى لامتلاك إسرائيل للقدرة النووية تتسرب عن طريق مصادر صحفية صهيونية. ثم عن طريق الإسرائيلى «فانونو» الذى قال إنه سرق صوراً ووثائق من المفاعل النووى الإسرائيلى «ديمونة» تثبت أن النشاط النووى الإسرائيلى قد وصل إلى مرحلة صناعة القنابل النووية ، ثم باع هذه الصور إلى إحدى الصحف البريطانية قبل أن يتم اختطافه من قبل الموساد إلى إسرائيل ليحاكم هناك .. ثم جاءت أخبار صحفية تؤكد أن إسرائيل تمتلك ١٠٠ قنبلة نووية وعشرات الرؤوس الحربية النووية ، وأنها تطور صاروخاً أرض ـــ أرض يصيب أهدافا تبعد ٦ آلاف كيلو متر ، هو الصاروخ «اريحا ـــ ٣»[2] .. **ولأن كل هذا لايحقق الردع حيث يمكن اعتباره جانباً هشاً من الحرب النفسية الإسرائيلية ، فقد بادر رئيس دولة إسرائيل «حاييم هيرتزوج» بالإعلان عن امتلاك إسرائيل للأسلحة النووية[3] ، لتتحول إسرائيل بذلك من استراتيجية الردع بالأسلحة النووية المملوكة والغير معلن عنها أو ما تسمى استراتيجية «القنبلة فى القبو» إلى استراتيجية إعلان امتلاك الأسلحة النووية لتحقيق الردع النووى لمنع أى طرف من التفكير فى مهاجمتها .**

٤ ـــ الاعتماد على تحقيق هامش الأمن بالزمان . حيث تعتمد إسرائيل على قوة استخباراتها ـــ وعلى ارتباط هذه الاستخبارات باستخبارات عدد من الدول

---

(١) الأهرام عدد ١١ يونيو ١٩٩١ .

(٢) الأهرام ٤ أبريل ١٩٩٠ .　　(٣) الأهرام ١٤ نوفمبر ١٩٩٠ .

الغربية والإستخبارات الأمريكية بوجه خاص بكل ما تملكه من تقدم علمى وأجهزة متطورة وامتدادات اقتصادية وثقافية واجتماعية فى مختلف أنحاء العالم ، مما يقدم للاستخبارات الإسرائيلية ظروفاً مثالية للعمل دون التعرض المباشر للكشف والتدمير ــ فى انذار القوات المسلحة الإسرائيلية بشكل يمنع تعرضها لأى مفاجأة ويعطيها هامش مناورة واسعة فى الزمان .

ولقد بنت إسرائيل بالفعل جهازين قويين للاستخبارات هما : المخابرات العامة «شين بيت» ، والاستخبارات العسكرية «موديعين تسفائى» ، ووزعت شبكة من الجواسيس «الموساد» فى البلدان العربية ومختلف أقطار العالم بغية جمع المعلومات الخاصة بتسلح العرب واستعداداتهم ونواياهم وإعداد التدابير الكفيلة بإحباط خططهم .

ولقد حققت الاستخبارات الإسرائيلية فى حرب ١٩٦٧ نجاحاً كبيراً ، وكانت دقة المعلومات التى قدمتها إلى القيادة الإسرائيلية عاملاً من عوامل النجاح وخاصة بالنسبة لضرب الطيران المصرى على الأرض . وتزايدت بعدها أهمية الاستخبارات الإسرائيلية حيث تم تزويدها بكوادر واسعة لجمع المعلومات وتحليلها ، وبإمكانات كبيرة ، وأصبح الاعتماد عليها كبيراً إلى حد بعيد .

٥ ــ الاعتماد على حليف استراتيجى ، وفى هذا الصدد تحافظ إسرائيل على صداقة الولايات المتحدة الأمريكية كحليف استراتيجى لا يمكن الاستغناء عنه . فعن طريقها يتم ضخ ما يزيد على أربعة مليارات دولار سنوياً إلى الميزانية الإسرائيلية ، علاوة على المساعدات العسكرية التى لا يستهان بها . وهذه أمور تخفف كثيراً من الأعباء الاقتصادية والمالية عن كاهل إسرائيل[1] . وفى المجال السياسى فإن الدعم والمساندة الأمريكية ضروريان ، وأساسيان لإسرائيل وخاصة فى المحافل الدولية وفى مجلس الأمن على وجه الخصوص حيث تستخدم حق النقض

---

(١) وفق أحدث تقرير لوزارة الخارجية الأمريكية ، فقد حصلت إسرائيل من الولايات المتحدة فى الفترة من عام ١٩٦٧ وحتى نهاية عام ١٩٩٠ على مبلغ ٧٧ مليار دولار ، كمنح أمريكية لا ترد أو لا يرد ثلاثة أرباعها ($\frac{3}{4}$) على الأقل ، أى بواقع ١٦٥٠٠ دولار لكل مواطن إسرائيلى . وخلال عام ١٩٩١ وحتى شهر سبتمبر ، حصلت إسرائيل على ٤ مليارات من الدولار ، علاوة على ٣٠٠ مليون دولار لتخزين الأسلحة الأمريكية فى إسرائيل (**الأهرام عدد ٢٤ سبتمبر ١٩٩١**) .

« الفيتو » لأى قرار يضر بأمن إسرائيل ، مما يدعم أمنها وتخفف الضغوط الدولية عليها .

كما أن الولايات المتحدة تشكل قوة التوازن ضد الأطراف الدولية الأخرى فيما يتعلق بالمطالب الأمنية لتحقيق السلام المنشود فى المنطقة من منطلق مفهوم أمريكى إسرائيلى مشترك . أما فى المجال العسكرى ، وهو بيت القصيد ، فإن الضمانة الأمريكية لإسرائيل تحقق الحد الأدنى للوجود الإسرائيلى ضد خطر التهديد بغزو عسكرى من أى طرف أيًا كان يمكن أن يفكر فى المساس بأمن إسرائيل ، حيث تعتبره الولايات المتحدة عملاً يمس الأمن القومى الأمريكى بشكل مباشر . وهذا الحد الأدنى للأمن هو المساس بحدود إسرائيل المتعارف عليها بين إسرائيل وبين الولايات المتحدة الامريكية . كما أن الإمداد الأمريكى بالسلاح — كما حدث فى الجسر الجوى الأمريكى لإسرائيل عام ١٩٧٣[١] — يضمن التفوق النوعى لإسرائيل لمُعادلة التفوق الكمى للعرب ، بل يصل الأمر فى بعض النوعيات إلى حد التفوق الإسرائيلى ، كما أنه يساعد إسرائيل على اجتياز الأزمات العسكرية التى تهدد بدمار قدرتها العسكرية — كما حدث فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

وهكذا فإن إسرائيل تستفيد كثيراً من الصداقة الأمريكية لها .. ولكن ماذا تستفيده أمريكا بالمقابل ؟

المكسب الأمريكى الوحيد لهذه الصداقة الاستراتيجية هو ضمان تواجد قاعدة متقدمة لمواجهة الشيوعية والاستراتيجية السوفيتية فى الشرق الأوسط بالإضافة إلى إيجاد ممثل بديل يقبل القيام بالأدوار السياسية والعسكرية « القذرة » بالنيابة عنها ، وهى أدوار لا تستطيع هى أو حلفاؤها الغربيون التورط فيها مباشرة نظراً لقيود دولية كثيرة .

تلك كانت هى **المفاهيم الخمسة التى بنت عليها إسرائيل نظريتها الأمنية** ، وادعت أن أمنها القومى يقوم عليها . **فكيف هزت صواريخ صدام حسين**

---

(١) وقد جعل هذا الجسر الجوى جولدا مائير تقول بافتخار : « إن لإسرائيل إلهاً واحداً وصديقاً واحداً هو أمريكا ، وأن جميع كلمات الشكر لا تكفى للإعراب عن امتناننا للولايات المتحدة » (أخبار اليوم عدد ٢٧ أكتوبر ١٩٧٣) .

«البدائية» التى سقطت على تل أبيب وحيفا النظرية الأمنية فى إسرائيل ؟

البداية تشير إلى ما أعلنه «موشيه ارينز» وزير الدفاع الإسرائيلى من أن مدينة «تل أبيب» قد تعرضت للقصف مرتين من قبل ، فقد تعرضت لقصف الطائرات المصرية فى حرب ١٩٤٨ ، ولغارة أخرى قامت بها إحدى الطائرات العراقية فى حرب عام ١٩٦٧ ، وهذا القصف «الصاروخى» الثالث ، هو القصف الثالث الذى تنتهك فيه سيادة إسرائيل ويخترق فيها «أمنها الداخلى» .

أى أن الصواريخ العراقية الطائشة التى لم تكن مؤثرة ، قد هزت «أمن إسرائيل الداخلى» ، وهذه حقيقة مهمة ، ففى كل مرة كانت الإذاعة الإسرائيلية تطلق نداء « أفعى وثعبان » ، وهى الشفرة السرية الخاصة بقرب سقوط الصواريخ العراقية ، والتى يصاحبها أو يعقبها انطلاق صفارات الانذار ، كان السكان الإسرائيليون يهرعون إلى ارتداء الأقنعة الواقية من الغازات ، ثم يسرعون إلى الملاجئ ، أو إلى الغرف المعزولة فى منازلهم ، ليعشوا لحظات طويلة من القلق قبل الاستماع إلى صوت سقوط الصاروخ الذى يدمر بعض الممتلكات أو يقتل ويصيب بعض الأشخاص ، ثم تعقب ذلك فترة طويلة من القلق والتوتر والخوف قد تصل إلى ساعة كاملة يستمع فيها المختبئون إلى هدير الطائرات المروحية المحلقة فى السماء فى طريقها إلى موقع سقوط الصاروخ . وإلى أصوات السيارات العسكرية التى تجوب الطرق وعلى متنها جنود مرتدون الأقنعة والملابس الواقية من الغازات السامة ، هذا إلى جانب أصوات سيارات الإسعاف منطلقة إلى المستشفيات لتنقل عشرات المسنين أو الأطفال بسبب إصابتهم بانهيارات عصبية ، أو أزمات قلبية بسبب الغارة ، أو باختناقات بسبب الارتداء الطويل ، أو الخاطئ للكمامات الواقية من الغازات السامة . وتبقى هذه الحالة من التوتر والقلق والخوف حتى تنطلق صفارات الأمان ، وتدعو الاذاعة الإسرائيليين لنزع الأقنعة (حيث أثبت التحليل والفحص لبقايا الصاروخ ، أنه لا يحمل مادة كيماوية سامة) ، مع إبقاء هذه الأقنعة فى متناول اليد ، ومتابعة استمرار الاستماع إلى الإذاعة الإسرائيلية ، حيث لا يزال الخطر قائماً ، بسبب احتمال قيام العراق باطلاق صواريخ كيماوية على إسرائيل (فى المرة القادمة) .

وهكذا تزايد الرعب والذعر بين الإسرائيليين من جراء سقوط الصواريخ فوق رؤوسهم ، ونقل المعركة إلى داخل قلوبهم ، ومات ٤ أشخاص تحت الأنقاض فى حين مات ثمانية نتيجة أزمات قلبية أو مختنقين بأقنعتهم الواقية من الغازات السامة أثناء فترة الإنذار ، فى وقت عولج فيه المئات من الصدمة النفسية ، ومئات من الاختناق بكميات من مادة «الاتروبين» التى وزعتها السلطات الإسرائيلية مع الكمامات . وقد وصل رعب الإسرائيليين حدا يثير السخرية ، فقد ذكرت الإذاعة الإسرائيلية يوم ٢٩ يناير أن يهوداً متشددين قد قرروا استحضار لعنة الأرواح على الرئيس العراقى صدام حسين ، وقد بدأوا هذه العملية فى معبد قديم ، وفى حضور عشر حاخامات يتلون صلوات وفقرات من العهد القديم . وتقول الإذاعة : أنه كان من المقرر أن تتم العملية التى تستهدف قتل الرئيس العراقى فى الأسبوع الماضى ، إلا أنهم قرروا تأجيلها لأنهم اختلفوا حول اسم والدة الرئيس العراقى صدام حسين !! وذكرت شبكة (سى. إن.إن) الأخبارية الأمريكية فى اليوم التالى أن مجموعة من الحاخامات اليهود قد بدأوا فى استحضار أرواح شريرة تستطيع صد صواريخ سكود العراقية عن إسرائيل[1] !

وهكذا فقد هزت الصواريخ العراقية «أمن إسرائيل الداخلى» حيث شعر الإسرائيليون أن الصواريخ التى لا توقع ضحايا تساهم فى هدم كيانهم النفسى فضلاً عن كبريائهم وكرامتهم ، حيث حولتهم إلى مجموعة من الجبناء الذين يعملون حساباً لكل صغيرة وكبيرة ، حتى أنه عندما احترق حطام قمر صناعى سوفيتى فوق سماء مدينة القدس نتيجة لاختراقه الغلاف الجوى للأرض ، وهو أمر كان متوقعاً حدوثه منذ فترة وحذرت منه وكالة الفضاء السوفيتية ، أنطلقت صفارات الإنذار فى جميع أنحاء إسرائيل ، مما أشاع مزيداً من الرعب لدى الإسرائيليين ، الذين ذكرت الأنباء أن بعضهم أخذوا يهربون من إسرائيل .

جانب آخر حطمته صواريخ صدام حسين ، ألا وهى نظرية « التمسك بحدود آمنة يمكن الدفاع عنها » فطالما حاول الكثيرون إقناع إسرائيل بأن الحرب الحديثة لاتعرف حصانة الحدود . ولكن إسرائيل تغابت عن الفهم ، وتمسكت بخرافة

---

(١) صحيفة الشعب عدد ٥ فبراير ١٩٩١ .



تحاول النظرية الأمنية الإسرائيلية أن تؤمن اسرائيل من أعداء الخارج . ولكن ماذا عن الداخل ، فى الصورة جندى إسرائيلى يتطلع إلى أسطح المنازل المجاورة أثناء احتفال يهودى بعيد المظال يتم فى معبد يهودى (سيناجوج) بالقدس .



رغم أن صواريخ صدام حسين كانت بدائية وبدون فاعلية استراتيجية إلا أنها جعلت الشارع الاسرائيلى يعيش ساعات من الرعب ، فى الصورة شلومو لاحات رئيس بلدية تل أبيب وقد وقف ليتحدث إلى الصحفيين مرتدياً قناع واقٍ من الغازات خوفاً من صواريخ صدام حسين .

الحدود الآمنة كورقة توت تخفى بها أطماعها التوسعية ، إلى أن جاءت عاصفة الخليج فأطاحت بورقة التوت وأثبتت لإسرائيل أن حجتها واهية[1] وأثبت لحلفائها انهيار نظرية الحدود الآمنة .

جانب ثالث فعلته الصواريخ العراقية ، ألا وهو تآكل استراتيجية الردع الإسرائيلية التى تعتبر من أهم أركان المفهوم الإسرائيلى للأمن ، فهذه هى أول مرة تتلقى إسرائيل الصفعة فى عقر دارها ، ووسط عمقها المكتظ بالسكان دون أن تستطيع الرد لردع الخصم عن الاستمرار فى إطلاق صواريخه .

الواقع أن الرسالة التى حملتها صواريخ صدام حسين لإسرائيل ، رسالة بالغة الأهمية ، ولو أحسنت إسرائيل قراءة هذه الرسالة والرسائل الأخرى التى تلقتها فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ وحرب لبنان (١٩٨١ ــ ١٩٨٠) وما إلى ذلك من أعمال بطولية للفدائيين اللبنانيين ، أو للمنتفضين الأبطال بالضفة الغربية وغزة ، **لأدركت أن الركائز والمفاهيم التى تقوم عليها النظرية الأمنية الإسرائيلية فهى أسطورة . فالناظر بعين المنطق إلى تلك الركائز وتلك المفاهيم يستطيع أن يقتنع ، ولا يقنع إسرائيل طبعاً لأنها قد «عملت أذنا من طين وأخرى من عجين ، وركزت كل همها على تحقيق خططها التوسعية ، بأن كل هذه المرتكزات وهذه المفاهيم لا يصمد أمام أى منطق .**

*** فبالنسبة لمفهوم الهجرة التى هى «عماد أمن إسرائيل» ! نذكر الحقائق المنطقية التالية :**

ــ فى يوم من الأيام ستتوقف الهجرة اليهودية إلى إسرائيل ، أو الهجرة الواسعة على الأقل ، ولن يكون عامل «أرض الميعاد» هو الذى يدفع اليهود إلى إسرائيل خاصة وأن :

(۱) **يهود العالم فى تناقص مستمر** ، فقد كان يوجد حوالى ١٤ مليون يهودى فى العالم سنة ١٩٧٥ ، وفى عام ١٩٨٧ تناقص العدد إلى ١٢,٧ مليون يهودى . والتنبوءات ــ نقلًا عن مجلة « نوفيل أوبزيرفاتور » ــ تشير إلى أن عدد اليهود لن

---

(١) محمد العزب موسى : سقوط خرافة الحدود الآمنة . مقال بالأخبار عدد ٢٩ يناير ١٩٩١ .

يتجاوز ٨ ملايين عام ٢٠٠٠ و ٦ ملايين فقط عام ٢٠٣٠ وإذا استمر هذا المعدل فأنه يمكن التنبؤ بأن اليهود سيختفون من العالم تقريباً عام ٣٠٠٠ ميلادية[١] .

(ب) **الاتحاد السوفيتي ، وهو المنبع الرئيسى للهجرة اليهودية الآن فى طريقه كما قالت الأنباء إلى منح اليهود الذين يرغبون فى الهجرة منه «جوازات سفر» وليس تأشيرات خروج كما كان متبعاً من قبل**[٢] . ومن شأن هذه الخطوة أن تتيح لليهود السوفيت خيارات متعددة بين عدة دول يمكن الهجرة إليها ، بدلاً من دفعهم قسراً إلى إسرائيل دون غيرها حيث ترفض معظم الدول منح «تأشيرات خروج» السوفيتية التى بحوزة اليهود السوفيت تأشيرات دخول لأنها ليست جوازات سفر .

(جـ) **إن التمويل الأمريكى لاستيعاب المهاجرين إلى إسرائيل لم يعد كما هو فى الماضى** . إذ بدأ الرأى العام الأمريكى «يتمعص» من هذه الهجرة التى تقول الدعاية الإسرائيلية والصهيونية أن تمويلها هو مسألة إنسانية ! وفى هذ الصدد ننقل سؤالاً وجهه الصحفيان الأمريكان ايفانز ونوفاك إلى سيناتور أمريكى مؤيد لإسرائيل ، يدل على تمعص الأمريكيين من دعم المهاجرين اليهود السوفيت إلى إسرائيل . يقول السؤال : «ماذا لو قرر الثلاثة أو الأربعة ملايين سوفيتى يهودى الهجرة إلى إسرائيل . هل سيكون دافعو الضرائب فى أمريكا مسئولية أيضاً عن إنسانية توطينهم فى إسرائيل ، أم أن مسئوليتنا الإنسانية تقف عند رقم المليون مهاجر ؟!»[٣] .

(د) ـــ **إن الإعلام العربى بدأ يتحرك ضد تيار الهجرة ويمارس نوعاً من التأثير الإيجابى على مستمعيه** بتوضيح أن كل مهاجر يهودى يستقر بالضفة الغربية المحتلة ـــ أو غزة ـــ وقد أوضح تقرير لمؤسسة «الحق» بالضفة الغربية والتى هى فرع للجنة الحقوقيين الدوليين ، أن ٣٣٣ ألف مستوطن يهودى يعيشون بالضفة

---

(١) أخبار اليوم عدد ٢٧ فبراير ١٩٨٨ .

(٢) الأهرام عدد ١٦ يونيو ١٩٩١ .

(٣) الأخبار (**مقال مها عبد الفتاح**) عدد ١٨ سبتمبر ١٩٩١ .

الغربية وقطاع غزة[1] ـــ إنما يحتل أرض ومنزل مواطن عربى يتعرض للطرد والسلب والنهب ويبقى بلا موطن أو مصدر رزق ، وهذه مسألة أكثر إنسانية ، لأن المهاجر اليهودى قد ترك منزلاً وأرضاً بالاتحاد السوفيتى ولم يكن يحيا فى العزاء أو بلا دخل ، وبالتالى فقد ترك النعيم السوفيتى ليحيل حياة الفلسطينى إلى جحيم مستعر .

(هـ) **المعروف أن كل هجرة فى التاريخ تتجه عادة إلى بلاد غنية إقتصادياً ، بينما الهجرة اليهودية إلى فلسطين تخالف هذه القاعدة التاريخية** ، فاليهود الذين هاجروا إلى فلسطين لأسباب روحية ، أو تحت تأثير الدين ، كما حددت لهم ذلك أبواق الدعاية الصهيونية ، سيفاجئون ، وقد فوجىء الذين هاجروا فعلاً ، أن عنصر الدين وحده لا يكفى إذا لم يكن فى البلاد ضمان اقتصادى وأبواب العمل ، وهذا ما تفتقر إليه الدولة الإسرائيلية بشدة ، لذا فإن العامل الاقتصادى سيكون أهم العوامل التى تحصر الهجرة اليهودية عند مستوى أدنى مما هو متحقق الآن ، فلن يكون من المتقبل اقناع اليهودى الأمريكى أو الأوربى الغربى أن يترك مستوى معيشته المرتفع ويقيم فى إسرائيل فى مستوى معيشة أقل، ويحيا فى مساكن غير صحية ، كما هو حادث الآن .

(و) **من أهم الأسباب التى ستؤدى إلى فشل الهجرة مستقبلا ، هو انفضاح زيف الدعاية الصهيونية وكذب الدعاية الإسرائيلية وقلبها للحقائق** حيث تصور تلك الدعاية لليهود فى خارج إسرائيل أنها بلد الطمأنينة وبلد السلام ، وأن اليهودى يمكنه أن يقيم فيها شعائره الدينية فى حرية مطلقة ، وأنه يستطيع كسب رزقه فى أمان ، ويستطيع أن يحقق أحلامه فى أرض الميعاد ، وهو عكس ما يفاجىء به المهاجرون حيث يجدون بانتظارهم مشاكل اقتصادية واجتماعية خطيرة ، تقف على رأسها مشكلتا السكن والبطالة ، مما قد يضطر بعضهم ـــ من يملك مالاً وفيراً منهم ـــ إلى العودة إلى مسقط رأسه ليطلع غيره من اليهود على ما شاهده بعينه ويبين لهم مدى كذب الدعاية الإسرائيلية ومدى تضليلها ، ويحذرهم من الرحيل إلى أرض الميعاد .

---

(١) الأخبار أول سبتمبر ١٩٩١ .

ــ **الهجرة ليست عماد أمن ، ولكن مصدر توتر وسبباً من أسباب اشتعال فتيل الصراع بين إسرائيل والعرب** ، وسر ذلك يكمن فى أن الرقعة الجغرافية التى اغتصبتها إسرائيل صغيرة بالقياس إلى أطماعها الإقليمية ، وافتقادها الحاد إلى الموارد الطبيعية والخامات مما يجعل التزايد السكانى بفعل الهجرة الواسعة يشكل ضغطاً على الموارد الداخلية ،ومما يدفع الحكومة الإسرائيلية إلى مزيد من العدوان والتوسع لإيجاد مكان لأعداد الهجرة الوفيرة وإيجاد موارد لهم ،ومما يشكل تهديداً للسلام وزعزعة للأمن فى ربوع الشرق الأوسط ، وخطراً كبيراً على الدولة العربية المجاورة .

* وبالنسبة لمفهوم **المحافظة على الثقافة والتراث اليهودى** ، **فتجدر الإشارة إلى أن** مصطلح **«الثقافة اليهودية» شأنه شأن مصطلح «التراث اليهودى» والمصطلحات الأخرى مثل «التاريخ اليهودى والعرق اليهودى والشخصية** اليهودية ، **يفترض وجود إبداع «يهودى» مستقل عن إبداع الأمم التى عاش ويعيش** اليهود بين ظهرانيها ، **وهو افتراض تدحضه الشواهد التاريخية ، ووفقاً لما يقول دكتور عبدالوهاب المسيرى**[1] ، فإن العبرانيين منذ ظهورهم فى التاريخ قد تبنوا حضارات الأمم الأخرى ، ابتداء من اللغة ، ومروراً بالمفاهيم الدينية وانتهاء بالطراز المعمارى . وعلى سبيل المثال : فليس هناك طراز يهودى معمارى ، أو فن يهودى مستقل ، فهيكل سليمان من الطراز الآشورى الفرعونى ، والمعابد اليهودية فى الوطن العربى ، أما ما فى جنوب الولايات المتحدة فى القرن التاسع عشر فمن النمط «النيوكلاسيكى» السائد هناك آنذاك ، والفنانون التشكيليون «اليهود» فى العصر الحديث أمثال «مارك شاجال» ينتمون إلى تراث فنى غربى ، ولا يمكن رؤيتهم فى إطار تراث يهودى مستقل .

ولم يعرف أيضاً تراث يهودى مستقل ، فالأدباء اليهود المستعربون فى الجاهلية والإسلام اتبعوا التقاليد السائدة فى عصورهم ، وكذا الأدباء اليهود فى الولايات المتحدة وانجلترا ، إبداعهم الأدبى مرتبط بالتراث الذى ينتمون إليه ، وهذا أمر طبيعى ومتوقع . بل إن التراث الدينى اليهودى نفسه ليس تراثاً مستقلاً بأى حال

---

(١) مقال أكذوبة الثقافة اليهودية ، مجلة العربى الكويتية العدد ٣٤٦ ــ سبتمبر ١٩٨٧ ــ ص ٢٥ ــ ٢٩ .

من الأحوال عن الموروث الديني والتقاليد والأفكار الدينية السائدة فى الشرق الأدنى القديم ، حاصة بلاد الرافدين .

ويقول آرثر كويستلر (المؤلف الإنجليزى اليهودى) أن ما يعرف «بالتراث اليهودى» أو «الثقافة اليهودية» أمر ليس من السهل تعريفه ، أو إن كل ما يصدر عن أعضاء الأقليات اليهودية فى العالم ليس يهودياً بالمعنى المحدد ، وليس جزءاً من تراث قائم ، فالإنجازات الفلسفية والعلمية والفنية لليهود الأفذاذ ، تتوقف على معطيات ثقافات الشعوب الأخرى وحضاراتها ، ولا تمثل عطاء حضارياً عاما ، أو جزءاً رئيسياً مستقلاً عن التراث .

ولعل أهم وعاء من أوعية أى موروث حضارى هو اللغة ، ومن المعروف أن اليهود لم يتحدثوا بالعبرية إلا فترة قصيرة جداً ، فى حين تداولوا الحديث بعشرات من اللغات الأخرى التى عاشوا بين ظهرانى متحدثيها ؛ وقد نشبت فى السنين الأولى من الاستيطان حرب تسمى «حرب اللغة» ، بين دعاة استخدام الألمانية (من إتباع الاستعمار الألمانى) ومن دعاة استخدام العبرية (من يهود شرق أوربا المؤيدين للاستعمار الإنجليزى) .

ثم إن الصهيونيين الأوائل لم يكونوا مؤمنين «بالثقافة اليهودية» ، وقد سخر هرتزل من هذا المفهوم بصوت عال حينما طرحه لأول مرة فى أحد المؤتمرات . **أما ما يحاول صهاينة اليوم إيجاده فى إسرائيل فهو ليس «ثقافة يهودية» ، فالثقافة الجديدة الموجودة فى إسرائيل وتحاول بها الصهيونية تجاوز اختلاف اللغات والثقافات والطباع والتقاليد ، وصهر الإسرائيليين فى وحدة قومية واحدة ، يمكن التحفظ عليها بالتحفظات التالية :**

ـــ إن هذه الثقافة هى ثقافة «**الصابرا**» أى أنها ثقافة ذات صيغة إشكنازية واضحة ، وبالتالى فهى **ثقافة عنصرية** لا تمثل عموم العناصر الإسرائيلية .

ـــ حينما تكتمل هذه الثقافة بأشكالها المختلفة لن تكون «ثقافة يهودية» وإنما ستكون «ثقافة إسرائيلية» تعبر عن تجربة المستوطنين الصهاينة فى فلسطين ، وليست لها علاقة كبيرة بثقافات أعضاء الأقليات ، إذ سيظل هؤلاء داخل تشكيلاتهم الثقافية المختلفة ، يتفاعلون معها ويؤثرون فيها وتؤثر فيهم .

ـــ الوعاء اللغوى ـــ أى العبرية التى ارتبطت دائماً بأعضاء الأقليات من الناحية الدينية ، وبأعضاء المستوطنين فى كافة نشاطات حياتهم ـــ قد بدأت تحيط به المشاكل ، إذ كتب بالعبرية التى هى عماد الثقافة الجديدة كتاب عرب غير يهود ، أى ليسوا أعضاء فى القبيلة اليهودية ولا يحملون عبء الوعى اليهودى ، ومع ذلك حازوا الإعجاب والتقدير ، مما جعل هذا الوعاء اليهودى ينكسر على يدهم .

وبالإضافة إلى ذلك تجدر الإشارة إلى أن الأفكار التى يتم حشو ها فى محتوى الثقافة الجديدة ، هى أفكار عنصرية تدعو إلى كراهية العرب وتستمد سمومها من أنياب أسفار العهد القديم ، أذناب التلمود وبروتوكولات خبثاء صهيون . وبالتالى فهى ثقافة تدعو إلى العنف وتقود إسرائيل ، لا فى طريق السلام السريع ، ولكن فى دروب الحروب الصعبة .

*** وبخصوص مفهوم تحجيم وإضعاف العرب ، تجدر ملاحظة :**

١ ـــ إن إسرائيل وأذنابها الصهيونية فى الكونجرس ومجلس الشيوخ الأمريكى لا تستطيع دائماً أن تمنع بيع صفقات أسلحة أمريكية متقدمة إلى العرب ، ولنا فى المعركة التى خاضتها إسرائيل وجماعات الضغط الصهيونى فى الكونجرس الأمريكى من ناحية وبين البيت الأبيض من ناحية أخرى حول بيع صفقة طائرات الأواكس الأمريكية المتقدمة إلى السعودية مثال قديم على عدم استطاعة إسرائيل ومؤيديها عام ١٩٨١ منع بيع هذه الصفقة المتقدمة للسعودية . ثم إن مسارعة الولايات المتحدة الأمريكية إبان حرب الخليج وبعدها لمنح السعودية كميات كبيرة من الأسلحة المتقدمة وفى مقدمتها منظومات صواريخ باتريوت . ثم بيع كميات من هذه الأسلحة إلى المملكة العربية السعودية ، مثال حديث على مدى تغير المنظور الأمريكى إلى العرب ، رغم أنه تغير محدود ولم يصل بعد إلى التطلعات العربية المشروعة .

٢ ـــ إن التكنولوجيا العسكرية المتقدمة ليست حكراً على الولايات المتحدة الأمريكية فقط ، بدليل أن القدرة العسكرية العراقية ، التى نمت نمواً مذهلاً قبل أن تغرق نفسها فى مستنقع الكويت ، تم بناؤها بالاستعانة بدول أخرى غير

الولايات المتحدة ، من أهمها فرنسا وألمانيا الغربية والصين . وقد نمت هذه القدرة نمواً جعلها تصل إلى مرحلة «البناء النووى للقدرة العسكرية» ، وهكذا فإن الضغوط الإسرائيلية لتحجيم القدرة العسكرية العربية ليست فعالة فى كل الظروف .

٣ ـــ إن القدرة العربية لا تتشكل فقط من قدرة عسكرية ، ولكنها تتشكل من قدرة بشرية واقتصادية وثقافية ، واضح أن إسرائيل تفتقر إليها جميعاً .

٤ ـــ إن الوعى القومى العربى خاصة بعد انتهاء حرب الخليج قد أدرك بوضوح أن تصفية الخلافات العربية ، خاصة ما نجم منها بسبب المحاور العربية الثلاثة إبان حرب الخليج : محور مؤيد للعراق .. ومحور ضد العراق ، ومحور وقف على الحياد ، وقد أخذت جامعة الدول العربية بعد عودة مقرها إلى القاهرة ، على عاتقها مسئولية توحيد الصف العربى ، ورأب الصدع العربى العام ، بعد أن التأم الصدع اللبنانى الداخلى ، وعادت الشرعية إلى السلطة اللبنانية وبدأ الجيش اللبنانى فى نزع أسلحة الطوائف اللبنانية المتنازعة .

٥ ـــ إن الخصومات بين الدول العربية وجيرانها غير العرب قد بدأت فى الزوال ، فوقف إطلاق النار بين العراق وإيران يمر الآن فى سنته الثالثة ، وبالتالى هو فى طريقه إلى أن يصبح سلاماً دائماً وقد بدأت العلاقات بين ليبيا وتشاد تصبح فى مستوى طبيعى . فى حين أن مشكلة جنوب السودان ، فى طريقها إلى حل دائم وشامل بعد الخطوات التى اتخذتها الحكومة السودانية فى هذا السبيل .

٦ ـــ إن القدرة النووية لدولة باكستان الإسلامية تدعم وبقوة المكانة العسكرية للقدرات العربية ، باعتبار أن القدرة الباكستانية قدرة إسلامية قبل أى شئ آخر .

وهكذا فإن إسرائيل لن تستطيع دائماً أن تعتمد على هذا الثابت الأخير ضمن النظرية الأمنية الإسرائيلية لضمان أمنها ، باعتبار أنه ـــ مثله فى ذلك مثل الاعتماد على الهجرة أو الثقافة ـــ هو مفهوم أمنى أسطورى لا يرقى إلى مجابهة الواقع الفعلى . وما يقال عن الثوابت الأمنية الثلاث يقال بشأن المتغيرات الخمسة التى تحكم النظرية الأمنية الإسرائيلية :

* **فبالنسبة للحدود الآمنة ، فقد أثبتت حرب أكتوبر بما لا يدع مجالاً للشك بأن الموانع الطبيعية ليست حداً آمناً** فقد استطاعت القوات المصرية الباسلة وفى ست ساعات فقط اجتياز أصعب مانع جغرافى كانت تركن إليه إسرائيل باعتباره حداً آمناً ، خاصة وأنها قد أنشأت خلفه ساتراً ترابياً بارتفاع يصل إلى خمسة عشر متراً وأقامت عليه نقاطا دفاعية منيعة مزودة بكافة سبل الأمان وأهمها آبار النابالم المتصلة عن طريق أنابيب بقناة السويس والتى كان يهدف من ورائها تحويل مياه القناة إلى جحيم فور أول محاولة للقوات المصرية لعبور القناة . هذا عدا حقول الألغام المزروعة خلف الساتر الترابى .

ـــ كما أثبتت المقاومة اللبنانية الباسلة أن الشريط الحدودى الذى أقامته إسرائيل داخل الأراضى اللبنانية وزودته بكافة وسائل « الأمن » من أسلاك شائكة وألغام ووسائل إليكترونية ودوريات والأهم خندق بعمق ٣ أمتار وبعرض ٣ أمتار ، لا يستطيع أن يضمن أمن إسرائيل ، فهو إذا كان قد حد من عمليات التسلل الفردى ، أو عمليات الاندفاع عبر الخط بالسيارات والشاحنات إلى الأراضى المحتلة ، إلا أن المقاومة داخل الشريط الحدودى نفسه قد نفذت عدة عمليات بطولية جريئة أدت إلى مصرع وإصابة عدد كبير من جنود « الاحتلال » الإسرائيلى وأثبتت عدم صحة نظرية الأمن الإسرائيلى ، إذ سيبقى الوضع فى الجنوب اللبنانى غير مستقر حتى تنسحب قوات الاحتلال الإسرائيلية تنفيذاً لقرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥ الخاص بهذا الشأن . بل أن المقاومة الفلسطينية داخل الأراضى الفلسطينية ذاتها لن يحول دون حدوثها أى شريط حدود . وقد اعترف الجنرال أمنون شامعاك نائب رئيس الجيش الإسرائيلى بأن الجيش الإسرائيلى لن يتمكن مستقبلاً من الإبقاء على سيطرته على الضفة الغربية **ودعا الحكومة الإسرائيلية إلى الأعتراف بالأمر الواقع مؤكداً أن الجيش الإسرائيلى لن يستطيع السيطرة أمنياً إلى ما لا نهاية على الضفة الغربية**[1] إن أفضل إيضاح لإظهار مدى أسطورية نظرية الحدود الآمنة التى غسلت بها إسرائيل الكثير من الأدمغة وجردتها من القدرة على فحص المشكلة بصورة نقدية منطقية ، هو ما ورد فى الدراسة الهامة التى كتبها المؤرخ الإسرائيلى « يعقوب تلمون » أستاذ التاريخ المعاصر بالجامعة

(١) الأهرام عدد ٣ أكتوبر ١٩٩١ .

العبرية ، بعنوان «حساب النفس» ، وأوضح فيها أنه :

ــ حتى لو أصبحت حدودنا ــ أى حدود إسرائيل ــ من النيل إلى الفرات ، لن يكون وجود إسرائيل أميناً ، وستأخذ البربرية الوحشية فى الازدياد فى المنطقة بأسرها ، ولانستطيع النجاة منها ، وربما يُشعل الصراع ناراً تعرض سلام العالم بأسره إلى الخطر ... إننى أعترف بأننى كمؤرخ لا أفهم ماهى الحدود الآمنة وماهى الحدود الرادعة ، وماهى الحدود التى هى إغراء للمعتدى . فالتاريخ بأسره يظهر أن الأمن أو عدم الأمن لا يتعلق بالحدود الآمنة أو غير الآمنة ، الطبيعية أو الاصطناعية ، المحصنة أو المكشوفة . وإنما يتعلق الأمن بدوافع العدو وتصميمه على شن الحرب[1] .

*** وبالنسبة للحرب الوقائية ، فقد أثبت الغزو الإسرائيلى للبنان أنها أسلوب غير عملى ، فقد تحول الغزو إلى مستنقع دموى كبير** ، وأبرز الغزو أن الثمن الاجتماعى والاقتصادى للحرب الوقائية لا يمكن لمجتمع صغير معتمد على الإعانات الخارجية أن يتحمله ، مما حمل الرأى العام الإسرائيلى إلى مطالبة الحكومة الإسرائيلية بالانسحاب من هذه الحرب « المدمرة » للكيان النفسى الإسرائيلى .. هذا عدا أن العالم بأجمعه فى ظل النظام الدولى الجديد لم يعد مهيئاً لقيام إسرائيل بمثل هذه الحروب الوقائية على عكس ما كان متبعاً فى الماضى .

أما بخصوص الحرب السريعة الخاطفة فتجدر الإشارة إلى :

١ ــ أن مثل هذه النوعية من الحروب لم يعد لها مجال فى ظل تنامى القدرة العسكرية والبشرية والاقتصادية العربية وتضييق الفجوة النوعية والتكنولوجية بينهم وبين إسرائيل .

٢ ــ أن التكلفة الاقتصادية الفادحة لسباق التسلح وتأثيرها على إعاقة التنمية فى المجتمع الإسرائيلى الذى يعانى من مشكلات اقتصادية جمة ، تجعل احتفاظ إسرائيل بالقدرة على القيام بحرب سريعة تتحقق جدواها أمراً بعيد المنال ، ذلك أن تحقيق انتصار عسكرى ذى شأن سيؤدى لخسائر مادية وبشرية فادحة فى زمن

---

(١) ملحق العدد ٤ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية بتاريخ ١٩٧٤/٢/١٦ نقلا عن صحيفة هاآرتس الإسرائيلية .

قليل مما ينعكس سريعاً على البنية الاقتصادية الإسرائيلية .

٣ ــ الحرب السريعة تعتمد فى جوهرها على استخدام سلاح الطيران . ومعروف أن سلاح الطيران ــ وكما ثبت من حرب فيتنام وحرب الخليج ــ لا يستطيع أن يحسم الحرب ، بمعنى فرض إرادة طرف على طرف آخر ، وإنما يتطلب الأمر استخدام الدبأبات التى تعززها أعداد كبيرة من المشاة . وهو ما يعتبر مشكلة كبرى أمام الجيش الإسرائيلى ، ليس لقلة عدد المشاة فقط ولكن لأن الحرب الميكانيكية لا تمثل حرباً خاطفة إلا إذا كانت العمليات محدودة جداً .

* **وبخصوص مفهوم الردع الاستراتيجى والهيمنة العسكرية ، فالمعروف أن إسرائيل ، حتى ولو امتلكت أضعاف ما لديها من ترسانة عسكرية الآن ، لن تستطيع أن تحقق أمنها بفوة السلاح** . وفى هذا الصدد نستعير ما قال به الجنرال «باركونكا» مساعد رئيس هيئة الأركان الإسرائيلى لشئون استخلاص الدروس المستفادة من الحروب التى خاضتها إسرائيل مع العرب . فلقد وصف الجنرال باركونكا القيادة العسكرية الإسرائيلية بأنها لم تستوعب الدرس جيداً ، وأنها لازالت تتصور أنه عن طريق استخدام الأساليب العسكرية يمكن أن تعالج مشاكلها ونزاعاتها مع الدول العربية المجاورة[1] ، أى أنه يرى أن القوة العسكرية والتمادى فى استخدام القبضة الحديدية لا يمكن أن يحل نزاعات الحدود بينها وبين الدول العربية المجاورة ، وهو نفس ما قال به الرئيس الأمريكى جورج بوش فى احتفال لإحدى المؤسسات اليهودية : **«أن ما تعلمناه هو أن الجغرافيا وحدها لا يمكنها أن تضمن أمن إسرائيل ، وأن القوة العسكرية وحدها لا يمكنها أن تضمن أمن إسرائيل[2]** .

أما بخصوص «الردع النووى» فتجدر الإشارة إلى الحقائق الآتية :

١ ــ لن تستطيع إسرائيل أن تغامر وتستخدم أى أسلحة نووية لقصف العواصم العربية المؤثرة فى الصراع العربى الإسرائيلى مثل القاهرة أو دمشق أو عمان أو بيروت أو حتى بغداد ، وذلك لقرب هذه العواصم من الدولة الإسرائيلية الأمر الذى يجعل استخدام السلاح النووى ضدها بمثابة سلاح ذى حدين ، **فهو إذ**

---

(١) الأخبار عدد ١١ ديسمبر ١٩٩٠ .

(٢) الأهرام عدد ١٨ يونية ١٩٩١ .

سيدمر العاصمة العربية إلا أن الإشعاع الناتج عن الدمار النووى سيضر بسكان وأرض إسرائيل ضرراً بليغاً ، أى أن إسرائيل ضالعة فى حسابات الخسائر مثلما هى ضالعة فى حسابات المكاسب . ولهذا السبب تحجم دولة «مصر» عن الرغبة فى امتلاك السلاح النووى لأنها ستكون ضمن الخاسرين إضافة إلى الدول العربية المجاورة لإسرائيل من جراء استخدام السلاح النووى ضد إسرائيل .

٢ ــ السلاح النووى الإسرائيلى لن يكون مجدياً إلى حد كبير ، لأن العرب قادرون على التضحية بأعداد ضخمة من البشر ، والرد بأسلحة غير تقليدية مثل الكيماوية والبيولوجية .

٣ ــ أن الدول العربية ــ أو بعضها على الأقل ــ تفكر فى شراء قنبلة نووية «لمعادلة مبدأ الردع النووى» والوصول إلى «تعادل الموت» ، والأموال العربية قد تكون كفيلة بشراء هذا السلاح من إحدى الدول الصديقة .

*** أما بخصوص الاعتماد على أجهزة المخابرات لتحقيق هامش الأمن بالزمان ،** فالمعروف أن حرب أكتوبر ١٩٧٣ قد برهنت على أن الاستخبارات جهاز يمكن أن يصيب أو يخطىء ، وأن من الخطورة بمكان اعتبار استنتاجاته أموراً مؤكدة ، كما أن من الخطورة تقييم الوضع بناء على تقدير الاستخبارات لنوايا الخصم ، ومن ثم اعتبار عملاء الإستخبارات هم «الخط الدفاعى الأول» القادر على إنذار القوات المسلحة أو المدنيين الإسرائيليين بشكل يمنع تعرضهما لأية مفاجأة ، ويعطيهما هامش مناورة واسعاً فى الزمان .

وإذا كانت الاستخبارات الإسرائيلية قد نجحت فى تنفيذ بعض العمليات «القذرة» قبل أو بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، **فالحقيقة أنها قد فشلت ولأكثر من** مرة فى التنبؤ بمعرفة نوايا العرب والفلسطينيين المناهضين لها ، أو أساءت ــ على الأقل ــ تحليل المعلومات التى جمعها خبراؤها . ومن هذا الفشل نذكر على سبيل المثال حادث مطار اللد ، حيث قام ثلاثة شبان يابانيون بقتل ٢٦ وإصابة العشرات بالمطار ، وفيه فشلت المخابرات الإسرائيلية اكتشاف تجنيد غير العرب للقيام بعمليات فدائية لحساب فلسطين . ومنه أيضاً عملية ميونيخ التى قام بها

فدائيون فلسطينيون وانتهت بقتل عشرة إسرائيليين ، حيث فشلت الاستخبارات الإسرائيلية فى تحليل معلومات غربية قالت باحتمال وقوع محاولة الاعتداء على الوفد الإسرائيلى بالدورة الأوليمبية فى ميونيخ .

إضافة إلى هذا ، فإن للعرب أيضا مخابراتهم وعملاءهم ، ثم أن لديهم أساليب كثيرة فى الخداع والتضليل والتعمية لعملاء الاستخبارات الإسرائيلية ، وهى أساليب من المتعذر أن تتوصل المخابرات الإسرائيلية سريعاً إلى أية صيغة لمواجهتها . وإن توصلت قد يكون عامل الأمان بهامش الزمن قد انتهى بحيث لا تجدى الصيغ ولا تنفع التحذيرات .

* **أما بخصوص الاعتماد على الولايات المتحدة كحليف استراتيجى ، فتجدر الإشارة إلى أن الوظيفة التى أوكلها الغرب لإسرائيل قد تبدد معظمها الآن بعد ما حدث فى الإتحاد السوفيتى وأوربا الشرقية من انهيارات للشيوعية فتلاشى التهدد السوفيتى لمناطق الأوليات الاستراتيجية** ، وإعلان انتهاء الحرب الباردة بين الشرق والغرب وبالتالى لن تعود الأنباء تذكر « أن الولايات المتحدة الأمريكية والإسرائيلية تعقدان محادثات سرية للتخطيط العسكرى تتركز على كيفية مجابهة الاتحاد السوفيتى فى منطقة الشرق الأوسط » فاستخدام إسرائيل كقاعدة عمليات متقدمة فى الصراع ضد النفوذ السوفيتى قد انتهى بانتهاء الحرب الباردة .

فإذا أضفنا إلى هذا أن بعض الدول العربية قد أوجدت للولايات المتحدة قواعد أمريكية على أراضيها ، وأن الولايات المتحدة الأمريكية فى أمس الحاجة لتأمين احتياجاتها من الطاقة البترولية العربية فى المستقبل ، لأدركنا أن الدور الاستراتيجى الذى كان موكولاً لإسرائيل قد إنحرف بزاوية ٩٠ درجة تقريباً . الأمر الذى لا يضمن لإسرائيل أن تظل الولايات المتحدة ضامنة لأمن إسرائيل بنفس ما كانت ترنو إليه من قبل .

وهكذا لن تستطيع إسرائيل الركون إلى هذه النقطة فى النظرية الأمنية القومية الإسرائيلية ، ولا إلى أى نقطة سابقة فى تلك النظرية الأسطورية التى ترتكز على ركائز يرفضها المجتمع الدولى :

ـــ فالتوسع إلى حدود أرض الميعاد ، مبدأ يرفضه القانون الدولى ، وكما سبق وأن أوضحنا فإن حكاية أرض الميعاد ذاتها محض أسطورة تريد إسرائيل من ورائها وبدعوى أمنها استغلالها للتوسع على حساب أرض العرب وشعب العرب .

ـــ وسياسة إقامة المستوطنات سياسة مرفوضة من المجتمع الدولى ككل ، بما فى ذلك الولايات المتحدة الأمريكية «ولية نعمة إسرائيل» التى يمكن تسميتها «الوليات للنعمة الإسرائيلية» . وهى إذ تتم على حساب أرض الإنسان الفلسطينى فإنما تمثل عَملاً من أعمال القرصنة «الأرضية» التى يرفضها القانون الدولى .

ـــ ورفض قيام الدولة الفلسطينية ، مبدأ لا يستقيم وشرائع العدل والقانون ، فحق تقرير مصير الشعب الفلسطينى ، حق اعترفت به كافة المنظمات الدولية ، ومبدأ الأرض ـــ أرض الفلسطينيين ـــ مقابل السلام ، مبدأ تطالب به كل دول العالم ، بما فى ذلك الولايات المتحدة الأمريكية التى تنادى بتسوية القضية الفلسطينية وفقاً لقرارات الأمم المتحدة وعلى رأسها القرار ٢٤٢ الذى يطالب بإعادة الأرض العربية التى احتلتها إسرائيل فى حرب ١٩٦٧ إلى أصحابها .

أما ما تدعيه إسرائيل فى مسألة العمق الجغرافى ، ومارددته فى أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣ من أنها كانت على حق فى رفضها الانسحاب من الأراضى التى احتلتها فى سنة ١٩٦٧ ، وأن العرب هم الذين بدأوا الحرب ، ولو حدث هذا ولم يكن فى يد إسرائيل الأرض التى احتلتها ، لدارت الحرب فى أرضها وبين أهلها . وكان من المرجح أن يُقضى على إسرائيل قضاءً تاماً . فاحتلال أرض العرب ضمان ضد الهجوم العربى وكفيل بأن يترك لإسرائيل مجالًا واسعاً للدفاع ورد الهجوم ، وفسحة من الوقت ريثما تصل الإمدادات الأمريكية، ففى هذا الادعاء مغالطتان واضحتان ، والأصح أن يقال : **أنه إن لم يكن الاحتلال الإسرائيلى لأرض العرب ، لما وقعت الحرب .. وقد قامت إسرائيل منذ سنة ١٩٤٨ ولم يقع أى اعتداء عليها من العرب ، بل أنها هى التى كانت تعتدى .. وأن يقال إن العمق الجغرافى لا يضمن لإسرائيل الأمن . ولو كانت إسرائيل تنشد الأمن فى داخل حدودها لرجعت إليها وتركت أرض العرب للعرب .** وقد أكد على هذه الحقيقة ريتشارد تشينى وزير الدفاع الأمريكى حين استبعد أن



بالله عليكم ، من الذى يحتاج للأمن ، العرب أم الاسرائيليين ، صورة نشرتها صحيفة البوسطن جلوب لفتاة فلسطينية تجرى وسط مجموعة من الجنود الإسرائيليين المنتشرين بمدينة القدس القديمة (القدس العربية) . لقد كان جمال عبد الناصر يطالب العالم بأن يقينا شر إسرائيل . لكن إسرائيل تدعى أنها تحتاج إلى الأمن ! .

العمق الاستراتيجى والأتساع الجغرافى يوفران الأمن[1] . وأكدها أيضاً برنت سكو كروفت مستشار الأمن الأمريكى حين رفض الادعاءات الإسرائيلية حول أهمية الأرض المحتلة كعمق دفاعى لإسرائيل ، وقال إن الأرض المحتلة لا تضمن الأمن لإسرائيل[2] .

وما تدعيه إسرائيل من «أنها لا تستطيع إعادة الجولان لسوريا لأنها (منصة عالية) يمكن لسوريا بها مهاجمة إسرائيل» ففيه ثلاث مغالطات : أولاً أنه ليس من حق دولة أن تحتفظ بأراضى دولة أخرى احتلتها . وثانياً أن إسرائيل هى التى تحتفظ فعلاً (بالمنصة العالية) الآن وتهدد بها سوريا بما أقامته عليها من

(١) الأهرام عدد أول مايو ١٩٩١ .

(٢) الأهرام عدد ١٦ ابريل ١٩٩١ .

منشآت وقواعد .. وثالثاً أنه ما الذى تخشاه إسرائيل من (منصة) ستكون بعد إعادتها معزولة السلاح . وسيتم مراقبتها من قبل مراقبى الأمم المتحدة ؟!

أما ما تقول به إسرائيل من أنها لا تريد أن تقيم بجوارها دولة فلسطينية تكون بمثابة برميل بارود يهدد أمنها أو ينفجر فيها لأن العرب قوم لا يؤمن جانبهم ، فالرد عليه ببساطة هو : كيف تخشى إسرائيل قيام دولة فلسطينية ستكون محاصرة بكل أنواع الرقابة والضمانات الدولية خاصة فى مجال التسلح ؟!

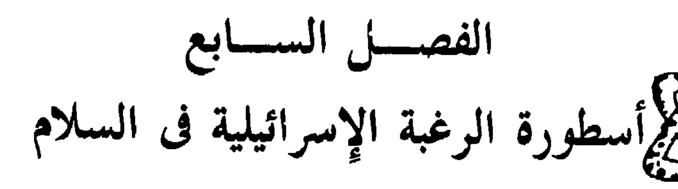
إن مخاوف إسرائيل الأمنية لا أساس لها إلا فى مخيلة مريضة تؤمن بأن استخدام القوة العسكرية والقبضة الحديدية سيحقق الأمن «الإجبارى» ! أى أن القوة ستفرض «الأمن» بالعنف . وتنسى أن العنف يولد شيئين : العنف المضاد والكراهية . وطالما وجدت الكراهية فإلى الجحيم يا أمن إسرائيل .. ومادامت إسرائيل تزرع القمح وترويه بدم الفلسطينى ، وتنشد سلام العربى بالنار ، فلا أمل لها فى أمن على هذه الأرض .. لقد حدث فى أعقاب المذبحة الإسرائيلية فى المسجد الأقصى فى أكتوبر ١٩٩٠ — أن تزايد الشعور بالكراهية تجاه إسرائيل وشعبها بين العرب جميعاً حتى المصريين منهم رغم تعاهدهم فى معاهدة كامب ديفيد مع إسرائيل . فقام مصرى بقتل الزعيم الإرهابى الإسرائيلى «مائير كاهانا» فى حين قامت فتاة لبنانية بعملية انتحارية ضد قوات إسرائيلية فى جنوب لبنان . وفى نفس اليوم قام جندى حدود مصرى باختراق الحدود المصرية الإسرائيلية فقتل ٤ جنود إسرائيليين وأصاب ١٢٦ إسرائيليا فى حادث وصفه الجندى بأنه احتجاجا على مذبحة المسجد الأقصى . هذا عدا سقوط عدد من الجنود الإسرائيليين صرعى على يد الفلسطينيين أصحاب الحق داخل الأرض العربية المحتلة فى حرب وصفت بأنها « حرب السكاكين » .. والسبب الكراهية .

فإذا كان الأمر هكذا وكان الارتكان إلى النظرية والمفاهيم الأمنية الإسرائيلية معناه الاتكاء على جدار مائل لا يضمن لهم مطالبة العربى بحقه فى العيش على أرضه بأمان . فما الذى يضمن أمن إسرائيل فعلاً ؟

على هذا السؤال يجيب الرئيس بوش : «**إن إسرائيل وجيرانها سوف يتمتعون بالأمن الحقيقى والدائم عندما يصلون إلى مصالحة حقيقية**» .. وهو بهذا يؤكد صواب الرؤية السياسية المصرية التى أكدتها مصر مراراً .. وقال بها «عمرو موسى» رئيس وفد مصر بالأمم المتحدة فى بيان اللجنة السياسية الأولى بالأمم المتحدة[1] إذ أكد أن «**إسرائيل لا تستطيع أن تحقق أمنها بقوة السلاح ، وكذلك الدول العربية . كما لا يمكن أن تحقق الأمن على حساب تهديد أمن الدول الأخرى . فالأمن يتحقق فقط من خلال ترتيبات أمنية متبادلة بين دول المنطقة** . ولابد أن تعلن إسرائيل عن التزامها بحظر انتشار الأسلحة النووية بالتوقيع على المعاهدة الدولية التى تحظر هذه الأسلحة والتى وقعت عليها مصر وعدد من الدول العربية» .. أى أن أمن إسرائيل يتحقق بقبولها عضواً فى الشرق الأوسط برضا شعوب المنطقة وفى نطاق احترام الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى فى إقامة دولته على أراضى الضفة الغربية وغزة . وفى نطاق احترام الحقوق والتعايش السلمى لكل الشعوب .. أما إذا أصرت إسرائيل على عدم تنفيذ هذا وتمسكت بنظريتها الأمنية الأسطورية ، فستكون كمن يريد فرض الأمن بالإرهاب أو نشر السلام بالحرب .. أو غرس الحياة بالموت ، أو إقامة العدل بالظلم . وستكون كمن يسير نحو قبره الذى صنعه بنفسه ماشياً على قدميه . وستصبح إسرائيل قبراً جماعياً كبيراً ، وستكون هناك حرب بين المائتى مليون عربى وبين يهود إسرائيل . ولن تستطيع أربعة أو خمسة أو عشرة ملايين أن يقضوا على المائتى مليون .. ولن ينقذ الملايين اليهود الأربعة أو الخمسة أو حتى العشرة إلا السلام .. ولكن للأسف فإن الرغبة الإسرائيلية فى السلام ، هى الأخرى ــ مثلها مثل مفاهيم الأمن الإسرائيلى ــ محض أسطورة تؤكد على أنه مثلما ؛ لا أمن لإسرائيل ، لا أمان لها .



(١) الأهرام عدد ١٢ نوفمبر ١٩٩٠ .



الفصـــل الســـابع

أسطورة الرغبة الإسرائيلية فى السلام

«أعتقد أن هناك احتمالات كثيرة لكى يتعايش الذئب مع الحمل لكننا نُصر أن يكون الذئب يهودياً» .

يوفيل نيئمان ، زعيم حزب هتحيا الإسرائيلى

ـــ حكومة إسرائيل الحالية أكثر الحكومات تشدداً فى تاريخ إسرائيل .

ـــ الوزارة الحالية وزارة حرب وإرهاب من الدرجة الأولى .

ـــ ماضى شامير وحاضره كإرهابى لا يؤهله لصنع السلام .

ـــ شامير المطلوب القبض عليه فى عدة دول أوربية .

ـــ النقطة الوحيدة فى شامير هى صراحته . غير أنها صراحة تدل على بجاحة ووقاحة .

ـــ شامير يبرر الإرهاب الإسرائيلى ويستنكر الإرهاب الفلسطينى .

ـــ تعليمات شامير : من ضربك بحجر ، أضربه برصاصة .

ـــ السلام مقابل السلام معناه الإكتفاء بالأرض التى أُحتلت .

ـــ أفعال وأقوال إسرائيل قبل وبعد مؤتمر مدريد لا تخدم السلام .

ـــ دور المفاوض العربى فى محادثات السلام يجب أن يتحلى بالصبر وبالتمسك بالأهداف .

● أسطورة الرغبة الإسرائيلية فى السلام

قلنا إن الرغبة الإسرائيلية فى السلام هى محض أسطورة .. **فما دليلنا على ذلك ؟ وكيف يستقيم هذا القول مع الموافقة الإسرائيلية على الاشتراك فى مؤتمر السلام ؟ وهل يتحقق السلام لمجرد حضور إسرائيل لهذا «المؤتمر» ؟**.

دليلنا واضح وبسيط جداً ، ويستمد مضمونه من المثل البلدى «الجواب باين من عنوانه» ، **وعنوان السلام الإسرائيلى هو إسحاق شامير والعصابة التى تشاركه الحكم** . فالحكومة الإسرائيلية الحالية وكما لاحظت وكالة رويتر — لا نحن فقط — **هى أكثر الحكومات تشدداً فى تاريخ إسرائيل**[1] . ولعل مرد ذلك إلى شيئين : **الأول أنها تضم عناصر مشهودًا لها بالتطرف** وقد حددت مهامها بالتوسع فى العمليات الاستيطانية والقضاء على الانتفاضة الفلسطينية بطرد العرب من بلادهم تمهيداً لتحقيق حلم إسرائيل الكبرى — على الأقل — من البحر إلى النهر ، وهى كلما أحست بنقص جرعاتها الرسمية من التطرف ، سارعت إلى ضم وزير متطرف جديد ، حتى وإن كان هذا الوزير — وزير حقيبة — أى وزير بلا وزارة كالوزير «رحبعام زيئيفى» .. **والثانى أنها وزارة حرب** بمعنى أن معظم أعضائها ممن لهم ماضى إرهابى أو ممن كان لهم — ماضى عسكرى — أو ما يزال .. فإذا تأملنا صفوة أعضاء هذه الحكومة سوف نجدها من العسكريين ، بل من غلاة العسكريين : اريل شارون ، عزرا فايتسمان — دان شمرون ، موشيه ارينز — حاييم هيرتزوج ، رانائيل اتيان ، ديفيد ليفى .. أما الفئة الباقية من أعضاء القيادة السياسية فإنه لا يوجد شخص واحد منهم لم يخدم فى الجيش لفترات طويلة ، أو على الأقل ، قد عاش فترات طويلة من تجربة التعبئة العامة ، أى البقاء تحت طلب التجنيد .. أما ما يعرف فى إسرائيل بالدائرة الداخلية Inner Circle وهى مجموعة الأشخاص التى تحدد وبشكل غير رسمى توجهات الدولة الإسرائيلية كلها متأثرة تماما بقرارات الجيش وتعليمات القيادة العسكرية .

ولماذا نذهب بعيداً .. لماذا لا نتطلع إلى ماضى وحاضر زعيم هذه المجموعات : الحكومة الإسرائيلية — القيادة السياسية — الدائرة الداخلية ،

---

(١) الأخبار عدد ٨ مارس ١٩٩١ .

وهو إسحق شامير . فهذا القرد الضئيل الحجم والذى لا يستطيع إلى الآن زيارة بعض العواصم الأوربية لأنه مطلوب فيها[1] ! قضى عشر سنوات من عمره متخفياً تحت اسم مستعار حتى لا يكتشف أحد صلته باسم «إسحق شامير» كزعيم لأكبر عصابة إرهابية فى التاريخ الصهيونى ، وباسمه المستعار عمل جاسوساً لإسرائيل فى باريس ، لقد ذهب إلى هناك ـــ كما يقول محمد الشرقاوى[2] ـــ وهو يحمل بين جوانحه شعوراً مريراً بالإحباط ، فقد كان يرنو إلى منصب وزير الداخلية ، كان يظن أن سجله الإرهابى يرشحه لذلك ، وهو أمر لا ينكره عليه أحد . لكن صراعات السلطة عرقلت طموحه ، ولم يجد آنذاك عملاً سوى فى رابطة «دور السينما» فى تل أبيب .

لم تبرأ جراح إحباطاته إلا عندما وصل صديقه الإرهابى «مناحم بيجين» إلى السلطة فى إسرائيل عام ١٩٧٧ ، ففتح أمامه أبواب الحكم على مصراعيها ، فقد كانا رفيقى سلاح فى المنظمة الإرهابية التى انضم إليها شامير عندما كان فى العشرين من عمره .. كان شامير قد هاجر من بولندا إلى فلسطين ليجسد بطعنات السيف اليهودى ، الحلم الصهيونى ، فقد لقنه «جابوتنسكى» فيلسوف العنف والأب الروحى للإرهاب الصهيونى موعظة العنف والكراهية : «الله أنزل السيف والتوراة على اليهود» ..



نشرة وزعتها السلطات البريطانية عن الارهابى اسحق شامير رئيس وزراء إسرائيل الحالى ، لتورطه فى عملية اغتيال الكونت برنادوت الوسيط الدولى للسلام عام ١٩٤٨ . فهل نتوقع من إسحق شامير ، واسمه الأصلى اسحق يزيرنتسكى أن يتحقق على يده السلام عام ١٩٩٢ .

---

(١) الأهرام عدد ١٠ نوفمبر ١٩٩٠ .

(٢) صورة إسحق شامير كإرهابى مطلوب القبض عليه منشورة ضمن صفحات هذا الكتاب .

عندما وصل الحكم وتولى مسئولية رئاسة الوزراء ، تارة بمفرده ، وتارة بالاشتراك فى تحالف وزارى مع إسحق رابين ، **لم يتوان عن تطبيق فلسفة الإرهاب الجابوتونسكية ، تلك الفلسفة التى أثبت بتطبيقها أنه واحد من أبطال الأساطير الشريرة ، فهو صورة مكررة للتنين والغول والديناصور وهولاكو وليتمورلنك وهتلر . لقد نقل شامير النازية من ألمانيا وأتى بها إلى إسرائيل ، فأضحى المستشار الأول لعمليات قمع العرب داخل فلسطين وخارجها .**

غير أن النقطة الجيدة الوحيدة فى شخص هذا المسخ البشرى ، أنه « **واضح وصريح ومحدد ، وأقواله متسقة مع أعماله ، وأعماله متسقة مع نفسه ومع تفكيره** »[1] . وتفكيره لم يتجه ولن يتجه يوماً إلى السلام ، **ويكفى أن نلقى نظرة على مجموعة من أقواله وتصريحاته وأفكاره بخصوص خطط السلام فى المنطقة ، ونحن لم نتدخل بالتعليق بين الأقواس إلا لإيضاح مدى تغلل العنصرية والشيطانية فى فكر الرجل .**

* **فبخصوص الإرهاب نذكر قوله :**

أن الإرهاب وسيلة كفاح مقبولة فى بعض الظروف مثلما حدث فى حرب عام ١٩٤٨ ، ان استخدام اليهود للإرهاب كان أمراً له ما يبرره ، وهو إقامة دولة يهودية ، بينما لا يوجد أى مبرر أمام الفلسطينيين للجوء إلى الإرهاب .

● (ومبدئيا فإن الأهداف لا تبرر الارهاب لأن الغاية لا تبرر الوسيلة إلا لدى الميكافليين أمثال إسحاق شامير . ثم أنه إذا كان قد برر لجوء اليهود للإرهاب بإقامة الدولة الإسرائيلية ، فلماذا ينكر على الفلسطينيين اللجوء لنفس الإرهاب لإقامة الدولة الفلسطينية ؟!) .

* **وبخصوص مقترحات جورج شولتز للسلام نذكر قوله :**

لم أتبادل الرأى مع شولتز ــ ولو بكلمة واحدة ــ عن مقترحاته السلمية التى أرفضها وأعتقد أن انتقاد شولتز لى كان يهدف الاستهلاك فى الصحافة العربية ومن أجل تحقيق بعض الأهداف داخل الولايات المتحدة الأمريكية .

---

(١) الصراحة لدى الجميع فضيلة ، لكنها عند شامير رذيلة إن صراحته تدل على بجاحته . واتساقيته تدل على شوفينيته .

أن الشيء الوحيد الذى أستطيع قبوله فى مقترحات شولتز الجديدة هو توقيعه الذى يزين الصفحة الأخيرة فى هذه المقترحات فقط .

● (أى أن الرجل ليست لديه اهتمامات بأى مقترحات للسلام ، ولا مانع من توجيه الانتقاد له ، طالما أن هذا الانتقاد سيرضى العرب ، ولن يخسر بسببه أى قضايا مادية ، فالمعنويات لا أهمية لها بالنسبة له) .

*** وبخصوص الانتفاضة نذكر قوله :**

سنستمر فى طرد الفلسطينيين طالما استمرت الانتفاضة ، وكما فشل العرب فى تدمير إسرائيل بالمدفعية والدبابات فإنهم سيفشلونِ فى تدميرها بالحجارة .

على قوات الأمن والمدنيين المسلحين ألا يتوانوا عن اطلاق نيران أسلحتهم على قاذفى الحجارة الفلسطينية .

● (انظر إلى مدى تحضر وديمقراطية الرجل ، من ضربك بحجر أضربه بالرصاص . وانظر إلى أسلوبه النازى فى طرد العرب ، أليس هذا أكثر شبهاً بما ادعوه عن هتلر بأنه أراد طردهم من القارة الأوربية) .

*** وبخصوص مستقبل الفلسطينيين نذكر قوله :**

لن تتخلى إسرائيل عن الضفة الغربية وغزة أبداً ، إن الحكم الذاتى هو أقصى ما يمكن أن تذهب إليه إسرائيل .

● (أى أنه يريد أن يجعل الفلسطينيين كالمساجين لهم حرية التنقل والحركة والأكل والشرب داخل السجن . والفرق هنا أنه اسمى السجن باسم مهذب «الحكم الذاتى» !) .

*** وبخصوص وضع مدينة القدس نذكر قوله :**

إن من يمد يده للمساس بوحدة العاصمة أورشليم (القدس) سوف تقطع .

● أى أن الرجل يعلنها صريحة إحتلال القدس أمر شرعى ولن أسمح لأحد أن يغير من وضع هذا الاحتلال) .

* **وبخصوص الدولة الفلسطينية نذكر قوله :**

أن الدعوة الأخيرة التى تطالب بإقامة دولة فلسطينية فى الأراضى المحتلة بجوار إسرائيل إنما يعنى ببساطة بداية انهيار دولة إسرائيل .

أنصحكم ألا تردوا على أية خرافات يطلقها أولئك الذين يتحدثون عن إقامة دولة فلسطين .. أتركوهم فسوف يصطدمون بقبضة حديدية لن تبقى أى أثر لمحاولاتهم اليائسة .

أنا مع السلام ولكن بدون إقامة دولة فلسطينية .

● (أى أنه يريد أن يقول من حقك أن تشرب قهوة ولكن بدون بن !) .

* **وبخصوص التفاوض والسلام مع العرب نذكر قوله :**

لابد من الاعتراف بالواقع الإسرائيلى وقبول تسوية مؤقتة .

لا يمكن لأى هيئة دولية تقرير مستقبل إسرائيل .

● (أى أنه لا يبحث عن سلام دائم ، وليست له أى اهتمامات بآراء غيره حتى وإن كان هيئة دولية) .

* **وبخصوص مبدأ الأرض مقابل السلام نذكر قوله :**

لا أتصور إمكان تنازل دولة ما عن أرض أصبحت جزءاً منها .

لن نستسلم ولن نتراجع بوصة واحدة ، ليس فقط بالنسبة للقدس ، بل بالنسبة لكل جزء من أى جزء فى أرض إسرائيل . ولن نتعب أبداً من الدفاع عن ميراث أجدادنا حتى لو اقتضى الأمر استهلاك كل وقت العالم .

من تخلفنى قد يقبل الأرض مقابل السلام ، أما أنا فلا .

● (أى أنه مهما استمرت السنوات حتى ولو عقدت مؤتمرات فإن وقت العالم لا يساوى بوصة واحدة من أرض إسرائيل ، ولن يحدث فى عهدى أى تنازل عن أى جزء « وموت يا حمار فى انتظار العلف » !) .

* أما ما يريده من مؤتمر السلام فتذكر قوله :

«السلام مقابل السلام»[1] !

تلك كانت عينة من أقوال وأفكار شامير قبل أن يقرر حضور مؤتمر السلام . فهل يمكن أن يتحقق السلام لمجرد حضور إسرائيل وعلى رأسها إسحق شامير ؟ .

الإجابة الصريحة كلا ، وألف كلا ، ليس لأن الرغبة الإسرائيلية فى السلام محض أسطورة فقط ولكن الوقائع تشير إلى أن إسرائيل لن تسير فى طريق السلام ، فالوقائع تشير إلى أن :

١ ــ لا يمكن بحال من الأحوال أن يتحول الذئب إلى حمل . وعلى هذا فلا يجب أن ننتظر من مجرم حرب كشامير ، ولا من الزمرة الحاكمة حوله أن يكونوا بين يوم وليلة من دعاة السلام .

٢ ــ أن حل المشكلات بالمفاوضات ليس هو الأسلوب الأمثل دائما فكثيراً ما يجتمع اللئام على طاولة واحدة مع المسالمين، وتكون المأدبة مأدبة ذئاب .

٣ ــ أن حضور المؤتمرات شيء وإنجاح المؤتمرات شيء آخر .

٤ ــ أن الضغوط الدولية على الأطراف التى دخلت المؤتمر ــ خاصة إسرائيل ــ لا ترقى لمستوى الاجبار على قبول مبادىء السلام الدولية فقد أعلنت أمريكا أنه لن يتم أى ضغط على إسرائيل وأنه لن تفرض عليها حلول ، وأن لإسرائيل الحق فى تفسير القرار رقم ٢٤٢ على طريقتها .

٥ ــ أن إسرائيل تدخل المؤتمر وفى جعبتها «لاءات» خمس لن تتنازل عنها . وهى لاءات ، لاء واحدة منها كفيلة بإفساد جو المؤتمر . واللاءات الخمسة هى :

لا لمبدأ الأرض مقابل السلام .

---

(١) السلام مقابل السلام معناه : إننى سأبتلع كل الأرض التى قمت باحتلالها غصباً فى الماضى مقابل الوعد ــ مجرد الوعد ــ بألا اغتصب أرضاً جديدة فى المستقبل !

لا للتفاوض حول القدس .

لا لمنظمة التحرير الفلسطينية ولإقامة دولة فلسطينية .

لا للتفسير الأمريكى للقرار ٢٤٢[1] .

لا لإيقاف بناء المستوطنات .

٦ ــ أن التصريحات الإسرائيلية خاصة لشامير عقب الموافقة على حضور المؤتمر تنسف المؤتمر قبل أن يبدأ ، خاصة تصريحه القائل بأن « الذين يحلمون بأن مؤتمر السلام المزمع عقده فى مدريد سيؤدى إلى تخلى إسرائيل عن الضفة الغربية وغزة واهمون » .

٧ ــ أن التصرفات الإسرائيلية عقب الموافقة على حضور المؤتمر تستهدف زرع الألغام فى طريق تحقيق أى تقدم للمؤتمر ، وقد بدأت هذه التصرفات بالتوغل الإسرائيلى خارج المنطقة التى تحتلها فى جنوب لبنان فيما اعتبر بوادر اجتياح إسرائيل للجنوب اللبنانى .

٨ ــ أن إسرائيل بحضورها مؤتمر السلام لم تستسلم لإرادة السلام ، فقد اضطرت بقيادة شامير إلى الصعود لقطار السلام ، ولكنها ستفتش عن الفرصة المناسبة للهرب منه مع أقل ما يمكن من أضرار حتى لا تتحمل حكومة شامير مسئولية فشل المؤتمر .

٩ ــ أن التوقعات تشير إلى أن إسرائيل تدخر للمؤتمرين العديد من المفاجآت التى يمكن بها أن تفشل المؤتمر وتنسحب منه . وستماطل وتجادل وتوافق وترفض وتسأل وتطلب إجابات ثم تسأل عن الإجابات ، ثم تثير عشرات القضايا الفرعية ومئات القضايا الجزئية حتى يصل المؤتمرون إلى طريق مسدود ذلك أن **المفاوض اليهودى بارع فى إيجاد معالم لا معنى لها وألفاظ لا تعنى شيئاً على غرار السلام مقابل السلام !**

---

(١) النص الأصلى لقرار ٢٤٢ يشير إلى ضرورة انسحاب إسرائيل من الأراضى التى احتلتها عقب حرب ١٩٦٧ . لكن التفسير الإسرائيلى للقرار يعتمد على إزالة التعريف من كلمة الأراضى لتصبح أراضى احتلتها ، أى جزء من الأراضى التى احتلتها عقب حرب ١٩٦٧ .

١٠ ـ أن الإسرائيليين أنفسهم ــ وعلى حد قول أحد المستوطنين ــ يعلمون أن العقبة الوحيدة أمام انطلاقة المؤتمر هى حكومة إسرائيل[1] وهى حكومة تتحدث عن السلام وتتنكر له ، تريد السلام المراوغ ، أو السلام الاستعمارى الذى يعنى أنها تسيطر وأن العرب يخضعون ، أنها تريد سلام الوهم . والوهم لا يخلق سلاماً .

١١ ــ أن شامير فى خطابه أمام مؤتمر السلام أخذ يكرر الأساطير والخرافات الإسرائيلية ولم يتحدث عن السلام أو الإنسحاب أو التسوية السلمية أو مبادلة الأرض بالسلام أو قرارى مجلس الأمن رقمى ٢٤٢ و ٣٣٨ اللذين هما بيت القصيد فى السلام العربى الإسرائيلى . واقتصر بدلاً من ذلك على تزوير التاريخ وتزوير الحقيقة .

١٢ ــ أن التصرفات الإسرائيلية عقب مؤتمر السلام والتى تمثلت فى الإعتداءات على جنوب لبنان وتصعيد القمع ضد الفلسطينيين وتدشين مستوطنة جديدة فى الجولان « السورية » تدل على عدم رغبة الحكومة الإسرائيلية فى أى سلام .

لسنا أكثر معرفة من غيرنا كى نرى ما لا يراه سوانا ، ولكننا نؤكد على أن الحكومة الإسرائيلية بوضعها الحالى ــ وعلى رأسها شامير ــ لن يتحقق على يدها السلام ، ولأننا لسنا من ذلك النوع الذى يستسهل الكلام واعتبار أن كل حوار سوى حوار المدافع مستحيل ، لأن ذلك أيسر من المسئولية . فإننا نؤكد على أن الاستمرار فى التفاوض السلمى لحل القضية الفلسطينية أمر لا غنى عنه فى الوقت الحاضر ولكن شريطة أن يتحلى العرب بالصبر وبالتمسك بالأهداف ، فلقد صدق جيمس بيكر وزير خارجية أمريكا عندما أبدى بعض التحفظات وحذر من « أن عقبات لا نهاية لها سوف تظهر فى الطريق وسوف يتصل المؤتمر أو ينقطع ، يتوقف أو يستأنف على امتداد سنوات وسنوات قبل أن تمخض عن مولوده الجديد » .. والخوف أن يأتى المولود مشوهاً .

---

(١) الأهرام ٢٤ أكتوبر ١٩٩١ . وقد تكرم السيد إسحق شامير وقرر حضور مؤتمر السلام كرئيس لوفد بلاده بدلاً من وزير الخارجية الذى يرى اليمنيون أنه قد ينصاع للسلام !

الفهرس



رقم الايداع ٩٣/١٠٨٨٧
977-277-080-3